الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصدّيق بن يحيى – جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) "لعزالدين ميهوبي"

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:

- قجالي هاجر
- فنغور نور الهدى

إشراف الأستاذ:

مسعودي حبيبة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
حلاوي وداد		جيجل	رئيسا
مسعودي حبيبة		جيجل	مشرفا ومقررا
مسعودان عبد المالك		جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ/2023/2024 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصدّيق بن يحيى – جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) "لعزالدين ميهوبي"

مذكرة مكملة لنيل متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتان:

- قجالي هاجر
- فنغور نور الهدى

إشراف الأستاذ:

مسعودي حبيبة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
حلاوي وداد		جيجل	رئيسا
مسعودي حبيبة		جيجل	مشرفا ومقررا
مسعودان عبد المالك		جيجل	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445 هـ/2023/2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾سورة الأحقاف الآية ***14***.

الحمد لله الذي يسر البدايات وأكمل النهايات وبلغنا الغايات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي ما تم جهد إلا بعونه

وما تم سعي إلا بفضله

الحمد لله على البلوغ ثم الحمد لله على التمام

وعرفانا بالجميل وبخالص مشاعر الإحترام والتقدير نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستاذة الفاضلة "مسعودي حبيبة" التي أشرفت بإنجاز هذا البحث ولم تبخل علينا بآرائها السديدة وتوجيهاتها القيمة.

2024

إهداء

لحظة لطالما انتظرتها وحلمت بها،في حكاية اكتملت فصولها،وخيوط انتهى التألق من غزلها.

فالحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضله، وما تخطى العبد من عقبات وصعوبات إلا بتوفيقه ومعونته، بفضل الله أتممت مسيرتي الجامعية، فجاءت لذة الوصول لتمحي مشقة السنين.

فهاقد أتى يوم تخرجي الذي طالما تمناه قلبي،أهدي ثمرة جهدي إلى:

من كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى منأحملاسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يطيل عمرك ويمددك بالصحة والعافية

"أبي الغالي"

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب...وإلى معنى الحنان...والتفاني...إلى بسمة من كان دعائها سر نجاحي... وحنانها بلسم جراحي إلى

"أمي الغالية"

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي... إلى العقد المتين،منكانوا داعمين لي :

" أخواتي وأخي العزيز"

وإلى رفيقاتي اللذان صاحبتنا أيام الجامعة بحلوها ومرها.. بشقائها وفرحها..وتقاسمنا جميع الذكريات.

إلى النور الذي دخل حياتي فجأة...وأنبت في جوفي شيئا يشبه الورد.

وإلى البلد الشقيق فلسطين... الذي يعاني ويتألم في صمت.

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة هذه لهم.

فاللهم انفعني بماعلمتني،وانفع بي والحمد لله على حسن الختام.

نور الهدى

2024

إهداء

إلى من نقش اسمه في روحي،إلى العزيز على قلبي رحمه الله وألهمني الصبر على فراقه.

إلى من أرتجي أن يطيب الله ثراه ويسكنه فردوسه ..."**أبي الغالي**"

إلى من أوصاني الرحمان بها برا و إحسانا

إلى من جعلت الجنة تحت قدميها

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ..."**أمي الحبيبة**"

إلى من قاسموني رحم أمي ،وعاشوا معي أجمل أيام حياتي ... "**إخوتي**" كل باسمه كل بصفاته.

إلى فلذة كبدي وزهرتي... "**سيدرة**"

إلى من شاركوني الضحك والدموع ... "**صديقاتي**" العزيزات ورفيقات الدرب .

إلى أرض خلقت للسلام ومارأت يوما سلاما ..."**فلسطين "الحبيبة** .

لنفسي لمقاتلتي كل يوم حتى أَظهر للآخرين مبتسمة.

لنفسي التي صبرت واجتهدت إلى أن حققت .

أهدي ثمرة هذا الجهد.

هاجر

2024

مقدمـــــــــة

مقدمة:

يعد الاحتلال الصهيوني ورما في خاصرة الأمة الإسلامية والعربية، منذ وعد بلفور الذي نص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ولم شتاتهم من كل بقاع العالم تحت أجنحة هذه الأرض المباركة، إذ ولّد هذا الأخير قضية إنسانية أكثر منه سياسة، جرّاء الأفعال الشنيعة التي ألحقها العدوان الصهيوني بالشعب الفلسطيني من قتل واغتصاب وتشريد وسلب للحقوق...وما إلى ذلك، ولهذا فالقضية الفلسطينية من القضايا الدولية الممتدة لعقود من الزمن، قضية تاريخية تحكي الصراع والصمود من أجل الحقوق، ولعل أبسط حق هو الانتماء والحرية، ففلسطين الأرض الطاهرة بلد الجهاد والكفاح، تفنن المحتل الصهيوني منذ دخوله إليها في تدميرها وسلب شعبها الراحة والأمن والاستقرار؛ بل إثبات الوجود الفعلي والفعال ولا سيما في ظل الصراع العميق بين الديانات والعقائد والحق في هذا البلد، فهذا يهودي صهيوني غاشم ظالم، وهذا مسلم طاهر مظلوم مسلوب الحق، تقابلا في أرض السلام فانفجرت حرب ضروس استمرت عقودا وسنوات.

ولما كان الأدب خير وسيلة صاحبت القضية الفلسطينية منذ وهلتها الأولى؛ سخر هذا الأخير مسرحه بكل أنواعه للتعبير عن هذه القضية من كل جوانبها كوصف المعاناة والضرر الذي ألحق بالشعب الفلسطيني، ولعل أبرز نوع أدبي عني بوصف هذه القضية هو جنس الرواية، المتميز بطوله عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى، هذا الأخير كان خير مساعد لتعرية الواقع المعيش في فلسطين جراء الاحتلال الصهيوني ولا سيما الرواية الجزائرية، فقد اعتبر البعض من كتابها القضية الفلسطينية قضيتهم، أطلقوا العنان لقرائحهم الكتابية في التعبير عنها؛ إذ أسالوا الحبر الكثير في تسجيل مأساة الشعب الفلسطيني الشقيق، ومن بين أعلام الرواية الجزائرية المعبرة عن القضية الفلسطينية "عز الدين ميهوبي" حيث اخترنا روايته (سيرة الأفعى) لتكون محل هذه الدراسة، ومن الدوافع التي ساقتنا لاختيار هذا الموضوع نذكر أولا الدوافع الذاتية:

- أحداث السابع من أكتوبر من العام الماضي (2023)، عندما شن الكيان الصهيوني حربا دامية قاتلة على الشعب المستضعف وممارسة جل أشكال التعذيب والعدوانية عليهم ، التي زامنت فترة اختيارنا لمواضيع المذكرات، بالإضافة إلى تحلينا بالروح الإنسانية والقومية تجاه فلسطين.

أما الموضوعية فتجلت في:

- إبراز موقف الروائيين الجزائريين من القضية الفلسطينية.
- الغوص في أغوار خلفيات القضية الفلسطينية.

وتكمن أهمية الموضوع في كون القضية الفلسطينية من بين أهم القضايا الممتدة عبر التاريخ حتى يومنا هذا، والأهم من ذلك هو مصاحبة الأدبلها- القضية- والسير معا جنبا لجنب، ليخرج لنا فنونا أدبية كاشفة للواقع ومعرية له من كل جوانبه.

وفي ظل هذا التوجه الفكري نشير إلى أن الهدف من دراسة موضوع " القضية الفلسطينية" يكمن في إبراز ملامحها في رواية (سيرة الأفعى)، وكيفية سرد أحداث هذه القضية، وسبب لجوء الكتاب إلى التعبير عنها، وكذا التعمق أكثر في القضية الفلسطينية كونها قضية أمة لا قضية فرد، والتعرف على انعكاساتها على الأمة العربية عموما والأمة الجزائرية على وجه الخصوص،أي انعكاسها في التوجه الفكري للكاتب الجزائري.

ومن هذا المنطلق وقع الاختيار على الموضوع الموسوم ب:[القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) " لعز الدين ميهوبي"].

ومما سبق جاءت الدراسة مبنية على إشكالية محورية هي:

ماهي تجليات القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) "لعز الدين ميهوبي"؟

هذه الأخيرة تندرج تحتها عدة تساؤلات فرعية أهمها:

- ما مكانة الشعب الفلسطيني بين الأمم؟ هل لكيانه الوجودي فضاء تكويني تاريخي عند الأمم والأقوام؟ وكيف تجلت نظرة الرسالات السّماوية لفلسطين؟
- هل كان للقضية الفلسطينية حضور في الرواية الجزائرية؟ ما موقف العقل اليهودي من هذه القضية؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي من خلال استعراضنا لمجموعة من القضايا التاريخية التي تخص فلسطين، أي تتبع فلسطين عبر عصورها، بالإضافة إلى المنهج الوصفي بآليات تحليلية، باعتباره منهجا يساعد للكشف عما نحن بصدد البحث فيه.

ولم يكن هذا البحث أول دراسة في هذا المجال بل سبق التطرق إليه من قبل الباحثين والدارسين، إلا أننا اعتمدنا في دراستنا هذه على دراسة "حمودي بريـر" الموسومة بعنوان (مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية1945-1973م) والتي تتمحور حول جهود الجزائريين اتجاه القضية الفلسطينية ولبلوغ البحث مراده اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها:

- "ووجيه غارودي" (فلسطين أرض الرسالات السماوية)
- "محمد سعيد حمدان " (فلسطين والقضية الفلسطينية)
- "حسني محمد العطار" (القضية الفلسطينية رؤية إسلامية)
- مصطفى فاسي (دراسات في الرواية الجزائرية وغيرها من المراجع المتنوعة والمتعددة والتي كانت خير معين لنا للغوص في سبر أغوار هذه الدراسة.

وقد اعترض بحثنا هذا بعض الصعوبات انحصرت في:

- كثرة المراجع في هذا الموضوع وصعوبة تصنيفها.

وقد اعتمدنا على خطة مكونة من ثلاثة فصول تتصدرها مقدمة وختمناها بخاتمة ،فالفصل الأول والثاني يندرجان ضمن الجانب النظري؛ حيث أن الأول جاء بعنوان:

مكانة فلسطين والقدس في الإسلام، وقد احتوى على ثلاث عناصر جاءت كالتالي:

أولا: فلسطين والرسالات السماوية.

ثانيا: فلسطين وحادثة الإسراء والمعراج.

ثالثا: فلسطين والواقع التاريخي.

وإذ ما ولّينا وجوهنا شطر الفصل الثاني الذي عنوناه ب:

حضور القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية، نجده تضمن كذلك ثلاث عناصر هي:

أولا: لمحة عن الرواية الجزائرية والقضية الفلسطينية.

ثانيا: القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية.

ثالثا: تسريد القضية الفلسطينية بين تفكيكية العقل اليهودي وسرد الوجع الفلسطيني.

في حين كان الفصل الثالث تطبيقيا وسمناه بمحورية القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى)"لعز الدين ميهوبي" والذي تضمن ستة عناصر هي:

أولا: لمحة عن معاناة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال.

ثانيا: فلسطين قضية قومية في الرواية الجزائرية.

ثالثا: صورة المرأة الفلسطينية في الرواية.

رابعا: صورة الطفل الفلسطيني في الرواية.

خامسا: صورة المحتل في الرواية.

سادسا: رموز المقاومة في رواية (سيرة الأفعى).

وملحق خصصناه للتعريف بالكاتب وأهم أعماله ومؤلفاته، وقدمنا من خلاله ملخص لرواية (سيرة الأفعى) بالإضافة إلى الأماكن والشخصيات والتواريخ التي تخدم القضية الفلسطينية.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل على توفيقه لنا في هذا البحث وتيسير الصعوبات التي واجهتنا في هذه الدراسة، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا، كما نتقدم بالشكر للأساتذة المشرفة "**حبيبة مسعودي**" التي رافقتنا طيلة هذا البحث وأحسنت إرشادنا وتوجيهنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربي العالمين.

الفصل الأول: مكانة فلسطين والقدس في الإسلام

حظيت فلسطين منذ أقدم العصور بمكانة مرموقة ميزتها عن باقي البلدان الأخرى، ومما لا شك فيه أن مواقعها الجغرافي زاداها أوفرا في علو مكانته وهذا رجع إلى كونها حلقة وصل بين ثلاث قارات (إفريقيا، آسيا، أوروبا)، بالإضافة إلى حدودها الجغرافية مع البلدان ذات الحضارات العريقة، ومن الضروري أن ننوّه أيضا أن فلسطين كانت مهدا للعديد من الحضارات القديمة، ولا مناص من القول أن لفلسطين تاريخ عريق مع عديد من الغزاة الذين كان لهم الفضل في الأخذ بهذا البلد إلى التحضر والازدهار.

والجدير بالذكر أن فلسطين هي المكان الذي أنزلت فيه الرسالات السماوية الثلاث (اليهودية، النصرانية، الإسلام) على خير عباد الله أنبيائه الصالحين وعلاوة على ذلك فإن هذا البلد كان موطنهم حيث سكنوه ونعمو به و ببركته وخيراته ودعوا فيه إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له رغم الاختلاف بين هذه الرسالات ، ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن أهم صرح ديني متواجد بهذه الأرض المباركة وهو "**المسجد الأقصى**" الذي يعتبر ثاني مسجد في الإسلام بعد المسجد الحرام، هذا الأخير ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء/1]؛ فمن خلال الآية الكريمة يتوجب علينا الإشارة إلى حادثة الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى والعروج به من القدس إلى السماوات العُلاَ والتي تعتبر من الرحلات الإعجازية التي تبين عظمة الخالق.

ومما سبق ذكره تظهر لنا جليا مكانة فلسطين في الإسلام وفي قلوب المسلمين فهي تحمل رابطة قوية بين جميع المؤمنين بالله وبأنبيائه عليهم السلام كونها تحمل تاريخ ميلادهم أضف إلى ذلك القدس الشريف الذي كان مصلى معظم هؤلاء الأنبياء.

أولا: فلسطين و الرسالات السماوية

1-موقعها الجغرافي والاستراتيجي:

تعد فلسطين من بين أبرز البلدان التي تتميز بتاريخ عريق،لاحتوائها على إرث واسع وشاسع، إضافة إلى أنها مهدا لعديد من الحضارات والرسالات السماوية ،كذلك تعد مكان نزول الديانات الإلهية وكذا الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد عرفتها الموسوعة البريطانية على أنها: « المنطقة التي خضعت للانتداب البريطاني منذ عام 1923 وحتى عام 1948»[1]، من خلال هذا التعريف نلاحظ بأن الحضارة الفلسطينية والبلد المجيد قد طغى عليه الاستعمار البريطاني واستولى عليه، وذلك منذ دخولها عام 1923م وحتى سنة ثمانية وأربعون تسعمائة وألف وبهذا فقد تعرضت الدولة الفلسطينية للنهب البريطاني الغاشم حوالي خمسة وعشرون سنة، فقد سيطرت عليها واحتلتها كباقي المستعمرات الأخرى.

ومما لا شك فيه أن فلسطين استعمرت نتيجة لموقعها الاستراتيجي، وكذا تميزها عن غيرها من الناحية الاقتصادية « فتقع في الشرق الأدنى غرب قارة آسيا، وتطل على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط يحدها شرقا سورية والأردن، وغربا البحر الأبيض المتوسط وشمالا لبنان وجنوبا مصر (سيناء) وخليج العقبة.

ومساحة فلسطين من النهر إلى البحر 27 ألف كلم^2، وتقسم فلسطين إلى ثلاثة أقسام هي:

أ- **السهل الساحلي**: وهو متعرج في الشمال (رأس عكا ورأس حيفا) ومستو في الجنوب.

ب- **المنطقة الجبلية**: وهي من الشمال جبال الجليل وجبال الكرمل، وجبال نابلس وجبال القدس وجبال الخليل، ومنها تبدأ هضاب صحراء النقب المتصلة بجبال سيناء.

[1] ووجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أتاسي، ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، د.ط، دمشق، 1991، ص09.

ج- **حوض الأردن**: وهو منطقة داخلية منخفضة أهم أقسامها: سهل الحولة، ومرج ابن عامر، وبحيرة طبرية، وسهل بيسان، وغور الأردن ويحتاج أراضيها نهر الأردن الذي يخترق الحولة وطبرية ويصب في البحر الميت»[1]،مما سبق يتبين لنا بأن فلسطين ذات طابع جغرافي متميز جدا، يحدّها من كل جانب دول ذات قيمة اقتصادية و سياسية عالية جدا، وكذا ميلاد حضارات مختلفة، فهي ذات إطلالة على مواقع استراتيجية، كالبحر الأبيض المتوسط ومصر التي تعرف بالحضارة الفرعونية التي قامت هناك، فكانت من بين أهم الدول التي امتلكت الصناعة والزراعة وغيرها، فكانت متطورة جدا على سلف سابقيها، وتماشيا مع ما تم ذكره، نقول بأن «أهم مدن فلسطين القدس (العاصمة)، حيفا ويافا، وعكا والخليل ونابلس، والناصرة، رام الله، طولكرم، وجنين وغزة وخان يونس وبيت لحم وأريحا»[2]، من خلال هذا النص يبرز لنا الكاتب محمد حافظ، الشريدة بأن لفلسطين خمسة عشر مدينة من بين أبرزها القدس وهي المحور، أي العاصمة والتي يتواجد بها بيت المقدس المبارك، والتي يمكن اعتباره أيضا على أنه من بين أهم البقاع الإسلامية قداسة سواء في البلدان أو في العالم كافة.

2-الرسالات السماوية:

لفلسطين مكانة هامة جدا- وخاصة مدينة القدس والتي تمثل العاصمة وقلبها- وذات مقدسية، مرتبطة بالرسالات التي أنزلت على رسل الله وأنبيائه الداعين إلى الإسلام والبعد عن الشرك والكفر ودعوتهم إلى توحيد الله وعبادته حق العبادة، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، فنجد أن من بين الرسالات الإلهية التي نزلت في هذه البقاع: المسيحية وهي التي أنزلت على عيسى عليه السلام حيث أن:«المسيحية الفلسطينية كانت تقاوم عناد وتعصب كنيسة أضحت يونانية- رومانية، وهذه المقاومة تنصب على أمر أساسي يقول، هل المسيح هو الله أي

[1] محمد حافظ الشريدة: مكانة الأقصى والقدس وفلسطين الدينية، جامعة النجاح الوطنية/ نابلس/ فلسطين/، غزة فلسطين، 2014م-1435هـ، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص24.

من جوهر الله فهو ابنه؟ أم هو رسول الله ابنه شأنه شأن أبنائه المتمثلين لطاعته؟»[1]، بمعنى أن الديانة المسيحية قامت على اعتقاد أن لله عزوجل ابن وهو المسيح عيسى، وبهذا فهو جوهره، فتوسعت هذه الديانة في جميع أقطار فلسطين، حتى أصبحت هذه الأخيرة أرض القديسين والرهبان وخاصة الكنائس التي طغت وبشكل كبير على الأرض الفلسطينية، بحيث بنيت تلك الكنائس وامتدت وأضحت مكان لممارسة الطقوس المسيحية وغيرها.

فالإسلام جاء لتثبيت العقيدة الصحيحة وعبادة الله والبعد عن الشرك به، فقد جاء في قوله عزوجل: ﴿**قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة الآية /136]؛ فقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة البقرة لإسماعيل بن كثير القرشي أن الله سبحانه وتعالى « أرشد عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم ولا يكفرون بالله عزوجل ولا يشركون به»[2].

وكذا أمرهم بإتباع المرسلين مما يصدر منهم قولا وفعلا، فنجد كذلك في هذا الصدد قوله عزوجل: ﴿**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[البقرة الآية/ 284]؛ هنا في هذه الآية بالضبط أواخر سورة البقرة، يوضح المولى عزوجل للمؤمنين بأن لا يفرقوا بين أي أحد من الرسل، فكلهم لهم رسالة واحدة موحدة ألا وهي الدعوة الإسلامية والتي قوامها الدين الإسلامي الحنيف إلا أن الحياة الدينية في فلسطين « حياة مسيحية فقد كانت غنية حارة، وكان رجال الدين في فلسطين يتوزعون إلى رهبان يعيشون حياة جماعية مشتركة في الأديرة كدير القديس تيودوسيوس بقاعاته المعدة للضيافة ومشاغله القائمة حول أبنية الرهبان... وإلى نساك يعيشون حياة العزلة

[1] ووجيه غارودي: فلسطين ارض الرسالات السماوية، ص115.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ-2000م، ص214.

في صوامعهم على الجبال أو في الصحراء، وكانوا يمضون أيامهم بعامة في العمل اليدوي كصنع السلال من القصب الذي ينمو على ضفاف الأردن وفي ترتيل الترانيم الدينية والتأمل ونسخ الكتب المقدسة أو نصوص آباء الكنيسة ويعود الجميع مساء السبت إلى الدير الذي يضم الكنيسة وقاعة الطعام كي يقيموا معا صلاة الأحد»[1]؛ من خلال قراءتنا للحياة القائمة في فلسطين يتبين لنا بأن رجال الدين هناك متنوعون؛ فهناك الرهبان والقسيس والنّسّاك وكل منهم يمارس طقوسه الدينية بمكان مختلف عن الآخر، إلا أنك تجدهم يوم السبت يلتقون معا في الكنيسة لكي يقيموا معا الصلاة وذلك يوم الأحد.

المسيحيين لهم شعائرهم الخاصة وكذا طرائق كل منهم للعيش إلا أن الصلاة موحدة بينهم، يتلقون معا كالبنيان المرصوص لتأديته.

من هنا نستطيع القول أن: «فلسطين ليست إلا رمزا للعقيدة التي ارتضاها الله للعالمين أي الإسلام، هذا الأخير هو الهدف الرئيس الذي عملت الصهيونية المسيحية على تخريبها ومحوها من الوجود»[2]،ومعنى ذلك أن فلسطين تمثل رمز العقيدة الإسلامية التي أرداها الله سبحانه وتعالى لتكون في الكون أجمع ويصدق به العالمين، إلا أن الصهاينة في هذا البلد المستعمر والمستعبد عملت على طمس هذه العقيدة ونشرها في جميع أقطار البقاع الفلسطينية، وكما _ذكرنا سلفا_ من أن الدين الإسلامي أتى للدعوة الصادقة وترك المنكرات والبعد عن الشرك وعبادة الأصنام والأوثان والتجبر والفساد في الأرض، ومنه نورد قوله عزوجل في هذا الصدد﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة 87-88]؛ هذه الآية من سورة البقرة تبين صورة الكفار من بني إسرائيل حيث أنهم قتلوا موسى عليه السلام وكذبوا

[1] ووجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص116.

[2] رجاء جارودي: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط، د.د، القاهرة، ص09.

بعيسى وما أنزل إليه، وما جاء لكي يدعوا به، إضافة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذين كذبوا برسالته فعلنهم الله لكفرهم وطغيانهم زيادة عن ذلك نوثق فكرة " الإيمان الإبراهيمي" أو دين إبراهيم، وهذا المصطلح يعني التسلسل التاريخي الفعلي للأديان، وهي اليهودية ثم النصرانية ثم الإسلام وهو الختام الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، « فالإيمان الإبراهيمي هو الصيغة التي يمكن أن تلتقي عندها موكب المتدينين (...) وأن هذا الواقع الإنساني المسلم تحكمه عدة اعتبارات من بين أهمها أن فكرة الإيمان الإبراهيمي فكرة غامضة مبهمة، على اعتبار أن دين إبراهيم (الحنفية) كان فكرة عن الوحدانية (...) بل ارتبطت بالنبي العظيم الذي جاب أنحاء الشرق، ويحمل في قلبه الإيمان بالله الواحد﴿ إن إبراهيم كان أمة﴾، إضافة إلى أنه كان يتعبد قبل مبعثه في غار حراء، وأيضا نجد بأن القرآن صرح بأن هذه الكتب حرفت وزيفت وخاض فيها العديد من الكاذبين »[1]، من خلال هذا القول الذي أقرت به " رجاء جارودي" يتضح لنا بأن الإيمان الإبراهيمي أو الديانة الإبراهيمية هي نقطة التقاء الديانات، فهي فكرة متلبسة مبهمة تعبر عن الوحدانية وارتبطت " بإبراهيم عليه السلام"، والذي نعرف عنه بأنه أجاب مختلف أنحاء وأقطار الشرق، حتى وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه أمّة، أي أنه لمّ شملهم جميعا، إلا أن القرآن الكريم والذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم يوضح في أكثر من موضع على حقيقة أن الكتب إلى أنزلت على الأنبياء والرسل السابقين تعرضت للتحريف والتزوير من أجل شراءها بثمن بخس، لقوله تعالى:﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[المائدة/ 44]إلا أن الله عزوجل حفظ القرآن الكريم من التحريف وحماه بين دفتين، ويتجلى في قوله﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر/ 9].

[1] ينظر: رجاء جارودي، فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ص23-25.

ومما لا شك فيه أن « الإسلام دخل فلسطين عام 638 م»[1]،حيث نجد أن في هذه السنة ليس العرب هم من وصلوا لهذه البلاد وإنما الإسلام هو من أتاها، على العلم بأن العرب كانوا في فلسطين منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، أي من زمن هجرات الجزيرة العربية، فهذا الإسلام عند مجيئه لم يدع إلى دين خاص به وإنما ليتمم الرسالات السماوية السابقة في فلسطين، لقوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة/ 136] ، «فقد أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا، وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم»[2]، فمن خلال هذه الآية وتفسيرها يتضح أن الدين الإسلامي هو المتمم للديانات التي سبقته من قبل موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، وغيرهم ولم يأت بشيء خاص به فيجب أن نصدقه ونؤمن من به ولا ننكر الرسالات السابقة لأنها تدعو لمثل ما أتى به، فلا نفرق بينهم، « وكذا كان الإسلام في نظر الفلسطينيين اليهود وريثا لإبراهيم وموسى وفي نظر المسيحيين معظما ليسوع على أنه إله كما أعلن عن ذلك مجمع نيقيه بل على أنه رسول الله ونبي ومبشر، جاء في سورة النساء ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا**﴾[النساء /171]، وهكذا يعترف القرآن بولادة عيسى من مريم العذراء »[3].

عندما أتى الإسلام ظن اليهود المقيمين في فلسطين بأنه وريث لإبراهيم وموسى، أي أنه رسالة " إبراهيم" عليه السلام (الصحف) و"موسى" (التوراة) هذا بالنسبة لليهود، أما المسيحيين فقد ظنوا أن هذا الإسلام جاء لتعظيم " يسوع" وجعله إله وكل هذا باطل فنجد أن الله سبحانه وتعالى يقر أن الإسلام رسالة من عنده في يد نبي

[1] ووجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص119.
[2] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ص214.
[3] ووجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص90.

موجهة إلى الناس كافة، وبهذا يورد الله عزوجل إعجازه القرآني في حين ذكر المسيح عيسى ابن مريم ومعجزة ولادته والتي تتضمن ميلاده من غير أب ومن أم عذراء، وإلقاء كلمته عزوجل له ولأمه.

ولا يفوتنا أن ننوّه بأن فلسطين تعرضت للاستعمار البزنطي والروماني وغيرها من عديد الاحتلالات والاستيطانات التي قامت على القمع والوحشية وغيرها، ومحاولة تسليط معتقداتهم على كافة البلاد الفلسطينية إلا أنه مع مجيء الإسلام حاول جاهدا نشر الرسالة الإلاهية وتفنيذ الأباطيل وتحريرهم من العدوان، فقد كانوا ينتظرون من يحررهم ويدعمهم لمحاربة الطغيان البزنطي الغاشم، وهو ما حل عندما أتى العرب المسملون ودخلوا البلاد بالإسلام لمحاربة معتقداتهم وأوثانهم وأزعمتهم الباطلة، ففي التوراة مثلا نلاحظ « تيار كنعاني يرى فيه العبريون الأرض ملك للإله، من خلال هذا بدأت مع الأنبياء مرحلة جديدة لعقيدة العبريين انتقلوا فيها من المرحلة القبلية للدين إلى مرحلة العقيدة النبوئية»[1] ، و في الرسالة السماوية " لموسى" (التوراة) نلاحظ أن الكنعانيون لهم توجه فيه من حيث تياراتهم من أن الأرض ملك للإله وأن الإله هو من يخصبها، ومن هنا فإنها توجد معتقدات ليس لها أساس من الصحة أساسا.

من هذا يمكن القول بأن مجمل الرسالات السماوية كان مهبطها فلسطين أم الأديان وبلد الأنبياء والمرسلين الصالحين، الداعين لإقامة الشعائر الدينية الصحيحة وفق الشرع الإسلامي داعين لتوحيد الله عز وجل، والبعد عن الكفر والشرك وعبادة الأصنام والأوثان وإتباع الملة التي لا ترضي من الحق شيئا، فنجد بأن رسالة التوراة أنزلت على موسى عليه السلام في فلسطين ورسالة الإنجيل التي أنزلت على عيسى عليه السلام، ورسالة الزبور على داوود عليه السلام، واختتمت برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم التي هي القرآن الكريم والتي أنزلت عليه في بيت المقدس، وبذلك كان إسراءه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك، ومن ذلك قوله عز وجل﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ**

[1] ووجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية،ص90.

آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء /01] فقد أورد ابن كثير القرشي في تفسير هذه الآية أن « جبريل أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يرفعه إلى السماوات السبعة واحدة تلو الأخرى، وقد سرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس وانتهى بسدرة المنتهى»[1]، أي بمعنى أن الله سبحانه وتعالى اصطفى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمر جبريل عليه السلام بالإسراء به من مكة المكرمة إلى فلسطين وبالضبط القدس البيت المطهر المقدس، ثم رفعه للسماوات السبع واحدة واحدة، وهذه قد كانت من معجزات الله للنبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

ثانيا: فلسطين وحادثة الإسراء والمعراج

تحتل فلسطين مكانة ورفعة من طرف العالم بأسره وليس العالم العربي فقط كونها مهبط الديانات السماوية التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه عليهم السلام والتي تصب كلها في الخضوع له تعالى وتوحيده وعبادته حق العبادة رغم التحريف الذي اكتنفها، حيث تجدر بنا الإشارة إلى أن فلسطين مهد للحضارات الإنسانية القديمة على اختلاف العصور حيث: « برزت أهمية موقع فلسطين منذ أقدم الأزمان وسكنها الإنسان منذ العصور، وقد ساعد على ذلك خصوبة أرضها واعتدال مناخها وموقعها المتوسط، مما جعلها موقعا حضاريا منذ أقدم الأزمنة»[2]، فالقارئ لهذا القول يدرك أن فلسطين تحظى بمكانة هامة منذ العصور الفارطة؛ كونها أرض خصبة نامية ساعدت الإنسان على التأقلم مع البيئة، والناظر في الحدود الجغرافية لهذه البلاد يرى أنها حلقة وصل بين ثلاث قارات (إفريقيا- آسيا- أوروبا).

حري بنا أيضا التطرق إلى أن فلسطين « سكنها قبائل عربية منذ قديم الزمان، ومزاعم الإسرائيليين أول من سكن البلاد لا صحة لها فقد دخولها كغزاة، وبقيت القبائل العربية فيها قبل كل غزو واجهته فلسطين وبعده،

[1] ينظر، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، ص 1098-1099.

[2] محمد عيد حمدان، فلسطين والقضية الفلسطينية، منشورات جامعة القدس، د ط، الأردن، 2015، ص 7.

وقد أكد المؤرخين ورجال الفكر أن عرب فلسطين لم يكونوا غزاة أو محتليين، بل هم سكان البلاد الأصليون (...) ثم إن القبائل العربية الفلسطينية لم تأت مع الفتح الإسلامي في القرن السابع ميلادي بل كانت هناك قبل الفتح فالأمة العربية موجودة في أطراف الشرق العربي قبل الإسلام»[1]،أي أن حضور العرب في هذه البلاد لم يكن مع الفتح الإسلامي وإنما قبل ذلك ولهذا يعدونهم من السكان الأصليين.

ولعله من المفيد أن نؤكد على أن السابق ذكره لا يحدد المكانة الرفيعة بالقدر الكبير لهذه الأرض، وإنما من الأساسي أن نشير إلى أن أهم صرح ديني يوجد هناك والذي جعل من فلسطين أرض مباركة ألا وهو " المسجد الأقصى" الذي ينبض حبه في قلوب المسلمين كونه أولى القبلتين وثالث الحرمين، بالإضافة أنه بني من طرف أشرف خلق الله أنبيائه الصادقين، وللقدس الشريف « أسماء متعددة تدل كثرتها على شرف وعلو مكانة المسمى، وقد جمع للمسجد الأقصى وبيت المقدس أسماء تقرب من العشرين أشهرها كما جاء في الكتاب والسنة- المسجد الأقصى- بيت المقدس وإيلياء وقيل في تسمية الأقصى؛ لأنه أبعد المساجد التي تزار وينبغي بها الأجر من المسجد الحرام، وقيل لأنه ليس وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقدار والخبائث»[2] ، كانت هذه مختلف تسميات المسجد الأقصى في الإسلام التي تدل على قدسية من خلال شروحات هذه الأسماء التي وإن دلت فإنها تدل على العبادة والطهارة.

يورد " سليم بن عبد الهلالي" في كتابه (المسجد الأقصى بين لأحاديث والأحداث) حديث من صحيح البخاري: « عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؛ قال: «المسجد الحرام»، قلت ثم أيّ: قال: « المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركت

[1] محمد عيد حمدان، فلسطين والقضية الفلسطينية، ص 59.

[2] عيسى القدومي، المسجد الأقصى أربعون معلومة تجهلها، مجلة الوعي الإسلامي العدد 107، 2015، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ص9.

الصلاة بعد فصلّ، فإن الفضل فيه»[1]، فمن خلال هذا الحديث الشريف تظهر مكانة المسجد الأقصى في الإسلام من خلال كونه ثاني مسجد في الإسلام، وتماشيا مع تم ذكره فإن « المسجد الأقصى من الأماكن المقدسة عند المسلمين، لكنه في تاريخه إلى عهد قديم سبق الإسلام والمسيحية واليهودية جميعا، وهو في سبقه الأديان الثلاثة يشبه الكعبة وإن لم يكن له قدمها ويسمى أيضا بين المقدس، وقيل سمي بذلك لأنه المكان الذي يتطهر فيه أولياء الله من الذنوب والمعاصي، أو إلى أنه المكان الخالي من الشرك والأصنام (...) وما زاد من قدسية هذا المسجد الصخرة المشرفة فهي كالحجر الأسود في البيت الحرام ومصدر قدسيتها أن الملائكة يصعدون منها إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج إلى السموات العلا»[2]. أي: أن المسجد الأقصى يعتبره المسلمون من الأماكن التي تتصف بالعظمة والإجلال، فلا يمكن عده كمكة ولكنه يأتي بعدها من حيث قيمته الدينية، كونه يضم أكبر رحلة إعجازية ألا وهي رحلة الإسراء والمعراج،« فالقدس الشريف كان قبلة المسلمين الأولى يتوجهون إليه في الصلاة منذ فرضها في ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة وظل قبلتهم بعد الهجرة بوقت قارب عام ونصف العام ثم أوحى الله عز وجل إلى رسوله الكريم (أن يولي المسلمون وجهوهم شطره) في ليلة النصف من شعبان أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام وأن يولي المسلمون وجوههم شطره أينما كانوا»[3]، أي: أن القدس كان قبلة المسلمين الأولى يولون وجوههم إليه في صلاتهم وعبادتهم منذ أن فرضها عز وجل في ليلة الإسراء والمعراج ثم أمر الله تعالى رسوله أن يولي وجهه قبل المسجد الحرام.

ومن هذا المنطلق تجدر بنا الإشارة إلى أن رحلة الإسراء والمعراج أعلت من قيمة فلسطين والمسجد الأقصى في ديننا الإسلامي، وما زاد هذا المسجد إجلالا وتقديرا ورود اسمه في القرآن الكريم تماشيا مع هذه الرحلة، في قوله تعالى:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي**

[1] سليم بن عيد الهلالي، المسجد الأقصى بين الأحاديث والأحداث، دائرة المكتبة الوطنية، ط1، د ب، 2022، ص9.
[2] الجاح المقديري، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 27، 2021، ص 588.
[3] عبد الحميد الكاتب، القدس، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1994، ص 19.

بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء/1] حيث جاء في (تفسير الطبري) لهذه الآية: «ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلا على البراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سلطانه، فجمعت به الأنبياء، فصلى بهم هنالك، وعرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السماوات السبع، وأوحي إليه هنالك ما شاء أن يوحي ثم رجع إلى المسجد الحرام في ليلته، فصلى به صلاة الصبح»[1].

وللتوضيح أكثر نتطرق لمفهوم الإسراء والمعراج كل على حدا؛« فالإسراء هو سير جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، محمولا على دابة يقال لها البراق، في جزء من الليل، وما صحب ذلك من أحداث ومشاهدات»[2] أي: أن الإسراء هو ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم ليلا إلى المسجد الأقصى على الدابة المسماة بالبراق، أما المعراج: « فهو صعود النبي صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى ما فوق السموات السبع، حتى بلغ سدرة المنتهى وجاوزها، في آلة تسمى المعراج، وعودته في نفس الليلة»[3]،أي أن المعراج هو طلوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى، وتخطاها.

فالإسراء والمعراج رحلتان عظيمتان إعجازيتان، والمتأمل فيهما يسبح باسم ربه الذي القادر على كل شيء، فهي لست كاختراعات الإنسان كما نراه اليوم وإنما قدرة إلهية ومعجزة ربانية، حيث وردت هذه الرحلة في الأحاديث النبوية على النحو التالي: « قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت البناني، عن أنس ابن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال « أتيت بالبراق: وهو دابة بيضاء فوق

[1] أبو جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار هجر، تح :عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج14،دب،2001،ص420.

[2] حميد بن أحمد نعيجات، الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية، مجلة الدراسات العبية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، د ع، د ب، ص1557.

[3] المرجع نفسه، ص 1557.

الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال: جبريل: أصبت الفطرة قال: ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا (...) ثم عرج بنا إلى السماء الثانية »[1]، «ومن السماء الثانية عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى كافة السماوات العلا وهنالك التقى بأنبياء الله حتى بلغ سدرة المنتهى وهناك أوحى الله إليه ما أوحى»[2] وهكذا كانت قصة الإسراء والمعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم من قلب فلسطين من المسجد الأقصى الذي يقول عنه تعالى في محكم تنزيله ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الإسراء/1] أي: « الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم»[3]، ومن هنا تظهر مكانة فلسطين الجريحة وخاصة في الإسلام وعند المسلمين، وما زاد من رفعة هذه المكانة (في قلوب المسلمين) وقوة الرابطة بين فلسطين والمسلمين هو : « نزول سورة الإسراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت مبكر من البعثة التي خص بها الله سبحانه محمدا بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والواقع أن هناك كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الأنبياء، ولا سيما داوود وسليمان وعيسى عليهم السلام، وعن علاقتهم بأمكنة العبادة التي كانوا يمارسون عبادتهم فيها، ولعل مكانة القدس تأخذ أبعادها من خلال تتابع رسالة التوحيد التي بدأت منذ آدم عليه السلام وانتهت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[4]، أي: أن مكانة فلسطين في الدين الإسلامي عالية وعظيمة كونها كانت موطن الأنبياء منذ آدم عليه السلام وما تلاه منهم وصولا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحادثة الإسراء والمعراج به إلى القدس ومن القدس، حيث « دل الإسراء بالنبي

[1] عبد الحليم محمود، الإسراء والمعراج، دار المعارف، ط11، القاهرة، د س، ص 37-38.
[2] ينظر: المرجع نفسه ص 38-39.
[3] أبي جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي قرآن، ص448.
[4] حسين الباشي، القدس من الإسراء إلى وعد الآخر بسبع آيات تختزل التاريخ، فلسطين ومركزية الصراع الكوني، دار قتيبة، ط1، لبنان، 2004، ص103.

صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على فضل ومكانة الأقصى، وأن الله ربط بين المسجدين برباط لا يحل وثاقه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها »[1]، أي أن الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويقال في أحاديث الإسراء والمعراج أنه صلى بالقدس فهنا ربط بعين المسجدين من خلال العبادة، ومن هنا يظهر فضل المسجد كونه ليس ككل المساجد التي وضعت لعبادة الله وإنما ربطه بالمسجد الحرام زاده قدسية ومكانة في الإسلام وفي قلوب المسلمين المؤمنين حق إيمان بالله تعالى حيث: « قيل: الحكمة في ذلك أن يجمع النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة بين رؤية القبلتين، أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل، أو لأنه محشر وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق بذلك، أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسا ومعنى، أو ليجتمع بالأنبياء جملة، والعلم عند الله»[2]،أي: أن الفضائل التي جمعت للقدس كما تصب في هجرة النبي إليه أو بالأحرى الإسراء به إلى هناك، كما أنه كان موطن الأنبياء قبله، بالإضافة إلى القول أن فلسطين أرض المحشر يوم تقوم الساعة.

إن حادثة الإسراء والمعراج أعطت لفلسطين أخير الأمكنة في قلوب المسلمين فقد شدت وثاق الرابطة العاطفية لهذا القلوب كونها متعلقة برسول الدعوة الإسلامية محمد صلى الله عليه وسلم حيث: « في تلك الليلة القدسية كان فرض الصلاة عمود الدين ومظهر وحدة المسلمين الأهم وبعيدا عن تأثير أي عناصر محلية أو إقليمية كان الأمر الإلهي باستقبال بيت المقدس في الصلاة وكذا لم يكن عبثا أن يعطي الإسلام لفلسطين وبيت المقدس هذه الخصوصية منذ سنوات دعوته الأولى بل وقبل قيام دولة الإسلام في المدينة»[3]، أي: أن الإسلام أعطى لفلسطين والقدس مكانة عليا من خلال الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى ومن هنالك عرج

[1] عصام موسى هدي، صحيح قصة الإسراء والمعراج، الدار العثمانية، ط1، عمان، 2004، ص14.
[2] ابن حجر العسقلاني السيوطي، الإسراء والمعراج، دار الحديث، تح: محمد عبد الحكيم القاضي، القاهرة، 2002، ص78.
[3] حسني محمد العطار، القضية الفلسطينية رؤية إسلامية، مؤسسة ناقد للطباعة والنشر، ط2، فلسطين، 2020، ص 67-68.

به إلى رب السماوات العلا سبحانه وتعالى، أين فرض عليه وعلى كل المسلمين الصلاة وهذه الحادثة ليست بالهينة في ديننا، وإنما في اختيار الله لفلسطين بالتحديد حكمة لا يعلمها إلا هو عزوجل.

واستخلاصا لما سبق فإن فلسطين كانت ميلاد الأنبياء، أنعم الله عليها بالبركة حيث جاء القرآن مؤكدا على بركة هذه الأرض ،فالإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى والإعراج به من هناك إلى السماوات العلا أعطى لفلسطين قدسية ورفعة وحط أنظار العدو عليها، ففلسطين الجريحة اليوم تقتل وتذبح إلا أن شعبها لم يتخل عنها كونها الأرض الطاهرة أرض الأنبياء والصالحين.

ثالثا: فلسطين والواقع التاريخي:

كان حضور فلسطين في التاريخ القديم حافلا بالأحداث التاريخية والدينية، فقد كانت هذه الأرض موطن الإنسان الأول البدائي منذ القديم والجدير بالذكر أن الموقع الذي تحتله هذه المنطقة يتصف بالمناخ المعتدل والمتوسط، وكل هذا ساعد الإنسان على تكوين حضارته وقيام كيانه على هذه الأرض حيث « أطلق اسم "فلسطين" منذ القديم على تلك المنطقة التي تقع الآن بين لبنان من الشمال وخليج العقبة على البحر الأحمر من الجنوب، وبين ساحل البحر الأبيض وسيناء من الغرب ومجرى نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة من الشرق»[1]، وبهذا فإن فلسطين تقع في منطقة مطلة على ثلاث ضفف بحرية بالإضافة تحادها مع العديد من البلدان –كما سلف الذكر– من قارة آسيا وإفريقيا وأوروبا وبهذا تكون حلقة وصل بن هذه القارات.

1– الكنعانين:

قامت في فلسطين العديد من الحضارات الإنسانية، مهدت للتطور والرقي التي أخذت بالإنسان نحو الاكتشافات واحدة تلو الأخرى « وقد عثر أخيرا في مدينة أريحا على آثار الحضارة الناطوفية التي تعتبر من أهم

[1] شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخا .. وعبرة .. ومصير، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان 1991، ص29.

مراحل الانتقال نحو إنتاج الطعام والاستقرار (...) حيث تحدها الحضارات العراقية من الشرق والمصرية من الجنوب (...) وعليه فقد تأثرت حضارة فلسطين بالعناصر الحضارية والسياسية المجاورة لها في مصر والعراق والأناضول»[1]،أي: أن مدينة أريحا من المناطق التي وجدت فيها مؤشرات الحضارة الناطوفية التي ساهمت في انتقال الإنسان الفلسطيني القديم إلى التحضر، بالإضافة تأثر الحضارة الفلسطينية بالحضارات المجاورة لها كالعراقية والفرعونية، وهذا ما ساعدها أيضا على السير نحو الازدهار.

وعلاوة على ذلك الحضارة الناطوفية نجد الحضارة الكنعانية والتي تصنف على أنها أحد الحضارات الكبرى «ولدت من مزيج أجناس عديدة كانت تتوجه جميعا عبر القرون صوب الهلال الخصيب، وقد وصلت بعض هذه الأجناس إلى الحدود الغربية من أرض كنعان لتستقر فيها، ومع هذا يمكن أن نتحدث عن (حضارة كنعانية)، لأن استمرارية التطور نفسه تتجلى عبر ما قدمته الأجناس المختلفة، وقد اغتنى هذا التطور على وجه التحديد بما قدمه الساميون من عموريين وآراميين وعبريين وأنباط وهنود آريين وحوريين أو ممن قدموا من كريت في البحر المتوسط كالفلستين »[2]، أي: أن الحضارة الكنعانية التي أقامها بنو كنعان من بين أبرز الحضارات الكبرى شأنها شأن الحضارات الأخرى من بابلية وفرعونية، ...، حيث نمت وتبلورت وسط أجناس عديدة عبر القرون، فهي تتابع لما قدمته الأنواع السابقة من هذه الأجناس « فقد كانت أولى مقومات الحضارة الكنعانية وأهمها الاستقرار وزراعة الأراضي (...) فقد اتسمت أرض كنعان بالخصوبة وبرع الكنعانيون في زراعتها والاستفادة من خيراتها وكانت زراعة الكروم والتين والزيتون والقمح من أهم المزروعات القديمة في كنعان »[3]. فقد سادت الحضارة الكنعانية سياسة الري والزراعة، على اعتبار أن أرضهم خصبة سهلة صالحة للزراعة، فاستفادوا من زراعتها وبرعوا فيها

[1] محمد سعيد حمدان، فلسطين والقضية الفلسطينية، ص7.

[2] ووجيه غارودي: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ص40

[3] أحمد الدبلش: موجز عن تاريخ فلسطين: من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين، دار النشر، ط1، القاهرة، 1431هـ-2010م، ص245.

بمختلف أنواعها، كالكروم والزيتون والتين وخاصة القمح، الذي يعتبر الغذاء الأساسي لهم « وقد كان للكنعانيين عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وشرائعهم المستمدة من فلسفة عميقة جسدت نظرة الكنعاني للحياة، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالدين، وأخذت دورها في تنظيم المجتمع، فتغلغلت بعض هذه العادات والتقاليد إلى أعماق نفوس الشعب واختلطت بمشاعرهم لتسري في أشعاره وقصصه وأمثاله »[1]، فقد امتاز الكنعانيون بعادات وتقاليد وأعراف وشرائع استمدوها من فلسفة الحياة التي جسدت نظرتهم لها، وارتبطت بالدين الذي كان له دور بارز في تنظيم المجتمع وتمركزت تلك العادات والتقاليد في داخل نفوس الشعب ووثقوها في الأشعار والأمثال والحكم والقصص التي تبين هذه الحضارة الكنعانية وثقافتها،« أما الفكر الكنعاني الديني سما وتطور ولعب دورا مهما في حياة وأخلاق الكنعاني، وللدين دلالة حضارية، فهو يتصل بجذور متغلغلة في الطبيعة البشرية، ولفهم أية حضارة من الحضارات لابد من سير غور الدين السائد فيها وإدراك روحه وعقائده ونظمه، فهو من ناحية رابطة اجتماعية تصل الناس ببعضهم، وتلبي حاجاتهم إلى التعاون والتشارك وتؤلف بين قلوبهم وتنظم سلوكهم »[2]،فالتفكير الديني للكنعاني علا وازدهر وأخذ دورا بارزا في حياة أخلاق الكنعانيين، فهو متعلق بجذور متشبتة في الطبيعة البشرية، ولإدراك أية حضارة يجب أن تفهم عقيدتها وأنظمتها وروحها، فالدين الكنعاني يصل الناس مع بعضهم كما تلبي حاجياتهم وتدفعهم للتعاون مشاركة بعضهم بعضا وتحاول تنظيم سلوكاتهم داخل المجتمع وكذا تأليف قلوبهم.

بالإضافة إلى أن الكنعانيون اشتهروا بالعديد من الصناعات كصناعة « العاج والزجاج والنسيج الصوفي والقطني (...) وابتكروا وسائل الدفاع عن مدنهم، فقد كرسوا طاقتهم وجودهم في سبيل إتقان الأساليب الحربية التي لازمتهم طيلة حياتهم (...) كما برعوا في إنشاء القلاع وما يرافقها من تحصينات دفاعية »[3]، فقد طغى على العرب الكنعانيون فن الصناعة بمختلف أنواعها سواء الزجاجية أو النسيج الصوفي أو النسيج القطني، كما برعوا في

[1] أحمد الدبلش، موجز عن تاريخ فلسطين،ص246.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] محمد سعيد حمدان: فلسطين والقضية الفلسطينية، ص28-29.

صناعة الوسائل الدفاعية الخاصة بمدنهم والتفنن فيها، فنجدهم قد صبوا جميع جهودهم وطاقاتهم في سبيل تحسين وإتقان هذه الوسائل الحربية الدفاعية وأيضا نجدهم انكبّوا على إنشاء القلاع والحصون الدفاعية من أجل تأمين أنفسهم من هجمات العدو.

بالإضافة إلى من سكن الأرض الفلسطينية من الكنعانيين نجد كذلك الفينيقيين حيث يقول محمد طلب خليل النمورة « وشملت بلاد كنعان أيضا بلاد الفينقيين الذين نزلوا من الكرمل في الجنوب إلى رأس شمرا (أوغاريت) قرب اللاذقية شمالا، حيث أن الكنعانيين والفنيقيين شعب واحدا نسبا ولغة ودينا وتمدّنا »[1]، وهذا أن الكنعانيين ليسوا هم وحدهم من سكنوا فلسطين القديمة، بل سكنها معهم الفينيقيين الذين قد هبطوا من الكرمل إلى رأس شمرا أو ما تعرف بأوفاريت المتواجدة قرب اللاّذقية في الشمال وذلك لأن هؤلاء الفينيقيين والكنعانيين شعب واحد من حيث النسب واللغة والدين والتمدن وغيرها.

وإضافة إلى الصناعات التي امتازوا بها نجد براعتهم في اللغة والكتابة اللذان يعدان أحد مقومات التواصل وبهما يمكن فهم الناس بعضهم لبعض، سواء في معاملاتهم أو تجارتهم، فنجد مثلا اللغة تعبر عن الحضارة والتحضر ورمز للرقي، والكتابة هي من شروط هذا التحضر « اللغة الكنعانية أصل اللغة العربية (...)، وهي اللغة الأم مهدها الجزيرة العربية، تلونت محليا بعوامل جغرافية واقتصادية وتاريخية »[2]، أي أن لغتهم أصل اللغة العربية، باعتبار أنها وجدت في الجزيرة العربية، وتكونت وألمت، وأحيطت بعدة عوامل، ساهمت في تكوينها، كالعوامل الجغرافية المتعلقة بالموقع والتاريخية المتعلقة بزمنها الماضي، وكذا الاقتصادية والتي تتضمن تأمين سبل العيش وضع استقرار معيشتهم.

[1] محمود طلب خليل النمورة: الغرب والإسلام وفلسطين، حقوق تاريخية وصراع حضارات أم استعمار وصراع مصالح؟، دعوة لوضع حد لانتهاكات الغرب لحقوق الشعوب بحجة مكافحة الإرهاب، دار الشروق، د.ط.د، بلد، 1427هـ-2006م، ص62.

[2] أحمد الدبلش،موجز عن تاريخ فلسطين، ص249.

من بين أهم ما امتاز به الكنعانيون كذلك بالإضافة إلى الصناعة نذكر الزراعة والتي اشتغلوا بها كثيرا وأولوها عناية كبيرة « فقد سميت بلادهم الأرض التي تدر لبنا وعسلا وكان العنب ومشتقاته والزيتون وزيته أهم حاصلاتهم (...) فقد كانوا يحصدون بمنجل أسنانه من الصوان ويده من العظم أو الخشب كما عثر في تل أبيب مرسم أيضا على محاريث ومناجل حديدية »[1]، بمعنى أن الأرض الكنعانية هي أرض خصبة ينمو بها الزرع وما غرس بها، فمن بين أهم محاصيلهم العنب ومشتقاته والزيتون وزيته الصافي فيحصدونه بمنجل ذات أسنان من صنوان أما يده فأحيانا تكون من العظم وأحيانا أخرى من الخشب، كما وجدوا كذلك في تل أبيب مرسم على محارث ومناجل مصنوعة من الحديد ليس من الخشب ولا من العظم.

ومن هذا يمكن أن نقول بأن الحضارة الكنعانية امتازت بالعديد من مظاهر الرقي والازدهار، مست جوانب عدة، سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو العلمية أو الأدبية وغيرها من مختلف الجوانب فعملية الازدهار الخاصة بالجانب الاقتصادي قامت على المعادن والنسيج والزجاج، فكانوا ثمرة ارتقائهم نحو التحضر ومجاراتهم للحضارات الأخرى، إضافة إلى تمكنها من الزراعة والتي مست جميع مناحي تطورها، كما يمكن أن نذكر كذلك أنهم « أول من اكتشف النحاس الطري ثم اهتدوا إلى الجمع بين النحاس والقصدير في إنتاج البرونز، وبذلك كانوا السابقين في استخدام صناعة التعدين (...) فقد ازدهرت صناعة المعادن في بلاد كنعان في وصف الغنائم (...) إذ نجد أن من بين المصنوعات المعدنية عربات مطعمة بالحديد، وأوتاد لتثبيت الخيل مطعمة بالفضة وتماثيل من الذهب ومن خشب الأبنوس »[2]، من هذه العبارة التي وسبق ذكرها من طرف "أحمد الدبلش"نخلص إلى أن الكنعانيين هم أول من اكتشف النحاس واهتدوا للجمع بينه وبين القصدير من أجل إنتاج البرونز، وبذلك كانوا أول من سبق في إنتاج المعادن، التي ازدهرت وتطورات حتى وصل بها الحال إلى صناعة عربات مطعمة

[1] محمود طلب خليل النمورة،الغرب والإسلام وفلسطين، ص65.
[2] أحمد الدبلش،موجز عن تاريخ فلسطين، ص252.

بالحديد، وأوتاد مطعمة بالفضة وتماثيل ذهبية وكذا أخرى من خشب الأبنوس، وغيرها من الصناعات التي برع بها الكنعانيون الفلسطينيون.

أما إذا انتقلنا إلى المأكل والحياة في فلسطين الكنعانية، فنجد بأن « مياه الشرب كانت تحمل على الظهر في قرب من الجلد أو في جرات كبيرة على الرأس، أما المصابيح فكانت عبارة عن صحون خزفية بسيطة ذات فتحة صغيرة في طرفها بوضع الفتيل وكان الطحين يطحن في مطاحن يدوية من الحجر، والخبز في أفران أسطوانية من الطين، كما كان اللحم يطبخ عادة مع اللبن وهو ما يسمى المنسف »[1]، عاش الكنعانيون في بلادهم القديمة على منتوجاتهم الخاصة وصناعتهم الراقية، فقد كانوا يحملون مياه الشرب على ظهورهم في أقراب من الجلد (بمعنى في أواني خاصة لوضع الماء مصنوعة من الجلد) أو يضعونه في جرات كبيرة ويحملونه على رؤوسهم، أما مصابيحهم فقد كانت صحون خزفية جد بسيطة لها فتحة صغيرة في طرفها لوضع الفتيل الذي منه يشتغل هذا المصباح، أما بالنسبة لطحينهم فقد كانوا يطحنونه في مطاحن يدوية مصنوعة من الحجر، والخبز يخبزونه في أفران ذات أشكال أسطوانية مصنوعة من الطين، وطعامهم المميز هو أنهم كانوا يطبخون اللحم مع اللبن وهو المسمى المنسف.

هذا بالنسبة للحياة الاقتصادية للكنعانيين، أما حياتهم السياسية قامت على عدم فصلهم للدين عن السياسة، بمعنى علاقة الحاكم بالإله « فلا يمكن فهم البنية السياسية في المجتمع الكنعاني بمعزل عن فهم العلاقة بين الحاكم/ الآلهة/ الشعب، فالملك يعتبر ابن الآلهة وقاضي الشعب أما الآلهة فتمثل بوضوح روح المجتمع والصراع بين الخير والشر، حيث كان الإله "إيل" (...) رمز للخير، أما الإله "بعل" فقد كان رمزا للشر »[2]،فالتنظيم السياسي للكنعانيين يقتض بوجود الآلهة والحاكم والشعب وما مدى علاقتهم ببعضهم البعض، وإلا لما كانت هناك سياسة، ولكل واحد منهم تعبير خاص حسبهم فمنهم من يمثل ويعبر عن الخير، وهناك من يمثل الشر.

[1] محمود النمورة، الغرب والإسلام وفلسطين ص65.

[2] أحمد الدبلش، موجز عن تاريخ فلسطين، ص255.

أما إنتاجهم الأدبي الخاص بهم ساهم بشكل كبير في تحضرهم على الرغم من كونهم لم ينتجوا لك القدر الكبير إلا أن نصوصهم كانت قليلة وذات معنى ومغزى هادف، « فالإنتاج الكنعاني يعود إلى مراحل سابقة مهدت له (...) وقد جاءت هذه النصوص بأسلوب وتراكيب لغوية تميزت بالجمل القصيرة المقتضبة »[1]، فالأدب في البلاد الكنعانية لم يكن إنتاجا خاصا بهم، وإنما كان قد سبق لها، وأخذوها عمن أتو قبلهم، إلا أن أساليبهم في الكتابة جاءت بأسلوب مميز وتراكيب لغوية سلسلة، وابتعدوا عن الإطناب وتناولوا الجمل القصيرة الدالة المعبرة والموحية.

إضافة إلى ذلك فيما يخص الإنتاج الأدبي لدى الكنعانيين ننوه إلى أنهم « أول من استخدم الحروف الهجائية والتي تعد اللبنات الأولى لتكوين الجمل »[2]، ومن ذلك فإن للكنعانيين فضل السبق في استخدام الحروف الهجائية وابتكارها، فهي الخطوات الأولى في تكوين الجمل والعبارات.

مما سبق نستطيع القول بأن الحضارة الكنعانية من بين أبرز الحضارات السابقة رقيا وتطورا، اعتمدت العديد من الأساليب والوسائل التي ضمن لها تحقيق هذا التطور الذي اندرج ضمنه ابتكار الكتابة والخط الأبجدي والذي من خلاله تسهل عملية التواصل بين الناس وكذا الرقي نحو تطوير الحياة الاقتصادية من سياسة الزراعة والرعي وإنشاء المعادن والخزف والفخار، « وكذا معاصر العنب والكروم والزيت »[3] وإضافة إلى الإنتاج الأدبي والذي أخذوه عمن سبقوهم، إلا أنهم عدلوا فيه وجعلوه رمزا لحضارتهم وتخليدا لإرثهم وتراثهم وبرعوا في تطويره، «فالكنعانيون مؤمنون بوجود إله يسير هذه الأرض »[4]، وفكرهم هذا سما وتطور إلى أن صارت حضارة متطورة شأنها شأن الحضارة المصرية والبابلية وغيرها.

---

[1] المرجع نفسه، ص260.

[2] أحمد الدبلش، موجز عن تاريخ فلسطين، ص250-251.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص254.

[4] نفسه ، ص246.

2- الأقوام الغازية لفلسطين قديما:

أ- اليهود: إن وكما قلنا سابقا السكان الأصليون لفلسطين هم بنو كنعان أما عن اليهود فلم يدخلوا الأرض إلا كغزوات لكنهم في دخولهم لفلسطين « يستندون على ما جاء في سفر يشوع من أسفار التوراة وتقوم على أن بني إسرائيل النازحين في الصحراء حملوا وعدا من ربهم يهوه بأنهم سوف يغزون بلادهم في نهاية المطاف وسيقومون بإبادة الكنعانيين السابقين وأنهم بدأو بغزو مدينة أريحا الكنعانية قبل أن يقوموا بغزو وتدمير بلاد كنعان »[1] أي: أن اليهود يزعمون أنهم السكان الأصليون لفلسطين حيث أنهم يبرهنون حجتهم هذه بسفر يشوع وهو سفر من أسفار التوراة وأنه جاء فيه دعوة إلى إبادة الكنعانيين وسلبهم الأرض منهم، « كان اليهود إبان العصر الفرعوني يقطنون بمصر، حيث كان الفراعنة يعاملونهم معاملة قاسية فاضطروا للهجرة من هناك تحت قيادة سيدنا موسى عليه السلام حيث هاجر بهم من مصر إلى سيناء ومن هناك نفد أمر ربه بالهجرة بقومه إلى فلسطين وذلك من أجل التخلص من الذل والهوان، لكن موسى عليه السلام توفى قبل أن يدخل الأرض المقدسة، حي تولى قيادة هذا القوم بعده يوشع فعبر نهر الأردن وحاصر مدينة أريحا الفلسطينية وعامل سكان هده الأرض بالوحشية »[2]، معنى ذلك أن موسى عليه السلام عندما قرر الخروج من سيناء كان بأمر من الله تعالى لكنه وافته المنية قبل الهجرة، فتولى قيادة القوم يوشع لكنه دخل فلسطين بوحشية من خلال اغتصابه للأرض ومن عليها، وعلى هذا النحو دخل اليهود إلى فلسطين.

ب- الآشوريون: لم تشهد فلسطين حملات الغزو من اليهود فقط وإنما تم غزوها من طرف الآشوريون وهم « بدو من السامين الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى شمال العراق (...) وقد هاجم الملك الآشوري "ثغلاث فلاسر الثاني" فلسطين بعد أن رفض اليهود دفع الجزية له واستولى على منطقة الجليل وعلى السهل الساحلي الفلسطيني

[1] ماهر الشريف: تاريخ فلسطين القديم في الكتابة العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية،دون هيئة الصدور ،ع99، د ب، 2014، ص73.
[2] ينظر: رفيق شاكر التنشه وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافيتها،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1991، ص23-24.

»[1]، وبهذا القول نستنتج أن دخول الآشوريون إلى بلاد فلسطين كان بسبب اليهود، حيث كان حكم الآشوريون يمتد إلى بلاد الشام ولهذا يتم فرض الجزية على هذه البلاد وعند الرفض أتى الرد الاستيلاء والغزو من طرف الآشوريون.

ج- الكلدان:« ينتسب الكلدان إلى قبيلة "كلداي" السامية الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى شمال العراق حيث تمكن حاكمهم من خلع الحكم الآشوري عن بلاده وأسس دولة كلدانية عرفت بالدولة البابلية (...) اكتسح "بختنصتر" الشام ودفعت له الجزية ولما رفض اليهود دفع الجزية "لبختنصتر" ثاروا عليه قرر أن يؤذبهم فجرد حملة قوية حاصرت مدينة أورشاليم (القدس) »[2] فمن خلال هذا القول نرى أن السبب الذي جعل الكلدان يغزون فلسطين هو نفس سبب الآشور، فاليهود يرفضون دفع الجزية في كل مرة ولأي كان.

د- الفرس: « الفرس أمة شرقية لهم تاريخ كبير وحضارة قديمة راقية، أسسوا دولة فارسية عظيمة (...) وأخذت في التوسع التدريجي (...) وقد ساعد اليهود الذين يقيمون في بابل "كورش" الفارسي في فتحه لمدينة بابل، كعادتهم إذ أن ولائهم دائما للقوي، وقد سخرهم كورش هدا لخدمته وعليه فقد أمر قسما منهم بالعودة إلى فلسطين (...) وقد استخدم "كورش" اليهود العائدين إلى فلسطين جواسيس (...) وقد تمكن "قمبيز" الفارسي ابن "كورش" من فتح مصر وأصبحت الإمبراطورية تمتد من نهر النيل وبحر إيجه وشواطئ البوسفور غربا إلى نهر السند شرقا، وهكذا خضعت فلسطين كغيرها من بلاد الشام للحكم الفارسي »[3]، ويدل هذا على أن الفرس معروفين بعراقة حضارتهم، وذيع صيتهم حيث فتحوا بابل وما ساعدهم في ظل الوصول إلى فلسطين هو تواجد اليهود هناك وأمرهم بالعودة إلى فلسطين والعمل كأتباع وجواسيس لهم، حيث فتحو مصر وما جاورها وكان حال فلسطين من حال هذه الأخيرة.

---

[1] رفيق شاكر النتشه، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص26.
[2] المرجع نفسه، ص26.
[3] نفسه، ص26-27.

و- اليونان: « تعدى ملوك الفرس على البلاد اليونانية فأيقضوا همة الفاتح الكبير " إسكندر المكدوني " وألهبوا عزيمته فهجم بجيوشه على آسيا وتشوق إلى امتلاك الشرق »[1] أي: أن الفرس أيقظوا نار الغزو في نفس "المكدوني"ما أذى به إلى التطلع إلى امتلاك آسيا، والجدير بالذكر أن "اسكندر المكدوني" « استولى على بلاد آسيا الصغرى وبلاد الشام وانتزعها من الفرس، ثم توجه "الكسندر" إلى فلسطين نحو مدينة أورشاليم (القدس) وفتحت المدينة أبوابها له (...) وظل الحكم اليوناني فلي فلسطين إلى أن انتزعها منهم الرومان »[2]، أي: أن "المكدوني"انتزع بلاد الشام من أيدي الفرس بما فيها فلسطين حيث فتح مدينة أوشاليم وظل حكمه قائم هناك حتى انتزاعها من طرف الرومان.

ز- الرومان: « ورث الرومان أجداد الإيطاليين مملكة اليونان ومدينتهم في الغرب والشرق (...) فنقول أنه ظهر في فلسطين قائد روماني يدعى "بومبي" فاكتسحها وقضى على الحكومة اليونانية السلوقية بلا كبير عناء لأن البلاد كانت فوضى فالكلمة متفرق والأحكام جائرة والحكام منهكون في ملذاتهم »[3]، أي: أن الحكومة اليونانية التي كانت حاكمة هذه البلاد قبل الرومان كانت حكومة يمكن القول عنها فاسدة بسبب عدم الاتحاد بين حكامها وجورهم هذا الأخير ساعد الرومان على اكتساح البلاد والدخول إليها بدون شقاء وعناء، أي لم يكلفهم هذا جهدا.

ومما لاشك فيه أن مناخ فلسطين وخصوبة تربتها قد ساعد الرومان على حب امتلاكها، فقد « ركزا على الزراعة في فلسطين واهتموا بالغابات والحيوانات، كما أنهم اهتموا بالصناعة والتجارة كما أن فلسطين حظيت بقدر كبير من طرفهم فزينوا مدنها وبنوا القصور والمسارح والحمامات والملاعب والهياكل وغير ذلك من المرافق

[1] عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، دط، مصر، دس، ص50.
[2] رفيق شاكر النيشه وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص27.
[3] عمر الصالح البرغوتي،خليل طوطح، تاريخ فلسطين، ص58.

العمرانية »[1] ومن هذا القول يتضح لنا أن الرومان وبالرغم من دخولهم الأرض الفلسطينية كمن سبقهم أي كغزاة إلا أنهم لم يفسدوا فيها وإنما طوروها من ناحية العمران والزراعة وأقاموا التجارة وغيرها، وهكذا بقيت فلسطين في أيدي الرومان حتى جاء الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

3- فلسطين من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية (639-1096م):

أ- فلسطين في عهد الخلفاء الراشدين:

حازت فلسطين على مكانة مرموقة عند مختلف الشعوب الإسلامية، إذ تمثل مركز هام للعديد من الدول الأخرى بفضل موقعها الإستراتيجي المطل على دويلات متطورة أخذت عنها وتأثرت بها، وقد اهتم بها المسلمون منذ الفتح الإسلامي، ويعود هذا الاهتمام « لأن فلسطين بلد مقدس عند أصحاب الديانات السماوية الثلاث من أتباع موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، لأنها الأرض التي سرى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم منها عرج إلى السماء فصارت أرض الإسراء والمعراج، لأنها أرض الأنبياء، ففيها عاش ودفن كثير من الأنبياء فاستحقت لقب أرض الأنبياء، ولأن فلسطين تتمتع بموقع استراتيجي هام أعطاها إضافة لمكانتها الدينية بعدا أكبر وأعظم، فهي ذات وقع يربط قارات العالم بعضها بعضا وهي ملتقى للحضارات العالمية في حقب تاريخية مختلفة »[2]، اهتم المسلمون بفلسطين وأولوها عناية متميزة عن غيرها على اعتبار أنها مكان مقدس مرتبط بالأنبياء والرسل، وخاصة أنها –كما سلف الذكر- البلاد التي سرى بها الرسول صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس وأنها مهبط الأنبياء ومسكن العديد منهم ومن ناحية موقعها الإستراتيجي كذلك، إذن فلسطين لها قيمة دينية أكثر مما هي تاريخية، لهذا عني بها المسلمون وأعطوها مكانة خاصة، وقد كان هدف

[1] رفيق شاكر النتشه وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص28.
[2] المرجع نفسه، ص29.

المسلمون من الفتح الإسلامي هو نشر الدعوة الإسلامية أي الإسلام وذلك عن طريق الإرشاد والسلوك الحسن والبعد عن العنف وما ينفر منه الناس.

وقد كانت لدى الخلفاء الراشدين جهود عدة من أجل فتح بيت المقدس الإسلامي، ففلسطين تمثل جزءا من الكل الشام « وقد شملتها خطة الخليفة أبي بكر الرامية لفتح بلاد الشام من الروم البيزنطيين، فقد أعد "أبو بكر الصديق" أربعة جيوش لفتح الشام (...) وضع "عمر بن العاص" على رأس الجيش الذي خصص لفتح فلسطين، وقد وصل كتاب أرسله "أبو بكر الصديق" إلى قائده "خالد بن الوليد" الذي كان يحارب في العراق يأمره فيه بالتوجه إلى بلاد الشام ليساعد جيوش المسلمين في حربها ضد الروم البيزنطية، و قد تولى "خالد بن الوليد" قيادة جيوش المسلمين مجتمعة في اليرموك »[1] ، ولأجل فتح بيت المقدس وضع أبي بكر الصديق خطة من أجل فتح بلاد الشام كافة وفلسطين من ضمنهم لتخليصهم من الروم البيزنطيين، وقد وضع "أبي بكر""عمرو بن العاص" على رأس الجيش الذي خصص لفتح فلسطين وأولاه مسؤولية تحرير هذه البلاد من العدو المستوطن داخلها، بعدها قام الصديق "أبي بكر" ببعث رسالة "للخالد بن الوليد" ليأتي من حربه في العراق والتوجه إلى الشام لمساعدتهم في حربهم ضد البيزنطيين.

بعد خلافة "أبي بكر الصديق" أتت خلافة "عمرو بن العاص" ثم "عمر بن الخطاب" والذي يعد فاتح المقدس « وقد أقروا بأن فاتح هذه البلاد المقدسة يتكون اسمه من ثلاثة أحرف ألا وهو "عمر بن الخطاب"، وحين أتى أمير المؤمنين إلى الجابية، – تم الصلح مع المقدسيين–، حضر إليه رجل من اليهود، وقال له: " يا أمير المؤمنين لا ترجع إلى بلاد حتى يفتح الله عليك إيلياء"، بعدها دخل عمر الشام، فقال له يهودي آخر "السلام عليك يا فاروق ! أنت صاحب إيلياء، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء"، وقد كان هذا اليهودي الأخير قد شهد الصلح بين المسلمين والمقدسيين (أهل إيلياء) واليهودين رحبوا بالعرب المسلمون حينما باشروا في فتح بلاد الشام،

[1] رفيق شاكر النتشه، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص30.

لأنهم كانوا مضطهدين من طرف الدولة البيزنطية وبذلك كان مجيء العرب استبشارا للخلاص من البيزنطيين »[1]، من خلال هذا يمكن القول بأنه اليهود دعموا دخول العرب المسلمين ومجيئهم لفتح بيت المقدس، والذي من خلال حملات المسلمين نحوهم يتخلص اليهوديين من سيطرة واحتلال البيزنطيين، "فعمر رضي الله عنه" من فاتحي بيت المقدس وهو المزعوم لفتحها، "وعمر بن الخطاب" عاهد أهل بيت المقدس أو كما تسمى أورشليم والتي قام بها أثناء العهدة العمرية « بسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله: "عمر أمير المؤمنين" إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنهم لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود (...) »[2]، من خلال هذا القول نستطيع أن نقول "عمر رضي الله عنه" عاهد سكان بين المقدس بإبقاء مدينة (إيلياء) آمنة مستقرة وأن لا يتعرض أهلها لأي مضايقة لا من طرف المسلمين ولا من غيرهم، فهم في مأمن من أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وشعائرهم وكذا صلبانهم، كما أقام لهم عهدا خاصا بهم يقتضي عدم سكن كنائسهم، بالإضافة إلى عدم هدمها وعدم الإنقاص كذلك من إطارها أو حزيها أو صلبانهم، ولا يسكن بإيلياء أو بيت المقدس مع سكانها أحد من اليهود بمعنى آخر أن "عمر" قد كتب الأمان لسكان المقدس في كل ما يفعلونه من ممارسات تخصهم ولا يعترضهم اليهود ولا يسكنون معهم بإيلياء.

ب- فلسطين في العهد الأموي:

حفل العصر الإسلامي بالعديد من الامتيازات التي تحققت فيه، من انتشار الإسلام وكذا الاهتمام بفلسطين ومحاولة تأمين الحماية لها ولشعبها والتحذير من استيطانها، وقد استمر ذلك حتى العهد الأموي

[1] ينظر:ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص137.
[2] عمر الصالح البرغوثي، تاريخ فلسطين -3-، ص91-92.

«وتنسب الدولة الأموية إلى "أمية بن عبد شمس بن عبد مناف"، وكان سيدا من سادة قريش »[1]، بمعنى أن دولة بني أمية قامت على يد سيد قريش وهو "أمية بن عبد مناف"، فقد كان ذا جاه وسلطة ونفوذ في قبيلة قريش فنسبت الدولة الأموية له، ومنهم من يرجع خلافة الدولة الأموية لمعاوية بن "أبي سفيان "« فبوفاة علي بن أبي طالب (...) مضت هذه الجمهورية العربية وابتدأت الحكومة الأموية بمؤسّسها الكبير والإداري القدير "معاوية بن أبي سفيان" الذي لم يكن طموحه إلى الخلافة شرها بل كان رجلها الفد بطل بني أمية الفرد الذين هم كانوا زعماء قريش في الجاهلية »[2]، نلاحظ في هذا القول أن الدولة الأموية نضجت على يد المؤسس "معاوية بن أبي سفيان" وذلك بعد منية "علي بن أبي طالب"، فقد تطلب حاكم لهذه الدولة لكي لا تبقى دون حاكم أو مسؤول، فانتخب معاوية لتسير شؤون هذه البلاد لأنه من الحكماء وكذا من زعماء قريش في العهد الجاهلي « كان الأمويون يهتمون بدولة فلسطين وأمورها، وكذا اهتمامهم برفع شأن بيت المقدس، فقام العديد من الخلفاء بمحاولة تطوير فلسطين، فشيد "الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان" المسجد الأقصى، ومسجد الصخرة المشرفة عام 685م، وأمر كذلك ببناء قبة واسعة تغطي سقف ذلك المسجد عام 691م، وقد خص هذه القبة بعبارة تدل على أنها قامت وبنيت في عهده فقد خصها له بعبارة: " بنى هذه القبة "عبد الله عبد الملك بن مروان" أمير المؤمنين سنة اثنتين وسبعين"، وقد جاءت هذه القبة للمسجد آية للفن المعماري العالمي، فجاءت على شكل مثمن طول كل ضلع من أضلاعه عشرون مترا وارتفاعه عشرة أمتار وتعد من أهم آثار الأمويين وأبدعها... وتعد من أعظم العمران الإسلامي في الفخامة والجمال وإبداع الزخرفة وبساطة التصميم »[3]، من هذا يتبين لنا بأنه الدولة الأموية اهتمت بفلسطين وبالقدس خاصة، فأقيم تشييد من طرف الخلفاء للمسجد الأقصى وكذا مسجد الصخرة المشرفة وبنيت قبة كبيرة وشاسعة غطت سقف هذا المسجد والتي أقامها عبد الملك بن مروان وسميت

[1] أحمد الدبش، موجز تاريخ فلسطين، ص445.

[2] عمر صالح البرغوتي، تاريخ فلسطين، ص112.

[3] ينظر: رفيق شاكر النتشه، وآخرون ،تاريخ فلسطين وجغرافيتها، المرحلة المتوسطة، ص31-32.

باسمه، إلا أن هذه القبة اعتبرت على أنها آية في الجمال بتراكيبها وفنها المعماري المتميز، حيث أن هذه القبة شكلها هو مثمن جاء طول الضلع الواحد منه عشرون متر، وارتفاعه عشرة أمتار، فهو تنسيق تام وشامل، يبرز عظمة الأمويين في التشييد والعمارة فقد عدة من بين أبرز وأرقى معالم وآثار الدولة الأموية بفضل الإبداع فيها على الرغم من بساطة التصميم، نضيف إلى ذلك « أن المآذن والمحاريب التي أنشأها الأمويون في الحرم القدسي الشريف كانت وقتذاك أقدم ما عرفته بلاد الشام في جوامعها لأن الأمويين هم أول من استحدث المأدبة والمحراب في الجوامع الإسلامية »[1]، كما نخص بالذكر هنا أن الأمويون كان لهم فضل السبق في إنشاء المآذن والمحاريب الخاصة بالمسلمين في الحرم القدسي وفي العالم الإسلامي وجوامعه عامة، فيعد أول ما تعرفت عليه بلاد الشام في ذلك الوقت هذه المآذن، وبذلك فالفضل يعود لدولة بني أمية في إدخال هذا الاستحداث على أنها القطر الإسلامي،« بعدها أعاد "الخليفة عبد الملك بن مروان" وابنه "الوليد بن عبد الملك "بناء مدينة القدس من جديد، وقاما بتجميلها، ثم أشاد فيها عددا من المساجد والقصور وأعاد بناء الأسوار المحيطة بالمدينة، ومن بعدها نزل الخلفية سليمان بن عبد الملك مدينة القدس عام 720م بعد وفاة أخيه "الوليد بن الملك"، وأتته الوفود الإسلامية تقدم له البيعة بالخلافة كما كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يجل مدينة القدس، واهتم بشؤونها وشؤون البلاد الفلسطينية »[2]، بعد هذا الحدث الذي أقامه الأمويون في إنشاء المآذن والمحارب في الجوامع الإسلامية، أعاد "عبد الملك" وابنه "الوليد" بناء مدينة القدس من جديد وشيد مساجدها وقصورها وأعاد ترميم وبناء أسوار المدينة وجدرانها المحيطة بها، أي أنه أحسن للبلاد وأبهى حلتها، ثم بعد وفاة" الوليد"، نزل أخيه "سليمان بن عبد الملك" لمدينة القدس، وهرع له العديد من الناس لكي يقدمون له البيعة بالخلافة كما سبقهم "عمر بن عبد العزيز" لمدينة القدس واهتمامه بشؤون بين المقدس وكذا شؤون البلاد الفلسطينية على العموم.

[1] رفيق شاكر النتشه،تاريخ فلسطين وجغرافيتها، ص32.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

ج- الدولة العباسية بفلسطين:

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية، وقد شهد العباسيون تطور مس جميع جوانب الحياة العلمية والثقافية والأدبية، فكان عصر التطور والازدهار بحق حيث ترجمت الكتب والمعاجم وكذا أنشئت المكتبات واستحدثت الطباعة وكذا في فلسطين اهتم العباسيون بشؤون هذه البلاد وأولوها عناية خاصة بها، فقد « حاول العباسيون محو آثار الأمويين في بلاد الشام ويتضح ذلك فيما فعلو بالمسجد الأقصى الذي بناه الخليفة "عبد الملك بن مروان "عام 693م وأتمه ابنه "لوليد" عام 705م وكذا مكان مسجد الخليفة "عمر بن الخطاب"، حيث أن بناء المسجد أصابه شيء من الخراب والدمار في الزمن العباسي، فقد قام الخليفة العباسي بزيارة بيت المقدس وأمر بترميمه، وعند الانتهاء من ترميمه استبدلوا اسم "عبد الملك" وهو بانيه في العهد الأموي باسم "المأمون" وهنا تتضح بأن البارة متناقضة "بنى هذه القبة "عبد الله الإمام المأمون"... »[1]، من هنا يتبين لنا بأن الدولة العباسية في دخولها الشام وخاصة فلسطين دخلت وأول أمرها هو القضاء على مخلفات الدولة الأموية، فقد غيروا في المسجد الذي بناه "عبد الملك بن مروان" وزوّروا اسم القبة التي خطّها عليها" الخليفة عبد الملك "في العهد الأموي، وقد شهد خراب فيه، كما أن العباسيون عند زيارة بيت المقدس أعادوا ترميمه وتصليحه، « رمّم الخليفة العباسي "المهدي بن المنصور "ما أصاب الحرم القدسي من خراب نتيجة الزلزال عام 775م، وقد زار الخليفة العباسي المأمون بيت المقدس عام 831م، وقد قام بترميم العديد من مباني الحرم القدسي في القدس، فنقل بأن الخلفاء العباسيون اهتموا كغيرهم من الحكام المسلمين بأمر فلسطين وخاصة بيت المقدس، والتي حازت على العديد من الرعاية والاهتمام والعناية المخصصة لها »[2]، أولى العباسيون مكانة هامة لتشييد وترميم ما أصاب القدس بخاصة نتيجة للزلازل أو قدم بناءها أو غيرها، فالعباسيون اهتموا بأمر فلسطين شأنهم شأن الذين سبقوهم

[1] ينظر، أحمد الدبلش، موجز عن تاريخ فلسطين، ص472-473.

[2] ينظر :رفيق شاكر النتشه، وآخرون: تاريخ فلسطين وجغرافيتها، المرحلة المتوسطة، ص32.

من الحكام المسلمين واهتموا بالدرجة الكبرى بيت المقدس فيها، فأولوها الرعاية والعناية واهتموا بها بشكل كبير«بعد انتهاء حكم العباسيون على فلسطين ببداية ضعفهم وتفككهم، انتهى العصر العباسي بمقتل الخليفة العباسي المتوكل سنة 861م، مما أعطى الولاة أن يشكلون لأنفسهم سلطات محلية ووراثية »[1]، بعد الازدهار الذي شهدته الدولة الفلسطينية من خلال الدولة العباسية من مختلف الترميمات والتشييدات على المباني وبيت المقدس والمساجد وغيرها، سقطت الدولة العباسية وذلك بعد تفككها وضعفها بعد مقتل الخليفة العباسي المتوكل، فسيطر عليها الولاة وغيرها فاضمحلت الدولة العباسية مخلفة وراءها العديد من الآثار.

د- فلسطين في العهد الفاطمي:

ظهر الفاطميون بعد سقوط الدولة العباسية بوفاة الخليفة فقد « تمكن الفاطميون الذين ينتمون إلى المذهب الإسماعيلي من السيطرة على فلسطين وخاصة صراعات مع الثورات المحلية ومع القرامطة والأتراك والسلاجقة للسيطرة على فلسطين »[2]، أي بمعنى أن الفاطميون هم من أتباع المذهب الإسماعيلي وكان هدفهم الوحيد هو السيطرة على فلسطين وأخذها، وقد أحدثوا عدة صراعات من أجل الانتصار بها.

إضافة إلى ذلك، فقد اهتم « الحكام الفاطميون ببيت المقدس، فأعاد الخليفة الظاهر علي أبو الحسن بناء قبة الصخرة عام 1022م، والتي كانت قد سقطت من قبل عام 1016م، إلا أن مدينة القدس وقعت في يد السلاجقة عام 1071م، وطردوا الفاطميين منها، فعلى الرغم من طردهم إلا أنهم لم يستسلموا، وحكم السلاجقة لفلسطين لم يدم طويلا فقد استعادها الفاطميون عام 1098م، لكن سيادتهم الثانية هذه على فلسطين وبيت المقدس لم تدم طويلا بل كانت مدة قصيرة وذلك لزحف الصليبيين عليهم والاستيلاء على

[1] ينظر، محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية، تطوراتها المعاصرة، ص18.
[2] المرجع نفسه، ص18.

فلسطين في صيف ذلك العام »[1]، وهكذا نشير إلى أن الفاطميون قد اهتموا بالقدس وخاصة بيت المقدس فأعادوا بناء قبة الصخرة والعديد من الإنجازات، إلا أن السلاجقة حاربوهم وطردوا الدولة الفاطمية من فلسطين، لكن ذلك لم يدم طويلا، فهذه الأخيرة (الدولة الفاطمية) لم تستسلم وأرجعت سيادتها على فلسطين إلا أن حكمهم في المرحلة الثانية لم يدم طويلا وانقض الصليبيون على فلسطين، وكان بذلك نهاية حكم الفاطميين عليها.

هـ- الصليبيون في فلسطين:

توافد العرب على فلسطين من أجل ريادة وسيادة هذه الدولة العظيمة من أجل الاستيلاء على بلدها المقدس ألا وهو بيت المقدس، حيث توالى العديد من الغزاة عليها من أوروبا وغيرها من البلدان الأخرى وتعرضت لعدة هجومات من بين أبرزها الحملات الصليبية الأوروبية « هي حرب نصرانية ضد العالم الإسلامي، وهي حرب بين الشرق والغرب »[2]، وهذا يدل على أن الحملات الصليبية هي مجموعة حروب نصرانية قام بها الصليبيون ضد المسلمين والفلسطينيين، كما أنها حروب بين الجزء الشرقي والجزء الغربي.

ونستطيع القول بأن الحملات الصليبية دخلت فلسطين بفضل تفكك الدولة الأموية وسقوطها، وكذا الدولة العباسية التي انقسمت بعدها للفاطميين هذه الأخيرة ساهمت بشكل كبير في دخول الصليبيين لبيت المقدس وفلسطين عامة « وتمكنوا من احتلالها وسيطروا على القدس، لكن المسلمين يمتلكون الكثير من القوة والحيوية وكانت أرقى حضاريا وعلميا من الصليبيين الأوروبيين، بالرغم من الأوضاع التي كانت تعاني منهم كالصراعات السياسية والحروب الداخلية (...)، كما نستطيع أن نذكر أن من بين أبرز من ساهم في تحرير القدس من الصليبيين صلاح الدين الأيوبي الذي حرر أكثر من خمسين مدينة وقلعة من الصليبيين، فقد رفع راية الجهاد

[1] ينظر: رفيق شاكر النتشه، وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافياتها- المرحلة المتوسطة-، ص32.
[2] المرجع نفسه، ص34.

وأعاد توحيد الشام ومصر، خاض (معركة حطين) مع هؤلاء الصليبيين وكان الانتصار له هذه المعركة كانت النقطة التي أدت إلى تحطيم الوجود الصليبي وفتح بيت المقدس »[1]، من هذا نقول بأن الصليبيين احتلوا البقاع المقدسة، إلا أن المسلمين لم يفسحوا لهم مجال، فقد حاربوهم بكل ما استطاعوا برغم الظروف التي شابتهم وكانوا يعانون منها، إلا أن صلاح الدين أتى لمواجهة الصليبيين وتخليص الفلسطينيين والمسلمين منهم، فخاض (معركة حطين) وكانت الضربة التي قضت على الصليبيين وحكمت وجوده، « فبعد أن تسلم "صلاح الدين الأيوبي "القيادة تمكن من القضاء على كل المؤامرات الداخلية والخارجية (...)، فقد كان له العديد من الامتيازات التي حضي بها، وقد احتل العديد من الدول من بينها أيلة (العقبة) وكذا أنهى الوجود الفرنجي كذلك في البحر الأحمر »[2]، بعد تسليم القيادة "لصلاح الدين" حاول تسوية الأمور الداخلية والخارجية للدولة الفلسطينية، إضافة إلى أنه قام باحتلال العديد من الدول من أجل تخليصها من مستعمراتها.

و- المماليك في فلسطين:

بعد وفاة "صلاح الدين الأيوبي" حدث خوف مسّ العالم الإسلامي خاصة، هذا الفراغ الذي تركه لم يستطع أي أحد من ولاته تعويضه لا من قبل الأبناء أو الأحفاد ولا غيرهم « بسبب هذا التفكيك والخلافات بين الأبناء للبيت الأيوبي، استطاع الفرنجة انتزاع مزيد من الأراضي العربية بهدف توسيع رقعة ممالكهم، فاستولوا على معظم الساحل الشمالي، من عسقلان جنوبا إلى طرابلس شمالا ناهيك عن بعض المناطق في الداخل ومنها صفد، وازدهرت رقعة ممالك الفرنجة اتساعا »[3]، من خلال هذه الأوضاع الداخلية والسياسية التي حدثت داخل البيت الأيوبي من انقسامات بين أفراده، تمكن الإفرنجيون من السيطرة على مزيد من الأراضي العربية وذلك بغية توسيع مملكتهم فاستولوا على مناطق عدة في كل منطقة تزداد رقعتهم اتساعا وانتشارا، « خلف المماليك الدولة

[1] ينظر، محمد حسن صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص19.
[2] ينظر، فوزي محمد حميد، فلسطين التاريخية، الأرض، الإنسان، الحضارة، دار الكرامة، ط1، دمشق 2003، ص334.
[3] أحمد الدبلش، موجز عن تاريخ فلسطين، من أقدم العصور حتى نشارف القرن الحادي عشر، ص537.

الأيوبية سنة 1250م، واجهوا الزحف المغولي على أرض فلسطين في معركة عين جالوت (...) سنة 1250م، واجهوا الزحف المغولي على أرض فلسطين في معركة عين جالوت (...) بقيادة قطز (محمود بن ممدود) وهي من بين المعارك الفاصلة في التاريخ، بعدها تابع المماليك مشروع تحرير فلسطين وبلاد الشام من مخلفات الصليبيين، فقام "بيبرس" بمجهودات كبيرة، واسترد مناطق عديدة في فلسطين والشام عامة، ثم بعده "سيف الدين قلاوون" ثم بعده ابنه "الأشرف بن قلاوون" الذي أنهى الوجود الصليبي في بلاد الشام بإسقاط مملكة عكا الصليبية »[1]، إذن فالمماليك ظهروا بعد سقوط الدولة الأيوبية أي دولة "صلاح الذين الأيوبي" حيث أتموا ما كان يقوم به "صلاح الدين" من محاربة الصليبيين وإبعادهم عن بيت المقدس وعن المسلمين كافة، فقام العديد من القادة باسترداد مناطق فلسطينية وشامية وذلك من خلال الإطاحة بالعدوان الصليبي وتحرير فلسطين منهم.

4- الدولة العثمانية: لقد كان للدولة العثمانية أيضا حظ في الدخول إلى فلسطين وفتحها وأخذها من يد المماليك، لكن المعروف عن هذه الأخيرة أنها دولة مسلمة تدعم المسلمين أينما حلوا وأينما هم رحلوا، حيث دخلوا فلسطين « بعدما فتح السلطان سليم سورية ثم أقبل على فلسطين والتقى قرب اللجون بجيش سلطان المماليك "طومان باي"، فهزمه وكر على المدن الفلسطينية فاستولى عليها ثم زحف إلى مصر ففتحها وعاد إلى الأستانة وهكذا دخلت فلسطين في حوزة الدولة العثمانية »[2] أي: أن دخول العثمانيين إلى فلسطين كان بعد فتح سوريا وإسقاط دولة المماليك من طرفهم وهكذا أصبحت فلسطين تابعة للدولة العثمانية.

5- فلسطين والاستعمار الحديث:

لم يسلم تاريخ فلسطين من الاستعمار منذ الأزل إلى يومنا هذا، فقد سفكت الدماء منذ عهد الكنعانيين ولا زالت تسفك حتى الآن، والجدير بالذكر أن الاستعمار الذي شهدته فلسطين في العصر الحديث إلى يومنا هذا

[1] محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصر، ص20.
[2] أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، دار المعارف، دط، 1955، ص33.

كان أشدهم قسوة وأطولهم مدة، ولابد من الإشارة إلى أن دخول هذا الأخير إلى فلسطين كان « مع ظهور الضعف في أوصال الدولة العثمانية ومع ظهور حركة الاستعمار العربي والصراعات بين الدول الغربية حول تقسيم أملاك الدولة العثمانية التي كان يرمز لها " بالرجل المريض "بدأ اليهود يستعملون كل هذه الأمور لصالحهم وصالح قضاياهم »[1]، أي أن الوهن الذي ظهر في أوصال الدولة العثمانية كان من أولى الأسباب التي ساعدت اليهود على استغلال الفرص ومحاولة الاستيطان والتوغل في فلسطين، حيث سميت حركة اليهود هذه "بالصهيونية" التي عرفت أنها: « حركة يهودية قومية تستهدف خلق دولة يهودية في فلسطين التي يعتبرونها أرض إسرائيل »[2]، أي أن الحركة الصهيونية حركة يهودية والمعروف عنهم منذ القدم أنهم دخلوا فلسطين مع "يوشع" كغزاة لكنهم يعتبرون فلسطين موطنهم ولهذا حاولوا خلق دولة يهودية في فلسطين.

ولا يفوتنا أن ننوه على أن هذه الحركة « ظهرت مع مؤسسها الأول "تيودور هرتزل" الذي ألف كتاب "الدولة اليهودية" سنة 1795م، وفيه ارتأى أن الحل هو قيام الدولة اليهودية من أولئك الذين لا يطيقون البقاء في البلاد التي تضطهدهم، لكنه لم يعين الدولة المنشودة، فعندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول عينوا فلسطين أن تكون دولة للهيود كونها أرض إسرائيل، مركز الدولة الإسرائيلية »[3] ولعل المتأمل في هذا النص يذهب إلى أن المؤسس الفعلي للصهيونية هو "هرتزل" حيث أنه أول من ارتأى إلى قيام دولة يهودية بسبب الشتات الذي ألم بهم، وعدم وجود دولة خاصة بهم تلم شملهم، ومن هنا قرروا أن تكون هذه الدولة هي فلسطين كونها أرض إسرائيل.

استنادا إلى ما سبق لا يمكننا القول إلا أن أرض فلسطين سكنها العديد من الأقوام عبر التاريخ، أي منذ نشأتها الأولى، حيث تكونت على هذه الأرض العديد من الحضارات الإنسانية، وسكنها العديد من الأجناس

[1] حسن محمود العطار، القضية الفلسطينية رؤية إسلامية، ص21.
[2] سالم حسين عمر البرناوي، القضية الفلسطينية، دراسة سياسية وثائقية، منشورات جامعة قاز يونس، ط1، بنغازي ، 1999، ص21.
[3] أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص43.

البشرية المختلفة وكان لليهود الحضور في كل مرة كانت تغزى فلسطين، حتى قاموا باحتلالها ومحاولة إقامة دولتهم الخاصة على هذه الأرض والملاحظ أن كل الأقوام الغازية لها على اختلافها لم تعثوا في هذه الأرض فسادا كالفساد الذي ألحقه اليهود بها، فحركتهم هذه المسماة بالصهيونية اغتصبت الأرض المباركة ووضعت فيها بصماتها القذرة، وألحقت بها أحداثا محزنة مآسي دامية، فكم من دماء سفكت وكم من أطفال شردت، ومنازل هدمت ونساء اغتصبت وأعراض انتهكت ولازالت تنتهك حتى يومنا هذا، فسلام على أرض خلقت للسلام وما رأت يوما سلاما.

الفصل الثاني: حضور القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية

كان الأدب خير وسيلة دافعت عن قضايا الإنسانية، فإن هذا الأخير انتهجه العديد من رواده وسيلتهم للتعبير عن آلامهم الدقيقة جراء مختلف القضايا، فسخروا أدبهم هذا للتعبير عن قضايا الأمة ملتزمين بها دون الرهاب من العواقب، والجدير بالذكر أن أبرز قضية أثبتت نفسها في الساحة الأدبية هي "القضية الفلسطينية"، أما عن أكثر نوع أدبي حاك هذه القضية بحذافيرها هو: « جنس الرواية » التي سخرت مسرحها لطرح كل حيثيات هذه الأخيرة.

وعطفا على ما سبق نخص بالذكر الرواية الجزائرية والقضية الفلسطينية، هذه الثنائية التي لطالما كانت نعم الرفيق لبعضها البعض، فالقضية الفلسطينية المغروسة في قلب كل جزائري والجزائري معروف بحبه الصادق الوفي لهذه الأرض الجريحة أثبتت نفسها بجدارة في كتاباته فلا يمكن أن نتصور أديبا وروائيا جزائريا لا يخرج قرائحه الكتابية والأدبية في سبيل التعبير عن هذه القضية، فهذه الأخيرة نجدها في كتابات الجزائري منذ القدم، وبالتالي فقلب الجزائري ينزف دما جراء الوضع الذي آلت إليه فلسطين وقرطاسه بدون أدبا يصف هذا الوضع المحزن الأليم.

أولا: لمحة عن الرواية الجزائرية ولمحة عن القضية الفلسطينية

تعتبر الرواية من الأجناس الأدبية النثرية، التي ساعدت الإنسان على رصد الواقع بحذافيره سواء بنقله حيا أو بتجسيده عن طريق الخيال، حيث أعانت هذه الأخيرة الأدباء على بث مختلف القضايا الإنسانية والاجتماعية على مسرحها، منها القضية الفلسطينية التي يمكن عدها من ابرز قضايا العصر والتي أولتها الكتابات الأدبية – الجزائرية– سواء الروائية منها أو غيرها الأهمية الكبرى واعتبروها قضيتهم التزموا بها وعبروا عنها، وللغوص في سبر أغوار هذه الأخيرة يجدر بنا أولا التطرق إلى تعريفات ومفاهيم الرواية الجزائرية والقضية الفلسطينية.

1- الرواية الجزائرية:

أ- مفهوم الرواية:

- لغة:

من الواضح التنويه إلى أن التعريفات الجامعة لكلمة "رواية" تعددت في مختلف معاجم اللغة العربية حيث نجد في (لسان العرب) "لابن منظور" كلمة "رواية" بمعنى: « روي من الماء، بالكسر، ومن اللبن يروى ريا وروى أيضا مثل رضا وتروى وارتوى كله بمعنى، (...) وقال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويهم إذا استقيت لهم (...) ورويت على أهلي ولأهلي ريا: أتيتهم بالماء (...) وروى الحديث والشعر برويه رواية وترواه (...) ويقال روى فلان شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، قال الجوهري: رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو »[1]، أي أن كلمة الرواية مأخوذة من المصدر روى بمعنى الارتواء بالماء أو اللبن ورويت بمعنى أسقيت، وروى الحديث أو الشعر بمعنى ألقاه على السامعين.

أما في (كتاب العين) "للفراهيدي"، فنجد: "روى: الرواء: حسن المنظر في البهاء والجمال، والرواء: حبل الخبيء أعظمه وأمتنه (...) وروى إذا أراد والري من الماء والأعضاء من الدم (...) والرواية رواية الشعر والحديث»[2]، أي: أن الرواية من روى ومنه الرواء وهو الشيء البهي الجميل والرواء، الحبل المتين، والري بالماء والكلام شعر أو حديثا.

[1] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، ط4، بيروت، 2005، ص280-281.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، تح عبد الحميد الهنداوي، مج2، ط1، بيروت، 2003، ص164-165.

أما في (المعجم الوسيط) فنجد كلمة "روى" بمعنى: « روى على البعير- ريّا: استقى و-القوم، وعليهم ولهم: استقى لهم الماء، (...) و-الحديث أو الشعر رواية: حمله ونقله فهو راو (...) والرواية: القصة الطويلة »[1]، ومعنى ذلك أن كلمة روى هنا تدل على ما يحمله البعير من الماء على ظهره واستسقاء القوم منه ونقل الحديث والشعر رواية، كما أنها تدل على القصة الطويلة.

نجد أيضا في "معجم (مقاييس اللغة) كلمة رواية من الفعل: « روى: الراء والواو والياء ثم يشتق منه، فالأصل ما كان خلاف العطش، ثم يصرف في الكلام لحامل ما يروى منه، فالأصل رويت من الماء ريّا، وقال الأصمعي: رويت على أهلي أروي ريّا، وهو راوي من قوم رواة، وهم الذين يأتونهم بالماء.

فالأصل هذا ثم شبه به الذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه، كأنه أتاهم يريهم من ذلك »[2]، أي: أن الرواية من الفعل روى حيث تدل على الإرتواء عكس العطش أو ما يحمل الماء ثم شبه منه كل ما يروى من علم.

يلاحظ من خلال القراءة الأولية لتعريف "الرواية" في معاجم اللغة العربية – المذكورة سابقا- أن هذه الأخيرة مأخوذة من الفعل "روى" يروي" "رواية" بمعنى الارتواء خلاف العطش أي شرب الماء واللبن، كما أنها تدل على البعير الذي يحمل الماء للارتواء منه، ثم أخذت من هذه الكلمة "رواية" بمعنى نقل الخبر أو الحديث وتدل أيضا على قراءة الشعر حيث يقال: روى شعرا.

- اصطلاحا:

المعروف عن الرواية أنها من الأنواع الأدبية النثرية، التي تشبه إلى حد كبير فن القصة من خلال السرد المطول للأحداث، وقبل الخوض في غمار مفاهيم جنس الرواية نتطرق أولا إلى رؤى المنظرين الأولين لهذا الفن.

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص384.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، دط، د ب ن، 1979، ص453.

- يرى "جورج لوكاتش" georglukacs أن الرواية هي: « النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي (...) إن الرواية ذلك النوع الملحمي الكبير، ذلك التصوير الحكائي للكلية الاجتماعية، هي القطب المقابل لملحمة العصور القديمة ونقيضها الجذري »[1]، أي: أن الرواية حسب "لوكاتش" تعد نوعا أدبيا يصور الواقع البرجوازي، أي أنها النموذج الحكائي للمجتمع البرجوازي ولهذا يشبهها بملحمة العصور القديمة لأنها تحاكي المجتمع البرجوازي كما تحاكي الملحمة الأبطال الوطنيين.

وفي كتاب آخر له بعنوان "نظرية الرواية" فيقول عنها بأنها « ملحمة عالم بغير آلهة وسيكولوجية البطل الروائي فهي سيكولوجية شيطانية، وموضوعية الرواية التي تقوم في الملاحظة الفحلة الناضجة تثبت بأن المعنى لا يستطيع أبدا أن ينفد إلى الواقع من أقصاه إلى أقصاه »[2]، أي أن الرواية في نظره تعبر عن العالم كالملحمة قديما لكنها بدون آلهة أما عن البطل الروائي فيكون بعقل شيطاني وموضوعية الرواية الناضجة معناها لا ينفد مباشرة إلى أقصاه.

ومن جهة أخرى نجد "باختين" Bakhtin: « يتخلى عن الربط المألوف بين الرواية والطبقة البرجوازية»[3]، أي أن "باختين" يرى عكس تصور "لوكاتش" نحو الرواية فهي حسبه ليست محاكية للمجتمع البرجوازي، حيث يرى أن الرواية تنوع كلامي (وأحيانا لغوي) اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية وتفكك

---

[1] جورج لوكاتش، الرواية كملحمة برجوازية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1979، ص9.

* البرجوازية: "طبقة نشأة في عصر النهضة الاوروبية بين الأشراف، ثم صار في القرن التاسع عشر مالكة لوسائل الإنتاج، وهي متوسطة بين طبقة النبلاء وطبقة الشعب، يتميز افرادها عن غيرهم بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لإحدى المهن الحرة، أما في اصطلاح الماركسيين فإن البرجوازيين هم الذين يمثلون النظام الرأسمالي"، [ينظر:جميل صليبا المعجم الفلسفي، بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ج2، وبيروت، 1982، ص 205]

** الملحمة: قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلد بين وطنهم، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، إذ تحكى على شكل معجزات ما قام بها هلاء الأبطال، وعنصر القصة واضح في الملحمة [ينظر:غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، د ط ، مصر، 1997،ص90].

[2] جورج لوكاتش، نظرية الرواية تر: الحسين سحبان، منشورات التل، ط1، المغرب، 1980، ص83.

[3] ميخائل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1987، ص15.

داخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية وطرق تعبير خاصة بمجموعات معينة (...) هذا التفكك الداخلي لكل لغة في كل لحظة من لحظات وجودها الاجتماعي هو المقدمة الضرورية للجنس الروائي »[1] أي: أن الرواية عبارة عن أصوات لغات قومية وأن هذا الجنس يقوم على اللغة المأخوذة من المجتمع.

في حين آخر يدرس "مارت روبير" Robert Mart« الرواية في التحليل النفسي الفرويدي (الأوديسة) بشكل خاص وترى في هذه البؤرة أو العقدة أصل ومنطق التحليل الأدبي النفسي و التاريخ والمجتمع ليسا سوى أدوات ثانوية »[2] ومن هذا يتضح لنا موقف "روبير" من الرواية القائم على التحليل النفسي أي أن العقد هي التي تدفع بصاحبها إلى الكتابة أما التاريخ والمجتمع فهما وسيلتان ثانويتان.

كانت هذه آراء البعض من منظري الجنس الروائي، والآن ننتقل إلى مفاهيم الرواية في المتباينة التي نرى أنها تعيننا في دراستنا هذه، ونبدأها برأي "بيير شارتيه" chartier pierre في كتابه (مدخل إلى نظريات الرواية) تعريفا للرواية (معجم لاروس) فيقول: « مؤلف يقوم على الخيال ويتشكل من محكي مكتوب نثرا ذي طول معين تكمن أهميته في سرد المغامرات، وعرض الأخلاق أو الطبائع وتحليل العواطف والأهواء »[3]، أي: أن الرواية أساسها الحكي القائم على الخيال حيث تعرض المغامرات والأخلاق والطبائع والعواطف والأهواء وفي نفس الكتاب يورد "شارتيه" تعريفا آخر للرواية من (معجم روبير) فيقول: « مؤلف يقوم على الخيال مكتوب نثرا طويل نسبيا، يعرض ويجسد وسط معين شخصيات يقدمها باعتبارها واقعية ويعرفنا بنفسيتها ومصيرها ومغامراتها »[4]،

[1] ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دط، دمشق 1988، ص11.
[2] لبيبة صالح، رواية الأصول وأصول الرواية، رقم العدد 646، 1جويلية 2017، ص232.

[3] بيير شارتيه، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2001، ص10.
[4] المرجع نفسه، ص10.

وهذا التعريف ينطبق إلى حد ما مع تعريف معجم لاروس من خلال أنه جنس نثري قائم على الخيال يقدم شخصيات ويعرف بمغامراتها ونفسيتها.

ومن زاوية أخرى نجد البعض من الدارسين من يروا أن « الرواية –كالقصة- ولكنها تختلف عنها عامة في الأحداث والشمول والتصوير والحيز الذي تدور فيه، والزمن الذي تستغرقه »[1]، واستنادا على هذا القول فإن الرواية تشبه ملامحها القصة لكنها أشمل منها لأنها تكون أبلغ منها في التصوير وأكبر منها في الحيز والزمن، «فالرواية تقوم على حادثة أساسية واحدة، موضوعها واسع إذ يصور الكاتب فيه أحداثا في زمن ممتد، وهي مجال كبير للوصف والتفصيل يمكن للكاتب أن يطيل فيها أو يوجزها »[2]، ومن هذا المنطلق فإن الرواية تختلف عن القصة في كونها تقوم على حادثة أساسية من البداية إلى النهاية حيث يفسح المجال فيها للكاتب بالوصف التفصيل وذلك بالإطالة أو الإيجاز.

وفي ظل هذا السياق نشير إلى أن الرواية: « في مستوى أول نوع سردي نثري، وفي مستوى ثان يكون هذا القصص حكاية خيالية، وفي الوقت نفسه خيال ذو طابع تاريخي عميق، وأخيرا فإن الرواية فن: في أجزائها كما في كلها وهي تبرز في شكل خطاب موجه ليحدث مفعولا جماليا بفضل استعمال بعض المحسنات »[3]، أي: أن الرواية فن من الفنون السردية، التي يمكن أن تكون خيالية تكون في شكل خطاب يحمل في طياته بعدا جماليا، فالرواية بكل بساطة « سرد نثري خيالي طويل عادة، تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية النسبية باختلاف نوع الرواية »[4] وفي المقابل يعرفها "إبراهيم فتحي" (معجم المصطلحات الأدبية) بأنها « سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والفعال والمشاهد، والرواية

[1] عزيزة ميردن، القصة والرواية، دار الفكر، د ط، دمشق، 1980، ص73.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص74-75.
[3] مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: الطاهر حجار، دار طلاس، ط1، دمشق، 1985، ص125.
[4] مجدي وهبة، كامل المهندس، معدم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص183.

شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى »[1]، وبهذين المفهومين فإن الرواية من الفنون الثرية السردية الطويلة تصور سلسلة من الأحداث قد تكون خيالية، تحكمها عدة عناصر وتختلف باختلاف نوعها، كما أنها شكل أدبي جديد لم يعرف قديما ، أي أنها « فن أدبي مستقل، له خصوصيته وذاتيته، إذ هو فن يتسع لدراسة العلاقات المتشابكة، والمتشابهة داخل المجتمع، فيفرز لنا النماذج البشرية، في شكل نقلبه، إذ تمثلت فيه ملامح الخير، والبطولة والدعوة إلى الإصلاح، وشكل نحاول أن نتجنبه، إذ بدا وكأنه رمز للتخلف والفساد، الدعوة إلى الرذيلة »[2]، أي:أن الرواية من الفنون الأدبية التي أخذت طابعا خاصا بها، حيث تدرس العلاقات الاجتماعية، كما أنها تحمل في طياتها بوادر الخير والشر معا، ومما سبق نلحظ أن – الرواية- من الفنون النثرية السردية التي تعالج موضوعا ما بطريقة خيالية تصور سلسلة من الأحداث كما أنها تجتمع فيها عدة عناصر كالشخصيات، الزمن، تشبه القصة لكنها تختلف عنها من حيث الطول والتشعب، لم تعرف هذه الأخيرة قديما ولهذا شبهت في مراحلها الأولى بالملحمة.

ب- الرواية الجزائرية:

إن الاستعمار الفرنسي الذي حط رحاله في الجزائر منذ 1830 إلى 1962، أدى إلى تقهقر الثقافة في هذا البلد، ولأن المعروف عن الاستعمار أنه لا يحتل الجغرافيا فقط وإنما يفرض هيمنته على الثقافة والعلم والدين، فإن هذا الأخير ألقى بالجزائر في متاهات التخلف والانعزال عن ثقافات وعلوم الآخرين، بما في ذلك الفن الروائي، ومما لا يمكن نكرانه ولابد من الإشارة إليه هو وجود كتابات روائية إبان هذه الفترة لكن بلغات أجنبية وخاصة الفرنسية، هذا الأخير اختلف في تصنيف انتمائه، « فهناك من يذكر على هذا الأدب جزائريته وبعده بسبب لغته

[1] إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، د ط، تونس، 1986، ص176.

[2] نادر أحمد عبد الخالق، الرواية الجديدة بحوث ودراسات تطبيقية، دار العلم والإيمان، ط1، كفر الشيخ، مصر، 2010، ص22.

أدبا فرنسيا، وهناك في المقابل من يعده بسبب الروح التي كتب بها أدبا جزائريا خالصا لا مجال للطعن فيه »[1]، وفي هذا الصدد يقول "مولود فرعون" وهو من الروائيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية « كتبت باللغة الفرنسية لأبين للفرنسيين أنني لست فرنسيا »، "فالأدباء الناطقون بالفرنسية يعتبرون بأن المقياس للجنسية الأدبية هو التعبير عن الذات الحقيقية بصرف النظر عن جنسية الأديب، فقال "إبراهيم غافر" عن الأدب الفرنسي اللغة: « أن المهم أن يؤدي الكاتب شهادته وأن يكتب باللغة التي سمحت له الظروف بأن يتعلمها وأن يعبر عن الواقع الحي في بلاده ويلتقط الصور الناطقة في أصول بيئته ومجتمعه »[2]، ومن هذا القول يتبين لنا أن الأدباء الجزائريين رغم تعبيرهم بلغة الآخر إلا أن أدبهم ينبض بالروح الوطنية.

وبطبيعة الحال فإن تأخر الرواية المكتوبة باللغة العربية في الجزائر لم يمنع من ظهورها بشكلها الفني المكتمل، فقد ظهرت الرواية الجزائرية في أبهى حللها بعد الاستقلال ومع الثورة الزراعية، حيث « نستطيع القول أنها منذ ظهورها الأول قد اقتحمت الساحة الأدبية بشكل قوي، (...) وإن "ريح الجنوب" تبقى تلك الرواية الناضجة التي أعلنت البداية الحقيقية القوية للرواية الجزائرية باللغة العربية »[3] أي الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية رغم تأخرها إلا أنها بدت بشكل ناضج وقوي ويتجلى ذلك في رواية (ريح الجنوب) "لبعد الحميد بن هدوقة".

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة جديدة من عمر الرواية الجزائرية مع كوكبة من الكتاب، « و لعل بروز أقلام روائية جديدة شابة وأغلبها تنتمي لقطاع الإعلام بداية مع نهاية التسعينيات جاء لتاريخ الأحداث لكن مع مرور الزمن نضج هذا الخط مفصحا عن أسلوب مغاير في الكتابة الروائية لغة وخطابا مع فضيلة الفاروق، عمارة لخوص، وبشير مفتي ومليكة مقدم...، بل كرس لرواية جزائرية جديدة ديدنها المنظومة الثقافية الجزائرية الراهنة

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ب ن، 2007، ص4.
[2] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، د س، ص380.
[3] مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، د ط، د ب، د س، ص3.

المستقطبة في اتجاهين أساسيين يعملان على المستوى الرسمي والشعبي معا »[1] أي: أن هذا الجيل من الروائيين الجزائريين أضافوا للرواية الجزائرية أسلوبا مغايرا يفصح عن المنظومة الثقافية الجزائرية، ومن هنا بقيت الرواية الجزائرية تنحو نحو التطور لثبت نفسها في الساحة الأدبية.

وتأسيسا على ما سبق فإن الرواية الجزائرية هي تلك الكتابات النثري السردية التي ألفت من طرف أنامل أدبية جزائرية.

2- القضية الفلسطينية:

فلسطين من بين أبرز البلدان التي تتمتع بإطلالة هائلة محدة لدول عديدة ذات حضارات عريقة، وتقاطعها كذلك مع البحر الأبيض المتوسط، فهي بوابة عبور مهمة جعلها محط استعمار من طرف العديد من الدول الكبرى، فاحتلت وحاولت الدفاع عن نفسها إلا أنها لم تستطيع لطغيان وجبروت المحتل، فنشأت القضية الفلسطينية والتي تدعو إلى تحرير القدس وفلسطين عامة من المحتل الصهيوني وتناشد بحقها المسلوب وأرضها المغتصبة من طرف العدو، إلا أننا قبل أن تطرق لها يجب أن ننوه لمفهوم القضية وفلسطين وكذا القضية الفلسطينية.

أ- تعريف القضية:

- **لغة:** جاء في " قاموس محيط المحيط" " لبطرس البستاني" مصطلح القضية بالمعنى اللغوي على أنها «ج قضايا [ق ض ي]. " شرح قضيته" أي مسألته التي تطرح جوانب من حالة تحتاج إلى حل أو يتنازع فيها. " رفع القضيّة إلى المحكمة" " قضية سياسية" " قضية اجتماعية" " القضية الفلسطينية قضية وطنية وعربية وإنسانية"»[1].

[1] بوزيان بغلول، الرواية الجزائرية الجديدة متى؟ لما وكيف؟، دد، ط1، الجزائر، 2020، ص19.

من خلال هذا المفهوم الذي أورده البستاني يخص القضية لغة نستطيع القول بأن القضية هي مفرد كلمة قضايا و هي المسألة أو المشكلة التي تقتضي حلول لفك الخلاف أو الأزمات داخلها، كما نجد كذلك " أحمد مختار" في معجمه " معجم اللغة العربية المعاصرة" ينظر للقضية من الناحية اللغوية فيقول: « قضيّةٌ[مفرد]: ج قضيّات وقضايا: موضوع: مسألة، " قضية وطنية- القضية الفلسطينية- قضايا الساعة في العالم- قضية السلام»[2]، من هذا التعريف اللغوي لأحمد عمر مختار نستنتج أنه قد أصاب في بعض ما ذهب إليه البستاني إلا أن هذا في تعريفه قد قرن القضية بالموضوعات أو المسائل أو المشكلات وأعطى أمثلة عن مثل هذه القضايا كالقضية الفلسطينية والقضية الوطنية وقضايا الساعة في العالم؛ أي ما يجري في الوقت الحالي من مشكلات وعوائق وعقبات، والقضية السلام التي يناشد ويطالب بها العديد من الدول المستعمرة.

من خلال التعريفين اللغويين السابقين للقضية يتضح لنا جليا بأنها تمثل مجموعة مشكلات ومسائل مستصعبة تعترضها عدة عقبات ونزاعات وأزمات ومن بين أبرز أمثلتها القضية الفلسطينية التي تطلب لليوم النظر في أمرها.

- اصطلاحا:

كما أوردنا بالذكر في تعريف القضية من الناحية اللغوية بأنها مجموعة المشاكل والمسائل التي تقتضي حلول يمكن إدراج معناها الاصطلاحي والذي يقول بأن « القضية هي الحكم، وتطلق أيضا على الأمر المتنازع عليه مما يعرض على القاضي أو المجتهد ليتحكم فيه، يقال: قضى يقضي قضاءُ أي حكم، ومنه قوله تعالى﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء/23]، وتأتي بمعنى الأداء والإنهاء، يقال قضيت ديني إذا أديته، ومنه

[1] بطرس البستاني: محيط المحيط- قاموس عصري مطول للغة العربية وفيه زيادات كثيرة للمواد الحديثة الدخيلة والمعربة، تحقيق محمد عثمان، الجزء السابع، المحتوى: الفاء- باب الكاف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص320.

[2] أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ، 2008م، ص1830.

كقوله تعالى﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ** ﴾[الحجر/66] أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك»[1]، بمعنى أن القضية هي اسم يطلق على أمور وقع فيها نزاعات وإشكالات تقتضي حكم يفصل بينها ويعطي قرارا قاضيا حاكما فيه، نجدها تعرف كذلك على المستوى الدولي بأنها: «كل مسألة تتعلق بالقانون الدولي، سواء من حيث موضوعاته كالاتفاقيات الدولية أو من خلال علاقات الدول فيما بينها كالعلاقات الدبلوماسية، وتشير هذه المسألة إشكالا قانونيا أو سياسيا، ويتم اللجوء إلى حله عن طريق الوسائل السلمية أو القضائية الحربية، كالقضية الفلسطينية المتمثلة في الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية منذ 1948»[2]، من خلال هذا يمكن القول بأن القضية هي مجموعة من المسائل والمشكلات التي تقتضي حلول لها، كما أنها تعبر عن مجموعة الأحكام التي تصدر عن هيئة قضائية تطلق لها قرار يكون مطابق للواقع الذي تمر به هذه القضية من خصومات وصراعات وشجارات وقد تكون عبارة عن اتفاقيات للوصول إلى حل للمشكلة فمن بين أهم ما ندرج ضمن هذه القضية، نذكر القضية الفلسطينية والتي أحدثت ضجيجا حول العالم بفعل الصهاينة واليهود داخلها من قمع وإبادة تعذيب وجرائم شنيعة في حق الفلسطينيين الأبرياء الذين لا يزالون يناضلون من أجل تحرير هذه الأرض المقدسة والأنعام بالاستقلال الخالص لهم.

ب- فلسطين:

تعتبر فلسطين البلد الذي يتمركز حوله العديد من البلدان عالية الشأن ذات قيمة حضارية واقتصادية وسياسية واجتماعية، فهي قطب التقاء العديد من الدول تأخذ من القارات الثلاث (آسيا، إفريقيا وأوروبا)، فهي « تقع غرب قارة آسيا بين خطي عرض 29.30 و 32.15 شمالا وتقع كذلك بين خطي طول 34.15 و

[1] هشام العربي، منهج الفتوى في القضايا الفقهية المعاصرة- بحث محكم، بحوث مؤتمر، كلية الشريعة وأصول الدين، د.س، جامعة نجران، ص08.

[2] د. عزوزي عبد المالك، أستاذ القانون الدولي، كلية الحقوق، جامعة محمد الصديق بن يحي- تاسوست، جيجل، الجزائر.

35.40 شرقي غرينيتش، وتمثل القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام»[1]، فهي تقع في الجهة الغربية لآسيا بين خطي عرض وطول، تمر على خط غرينيتش وهي تمثل الجهة الجنوبية الغربية وتستحوذ عليها من بلاد الشام، كما أنها« تقع في الغرب من قارة آسيا وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وإفريقيا وأوروبا وتصل ما بين البحر الأبيض المتوسط في الغرب وسوريا ونهر الأردن في الشرق ولبنان في الشمال والبحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء في الجنوب والجنوب الغربي»[2]، من هذا الموقع الجغرافي المتميز الذي حظيت به فلسطين جعلها محط تمركز الدول الكبرى عليها وكذا الحضارات الأخرى، فهي تشمل من كل قارة جزء وكذا عبور الوديان والأنهار عليها، فهي ذات موقع راق تهاتف معظم الدول الكبرى من أجل الحصول عليه كما يمكننا أن نضيف أن فلسطين « إقليم صغير واقع في المنطقة المعتدلة الشمالية بين بحرين كبيرين الأول الرملي في شرقها والثاني المائي في غربها، بل هي جسر بين آسيا وإفريقيا وأوروبا وطريق عمومي لسكان وادي النيل ودجلة (...) كما أنها محطة بين الشرق والغرب لا تزال تتنازع عليها الأمم القديمة، الحديثة كي تسيطر على طرقها التجارية»[3]، فلسطين هي إقليم صغير له ضفتين شمالية وجنوبية، تأخذ من بحرين كبيرين الرملي من الشرق والمائي من الغرب، كما أنها جسر وصل بين القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا وطريق عمومي لمارة السكان على نهري النيل ودجلة، فلسطين تحتل مكانة متميزة هامة نظرا لكونها محطة بين الشرق والغرب، فالأمم القديمة ولا سيما الحديثة لا زالت تغوص في صراعات من أجل الاستيلاء عليها ونضيف إلى هذا أن فلسطين أطلق عليها قديما اسم أرض كنعان « لأنها كانت وطن العرب الكنعانيين منذ فجر التاريخ، أما اسم فلسطين فقد أطلق عليها نسبة إلى إحدى القبائل الكريتية التي نزلت شواطئها، بين يافا وغزة، قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي سنة»[4]، البلاد الفلسطينية كان يطلق عليها في القديم اسم أرض كنعان أو

[1] رفيق شاكر النتشه، إسماعيل أحمد ياغي وآخرون، تاريخ فلسطين وجغرافيتها، المرحلة المتوسطة، ص 09.
[2] يوسف جمعة سلامة، إسلامية فلسطين، دار الكتب المصرية، القاهرة، د ط، 2009، ص 11.
[3] ينظر: عمر الصالح البرغوتي، تاريخ فلسطين، ص12.
[4] أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر، د ط، 1995، ص07.

بلاد كنعان وهم العرب الأوائل الذين سكنوا فلسطين منذ التاريخ القديم، أما اسم فلسطين فقد سميت هكذا نسبة لإحدى القبائل التي حلت هناك قبل ألف ومئتي سنة قبل الميلاد.

ويضيف " ظفر الإسلام خان" أن « سميت البلاد " بأرض كنعان" وتوجد أول إشارة إلى هذه التسمية في حفريات تل العمارنة التي يرجع عصرها إلى خمسة عشر قرنا قبل الميلاد، والاسم الذي تذكره هذه الحفريات هو "كيناهي" أو " كيناهنا" وأصله كنعان (...) و"كنعان" هو الاسم الذي تذكر به التوراة هذه البلاد»[1]، إذن فالاسم الحقيقي والأول للمدينة أو البلاد الفلسطينية هو أرض كنعان، حيث يقر ظفر الإسلام فإن في كتابه أن أصل هذه التسمية قد أشيرت لها في حفريات العمارنة والتي يرجع أصلها إلى أكثر من خمسة عشر قرن قبل الميلاد، كذلك ذكر في التوراة اسم كنعان والخاص بهذه البلاد.

أما من ناحية مساحتها فتبلغ الأراضي الفلسطينية « 26.320 كيلو متر مربع، وهي تعادل مساحة بلجيكا، أما مساحة بحيرتي الحولة وطبرية ونصف البحر الميت فتبلغ 704 كيلو مترات مربع، وعلى هذا فمساحة فلسطين برا وماء تبلغ 27.024 كيلو مربع»[2]، مساحة فلسطين على الرغم من صغرها إلا أنها تمثل مركز تقاطع وتجاذب العديد من الأنهار والبحار، فهي بكل ما امتلكت تميزت بموقعها الجغرافي والسياسي الذي يتصادم حوله لليوم العديد من الدول الاستيلاء عليه.

ج- القضية الفلسطينية:

تعرفْ القضية الفلسطينية على أنها من بين أهم القضايا الرائدة في هذا العصر وما يسودها من مشكلات وأزمات وحروب، يقوم بها المستعمر بطريقة وحشية من أجل فرض سلطته وبث الرعب داخل هذا الشعب الضعيف، ويمكن أن نعرف القضية الفلسطينية على أنها: « قضية ذات أبعاد إنسانية كبرى، إذ تمثل صرخة المظلوم

[1] ينظر : ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى أخر غزو صليبي، ص16.
[2] أكرم زعتير، القضية الفلسطينية، ص07.

في وجه أدعياء حقوق الإنسان، وتكشف المعايير المزدوجة وسوءات النظام الدولي الجديد، وتزري بالاتفاق المقيت لحضارة تزهو بالتقدم والمعرفة والتكنولوجيا وترعى حقوق الحيوان، بينما تتقبل أن يرمي أكثر من سبعة ملايين لاجئ فلسطيني في العراء، وأن تحل جماعات يهودية صهيونية من أشتات الأرض وفق دعاوى بالية، لا تتوافق مع منطق التاريخ ولا قيم المدينة الحديثة ولا القوانين الدولية، مكان قوم عمروا الأرض منذ 4500 عام، وأن تسفك الدماء في الأرض المقدسة التي يجب أن تكون أرضا للمحبة والسلام»[1]، من خلال هذا القول الذي أدرجه محسن محمد صالح في إعطائه مفهوما للقضية الفلسطينية، يبين أن هذه الأخيرة بمعنى أن القضية الفلسطينية هي قضية وطلب ذات أبعاد إنسانية كبيرة، حيث أنها تبين مناداة وبكاء وصرخات المظلومين تحت ما يسمى حقوق الإنسان، وتكشف المعايير التي قام عليها العالم إثر قرارات النظام الدولي الجديد، الذي أهمل صرخات الفلسطيني وتغاضى عن المعاملات الوحشية التي يتعرضون لها بل هذه القرارات تدعم الدولة الظالمة وترعى حقوق الحيوان، حيث أننا نجدها تقبلت أن يرمى أزيد من سبعة ملايين لاجئ فلسطيني في العراء والخلاء وهان عليها ذلك ولم تتكلم بكلمة لإيقاف هذه المهزلة، بل نجدها تدعم ذلك لأنها سيطرت عليها الدول العظمى، واستوطنوا محل الفلسطينيين جماعات يهودية من مختلف الأرض بدعاوي قديمة لا تتفق مع شيء لا من ناحية منطق التاريخ ولا من ناحية قيم المدينة ولا القوانين الدولية، فقد استحوذوا على أرض الفلسطينيين الأبرياء الذين سكنوها منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عامة، وسفكوا فيها دماء الأبرياء من الشعب الفلسطينيين والذي من المفروض أن تكون هذه الأرض أرضا للسلام والمحبة والإخاء والأمان، إلا أن العدو الصهيوني شتت جميع هذه الصفات التي ينبغي أن تكون في الأرض الفلسطينية وأبدل محلها المعاناة والقتل والحرب والدماء والصرخات والمناداة والمناشدات فلسطين لليوم تناشد العالم العربي و العالم أجمع بأن ينظر في قضيتها التي طال بها الأمد وهي على هذه الحال، فالأولاد حرموا من المدارس نتيجة القصف والنساء حرموا من السلام الداخلي خيفة على أولادهم وعائلاتهم،

[1] محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية(الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية)، مركز الزيتونة، د ط، بيروت، لبنان، 2013، ص35-36.

والرجال كذلك فلم يبق لهم طعم للحياة سلبوا من أبسط حقوقهم وهو العيش في أرضهم بسلام، كان علمهم ذي الألوان الزاهية الأخضر والأحمر والأبيض والأسود يرفرف عاليا في السماء بكل شموخ واليوم أصبح يغطي به الآلاف من الشهداء نتيجة العدوان الصهيوني الإسرائيلي الذي لا رحمة ولا شفقة في قلبه.

قامت عدة اتفاقيات على إبرام معاهدات مع فلسطين إلا أنها لم تتم وأحدثت قرارات ظالمة مستبدة في حق الفلسطينيين:« فقاموا بتقسيم فلسطين غلى دولتين عربية ويهودية حيث أن 54% للدولة اليهودية و 45% للدولة العربية ويتبقى 1% للمنطقة القدس وهي حسبهم منطقة دولية (...) والقرار نفسه. مخالف للأساس الذي قامت عليه الأمم المتحدة وهو حق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها، لكن الشعب الفلسطيني المعني أساس بالدرجة الأولى بالأمر لم تتم استشارته ولاستفتائه، وزيادة عن ذلك الظلم الكبير الذي ألحقوه بهم في إعطاء الأقلية اليهودية الصهيونية الدخيلة المهاجرة الجزء الأكبر والأفضل من الأرض»[1]، فاليهود قسموا الأرض الفلسطينية إلى جزء يهودي احتل المساحة الأكبر وجزء عربي أقل مساحة، وفي هذا التقسيم لم يستشيروهم ولم يأخذوا رأيهم، فقد خالفوا ما جاءت به الأمم المتحدة في مرسوماتها والتي تقتضي حق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها، فقد سلبوا من حقهم وظلموا ظلما شديدا في تقسيم أرضهم الطيبة المباركة فلازالوا لليوم يعانون في صمت من الاستعمار الغاشم الطاغي الذي راودوا أرضهم واستغل خيراتهم وذهب كل ثرواتهم، نصرهم الله وفك كربهم.

فمهمة تحرير فلسطين من هذا العدوان الظالم هذا مهمة الإنسانية جمعاء؛ بل يجب أن يصطفوا و يضعوا يدا بيد لكي تتشارك جميع شعوب الأرض وأقطارها لتحقيق هذا الانتصار الذي طال زمنه.

ثانيا: القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية تاريخ وتأريخ:

[1] محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية، ص17.

احتلت فلسطين مكانة هامة وكبيرة في الساحة الأدبية الجزائرية نظرا لتوظيفها من طرف العديد من الشعراء والنقاد والأدباء في كتاباتهم فهي تعد من بين أهم وأبرز القضايا المتجذرة في الذاكرة الجزائرية عموما وفي الأدب خصوصا، بحيث أنها تعطي للجزائريين التصديق التام والإيمان المطلق بصدق مشروعيتها.

1- تاريخ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية:

لفلسطين مكانة كبيرة ومرموقة في قلوب الجزائريين، حيث أنهم متيمون بالقدس وبأرضه ومسجده نظرا لكونها مكانة الأنبياء والمرسلين «وقد ارتبط الجزائريون بفلسطين ارتباطا روحيا عميقا باعتبار أن فلسطين أرض مقدسة ومباركة بنص القرآن في قوله تعالى﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الإسراء/1] ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا »[1]،فقد اعتمد الجزائريون على النص القرآني من سورة الإسراء وكذا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار أن المسجد الأقصى بفلسطين مثله مثل المسجد الحرام في مكة وكذا مسجد المدينة المنورة فقد زار العديد من الجزائريين المسجد الأقصى وتعبدوا فيه واستكشفوا آثاره ومعالمه وأبحروا في المعالم الدينية الخاصة بالأنبياء والمرسلين هناك.

وعند احتلال فرنسا للجزائر، انشغل الجزائريون بالدفاع عن وطنهم ومحاولة طرد العدو منها، إلا أنهم لم ينسوا ارتباطهم الوثيق بفلسطين، فنجدهم لجأو إلى تبني« الجامعة الإسلامية والتي هي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوروبي، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي، وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، (...)ومن الشائع أن هذه الحركة قد بدأت في

[1] شنتي أحمد، الجزائر و القضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 19، جامعة الجلفة، الجزائر، 2015، ص 11.

الربع الأخير من القرن التاسع عشر»[1]، حيث ظهرت هذه الجامعة الإسلامية لتوحيد صفوف الشعب الجزائري لمواجهة المستعمر وطرده من الوطن، وتضمن داخل هذه الجامعة الإسلامية حركة الإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي بقيادة مجموعة من زعماء الجزائر .

فنجد أن المستعمر الفرنسي عند دخوله الجزائر حاول بكل الطرق طمس الهوية الجزائرية ومحاربة الدين ونشر الجهل والأمية، وحرمان الشعب من الدراسة والتعلم، وأكبر فكرة عمل عليها هي طمس الهوية و تمحورت حول القضاء على التعليم وغلق الزوايا وهدم المدارس وغيرها، « كانت غاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأسمى هي الحفاظ عن الهوية الوطنية وأسسها الدينية وحمايتها من هجمات التفرنس والتغريب والتنصير ووظفت لذلك كل وسائلها ورجالها من صحافة وتجمعات ومحاضرات وزيارات ميدانية لمختلف مناطق الوطن فاهتمت بالتعليم وإصلاحه بواسطة العديد من الجمعيات والنوادي التي تدبر وتخطط للتوعية والحفاظ على مبادئ الجزائريين»[2]، أي أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظهرت وسط حركة الإصلاح من أجل الحد من طغيان المستعمر الفرنسي وتسلطه في الوطن وطمس المعالم القومية للبلاد وأهمها الهوية الوطنية التي عملت هذه الجمعية ضمن الاتجاه الإصلاحي من أجل استعادتها وإنشائها للعديد من الجمعيات والنوادي، والتي من خلالهم تسهر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على التخطيط والتدبير لتحرير الأرض الجزائرية وتوعية شعبها في الدفاع عن أرضه المسلوبة المغتصبة.

ومما لا شك فيه أن اهتمام الجزائر بالقضية الفلسطينية « كان منذ أيامها الأولى، والجزائر لا زالت تقبع تحت نير الاحتلال الفرنسي تناضل وتصارع من أجل البقاء والانعتاق، فعندما تجلت للعيان خطط الصهاينة بعد وعد بلفور والانتداب البريطاني كانت الجزائر قد مر على احتلالها قرابة قرن، في هذه الظروف ربما كان ما يعيشه

[1] ينظر:أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، دار الغرب الإسلامي، ج2،ط4،لبنان،1992، ص109.

[2] ينظر: هاشم كوثر، محمد السعيد عقيب، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال جريدتي الشهاب والبصائر (1931-1954)، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي، تندوف، العدد3، الجزائر، ص05.

الجزائريون حائلا دون التفكير فيما يقع في فلسطين، لكن الجزائريون ربطوا مصيرهم بمصير إخوانهم في فلسطين»[1]، على الرغم من الوضع المأساوي الذي كان يعيشه الشعب الجزائري إلا أن فلسطين كانت حاضرة داخلهم قلبا وقالبا ، فهي تشغل بالهم وتفكيرهم،فمنذ القديم كان للجزائريين شعار ينددون به "نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة"، كما أنها شهدت هجرة العديد من "العلماء الجزائريين" نحو الشام والحجاز دون انقطاع منذ القرن التاسع الميلادي، وخاصة القرن الخامس عشر الذي عرف هجرة خمسة علماء جزائريين إلى فلسطين»[2]، بمعنى أن الجزائريين هاجروا إلى البلاد الشامية وخاصة إلى فلسطين مساندة الإخوان الفلسطينيين وإعانتهم على صد الهجوم الصهيوني اليهودي عليهم وتحرير بين المقدس، «وقد شارك الجزائريون في المؤتمر الإسلامي الأول في القدس الذي عقد في ديسمبر 1931، وممن حضره من الجزائر الشيخ أبو إسحاق أطفيش، وقد نقل سعد الله عن توينبي أن المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936 جاء نتيجة بمؤتمر القدس رغم الفارق الزمني بين انعقاد المؤتمرين. ومع اندلاع الثورة الكبرى بفلسطين (1936-1939) نظمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و حزب الشعب حملات تعبئة ومساندة وحملات اكتتاب لجمع الأموال لدعم الثوار الفلسطينيين، كما نظمت الحركة الوطنية مهرجانا شعبيا ضخما بالجزائر العاصمة أشرف عليه الزعيم مصالي الحاج ودعا فيه لوقف المجازر في حق الفلسطينيين، وأسس النواب المنتمون لحزب الشعب الجزائري " الهيئة الجزائرية بمساعدة فلسطين العربية وفي هذا الإطار استطاع حزب الشعب الجزائري من خلال" لجنة الدفاع عن فلسطين" في 16 سبتمبر 1937 من إرسال مالا قيمته خمسة آلاف وستمئة وأربعين فرنك، كما رفعت احتجاجها للحكومة الفرنسية بعدما أقدمت سلطات الاحتلال من حجز جزء من هذه الإعانات»[3]، وكان للشعب الجزائري دورا كبيرا في اهتمامه بالقضية الفلسطينية ومشاركته في المؤتمرات الإسلامية الخاصة بها، بواسطة الجمعيات والنوادي والأحزاب التي أسست من أجل

[1] شنتي أحمد، الجزائر و القضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، ص13.

[2] حمودي إبرير: الفلسطينيون والثورة الجزائرية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد3، العدد3، جامعة باتنة1، الجزائر، ص ص5.

[3] شنتي أحمد، الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، ص13-14.

التصدي للمستعمر الفرنسي، فساندت الفلسطينيين ماديا ومعنويا من أجل دعم الثوار الفلسطينيين وتوطيد روح المهاجمة والحرب ضد الصهاينة في نفوسهم لتحرير أرضهم، كما نظمت الحركة الوطنية مهرجانات من أجل إيداع الصيت للعالم لوقف المجازر في حق الفلسطينيين، وكذا حزب الشعب الذي كان أهم ما قام عليه هو الدفاع عن الفلسطينيين الأبرياء، وكذا إعانتهم ماديا ومعنويا وغيرها، « و كانت الجزائر قبل اندلاع الثورة تعيش ما أفرزته مخلفات الحرب العالمية الثانية، وأخرى هي من إفرازات النضال الوطني الذي سبق الفترة، ثم اجتمعت كلها في الفترة الممتدة من 1945 إلى 1954 لتكون طريقا وجسرا لثورة كبرى ستحرر شعبها إلى الأبد»[1]، رغم مساندتها للفلسطينيين إلا أنها لم تنس واجبها نحو وطنها فأجمعت كل الظروف المحيطة بها لتكون انقلاب على الساحة الفرنسية، على اعتقاد منها أن الجزائر سئمت سياسة اللاّعنف لأن الفرنسيين لم يفهموا ولم يطبقوا ذلك، فأحدثوا نقطة تحول في مسارهم وذلك بإطلاق أول رصاصة في 1 نوفمبر 1954م وظلوا في الجهاد والمواجهة إلى غاية حصولهم على الاستقلال في 5 جويلية 1962م مخلفين مليون ونصف المليون شهيد إثر هذا الاستقلال الذي من خلاله نعموا بالحرية والأمن والسلام وبدؤوا في لم شتات دولتهم وبناؤها من جديد.

والثورة الجزائرية كان لها نتائج محمودة بالنسبة للفلسطينيين « فقد قامت الثورة الجزائرية على أساس الواقعية الثورية، وهي تطور جديد على صعيد حركات التحرر، وهو ما استفادت منه الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد لجأت قيادة الثورة الجزائرية إلى الاعتماد على النفس في ظل الحصار العسكري الذي فرضته فرنسا على الحدود الشرقية والغربية، ورفعت شعار الاعتماد على النفس وراحت تأمر بمضاعفة الجهود في مجال صنع المتفجرات من جهة ومن جهة أخرى رفعت شعار" سلاحنا نفكه من عدونا"، وهو شعار أتى بنتائج إيجابية معتبرة، وهذا ما جعل الفلسطينيين يسقطون من حسابهم أن الصهيونية تؤديها قوى الاستعمار والإمبريالية أو أن الصهيونيين أشد

[1] ينظر: حمودي إبرير، الفلسطنيون والثورة الجزائرية،ص9.

ضراوة من المعمرين الفرنسيين»[1]، من الثورة الجزائرية العظيمة وتحقيقها للنصر والاستقلال وتغلبها على الاستعمار الفرنسي، تشكلت لدى الشعب الفلسطينيين الرغبة في فعل ما فعله الجزائريون وتحرير البلاد المقدسة لكي ينعموا بالسلم والأمن، فالصهاينة ليسوا أقل شأن من الفرنسيين لأن الداعم لهم الجهة نفسها.

في الأخير يمكن القول بأن الجزائريين لم يتخلوا عن الفلسطينيين بالرغم من قساوة أوضاعهم ومعاناتهم وظروفهم إبان الاستعمار الفرنسي عليهم، إلا أنهم وفوا إلى جانب قضيتهم وساندوها من أجل نصرتهم وإرجاع حقوقهم المسلوبة من أرضهم،فنجد من خلال التاريخ العريق لهم أن الجزائر قد خاضت معارك عديدة من أجل نصرة بيت المقدس والذي هو روح الإسلام والجزائريين متعلقين به وبأرضه، كذلك علاوة أن « ظلت الجزائر وفلسطين ترتبط بروابط تاريخية متينة قاومت ولا تزال، فقد ظل حضور الجزائريين مستمرا في المشهد الفلسطينيين(...) زيادة على ذلك فقد وقف الجزائريون في داخل الاحتلال مع فلسطين وأهلها، فمن الجرائد الوطنية إلى الشخصيات التي كانت تشرف على تلك الجرائد وتساهم بكتاباتها إلى المنظمات الطلابية، إلى رجال الزوايا، الكتاب، الشعراء وغيرها، وكذا على الرغم من الاختلافات الإيديولوجية والمنطلقات الفكرية لتيارات الحركة الوطنية بين الاصلاحيين والاستقلاليين والنخبة وهم الاندماجيون حتى من القضية الوطنية، إلا أنهم كانوا متفقين على مناصرة ودعم القضية الفلسطينية بكل إمكاناتهم، وحينما اندلعت الثورة الجزائرية ردا على سياسات فرنسا، وقفت جبهة التحرير إلى جانب الفلسطينيين رغم أولوية القضية الوطنية (...) و بعد الاستقلال للشعب الجزائري انخرطت الجزائر بكل قوتها في تحرير فلسطين من العدو الصهيوني (...) كما رفضت جعل السياسات التي

[1] شنتي أحمد، الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، ص18.

استهدفت القضية الفلسطينية، وخاصة الصادرة عن طوق الدول العربية»[1]، بمعنى أن الجزائر ساندت الفلسطينيين بكل ما استطاعت من إعانات سواء مادية أو معنوية.

ختاما نوجز القول في أن فلسطين والجزائر كانتا شقيقتين ولا تزالا، فقد وقفت الجزائر إلى جانب الدولة الفلسطينية وساندتها بالرغم من قساوة ظروفها ومعاناتها من الاحتلال الفرنسي هي الأخرى، لكنها لم تتركها لوحدها وساعدتها بكل ما أتت من فعل، ودعمتها قلبا وقالبا وكرست نواديها وجمعياتها لخدمتها والتعبير عن ما حفل بها، و توجيه الرأي العام العالمي نحوها وكذا من أجل رفع صوت قضيتها ليعم العالم أجمع.

2- تأريخ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية:

تحدثنا – سلفا- عن تاريخ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية وكيف بدأت مع الاتجاه الاصلاحي الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتبعته اتجاهات عدة في ذلك على الرغم من اختلاف آرائهم حولها إلا أنهم متفقون على أمر واحد ألا وهو معاناة الفلسطينيين و التنديد برفع الحصار عنهم، بحيث نجد أن بالرغم من معاناة الشعب الجزائري كذلك مع الاستعمار الفرنسي والحرب التي تدور بينهم، إلا أن فلسطين كانت في ذاكرة الجزائريين قبلا وقالبا، وبعد الاستقلال الذي حظيت به الجزائر بعد معاناة طويلة مع الاحتلال الفرنسي والتي دامت 132 سنة، أي حوالي قرن واثنان وثلاثون سنة، بدأت الجزائر تلم شمل دولتها، فقد قامت بمحاولات عدة من أجل تغيير ما كان سائدا من قبل فيما كانت تسمى الجزائر المحتلة، من حيث البنى الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وكذا الاستثمار لإيجاد دولة ذات صيت في العالم، ومع كل هذه الظروف التي مرت بها الجزائر في إعادة بناء الدولة الجزائرية وسيادتها، إلا أن الجزائر كانت مساندة لفلسطين معنويا وماديا، و كانت داعمة لقضيتها حتى وهي تحت ضغط الاحتلال وما بعد الاستقلال فأرسلت لها إعانات وغيرها لمؤازرتها والوقوف معها بعد بناء

[1] ينظر: حمودي أبرير، مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973، لرسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015، ص506-507.

الدولة الجزائرية واستعادة كيانها واعتراف العالم بها، انشغل العدد من الكتاب الجزائريين بالكتابة عن القضية الفلسطينية وخاصة في الآونة الأخيرة فقد طغت عدة مؤلفات جزائرية لكتاب جزائريين ينددون بتحرير فلسطين من الجرائم الشنيعة التي يقوم بها المحتل الصهيوني أو اليهودي تجاههم وذكر مقاومة الشعب المستضعف للطغيان اليهودي الذي ألحق بهم جرائم شنيعة مرتكبة في حقهم.

كان للكتاب الجزائريين فضل السبق في توظيف القضية الفلسطينية في مؤلفاتهم « فلم تحظ قضية عربية قومية أو إسلامية في النثر الجزائري الحديث بالقدر الذي حظيت به القضية الفلسطينية باعتبارها قضية جوهرية في عقيدة الإنسان الجزائري»[1]،فقد أولوها عناية كبيرة في أدبهم، فنجد بعض من كتاب الرواية الجزائرية الذين تفطنوا وتحدثوا في إبداعهم عن كتابات القضية الفلسطينية.

فنجد مثلا الكاتب الجزائري " المهدي عرباوي" من ولاية ورقلة، حائز على شهادة ماستر في علوم التسيير، ألّف رواية عن فلسطين عنوانها " الجرعة المتبقية" ومضمونها أن هناك جرعة أمل لن تنقطع ولن تزول إلى أن تتحر فلسطين، فدعمنا لإخواننا الفلسطينيين أكثر من واجب توارثناه أبا عن جد وهو بذلك شيء مقدس، إذ نجد أن التاريخ أثبت لنا ذلك من خلال المحن التي مر بها هؤلاء الفلسطينيين فكنا لهم ومنهم، وعلى الرغم من الخذلان الذي تعرضوا له من الجميع، إلا أننا كنا لهم الجرعة التي تنعشهم وتمدهم بالأمل وتدعمهم للنهوض والاستمرار في النضال للوصول للهدف المرجو.

وهذه الرواية هي رواية التزام تدعو بمؤازرة الفلسطينيين والوقوف معهم ومساندتهم وعدم التخلي عنهم لأن بلادهم موطن إسلامنا وبذلك فهي بيتنا الثاني إضافة إلى الكاتب " مهدي عرباوي" نجد الكاتبة الدكتورة "عائشة بنور"، والتي ألفت رواية (نساء في الجحيم)، وهي من عنوانها توحي بكمية القهر والعذاب والذل الذي تتعرض له

[1] كمال عجالي، فلسطين في النثر الجزائري الحديث، من 1909-1950 (ملخص)، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد السابع، بسكرة، ص02.

النساء الفلسطينيات بفعل اليهود الإسرائيليين الغاشمين ومضمون الرواية أنها تختزل واقع المرأة الفلسطينية ومسيرتها النضالية من خلال سرد ذكريات مجموعة من الفلسطينيين، ومنهن أسيرات السجون، وتنتقل الرواية من فضاء إلى آخر على ألسنة نساء تعتصرهن فواجع الواقع المزري والمعاناة اليومية بين الخيال والواقع عبر الأمكنة لمدن فلسطينية وغيرها كما أن الرواية صرخة في ضمير الإنسانية، تجلت فيها أزمة الإنسان المعاصر وصراع الأنا مع الذات ومع الآخر، وما ينجرّ عنهما من تناقضات على مستوى الفكر والهوية والمصير، كما أنها تعزز مفهوم القيم الانسانية للحب والتضحية وهي من الروايات التي تجسد مفهوم المقاومة الفلسطينية ضد المحتل الإسرائيلي.

ونجد كذلك الكاتب الجزائري " واسيني الأعرج" صاحب رواية (سوناتا لأشباح القدس) وهي كذلك رواية جزائرية أصيلة تصور الواقع الفلسطيني الذي أحرقه المحتل وجعله رمادا بفعل الجرائم الشنيعة التي ارتكبها ولا يزال يرتكبها، ومضمونها هو «أن الإنسان الذي يطرد خارج بلده يظل يحكم بالعودة إليها وأن هذه الفتاة " مي" تروي قصة الأشباح التي تطاردها وتجعلها تقطع علاقتها بكل شيء اسمه فلسطين أو القدس محاولة بناء حياة جديدة، إلا أن هذا كما يوضح ليس قرار وإنما هو كيمياء داخلية ستستيقظ فيها آخر حياتها، ويدفع بها ذلك لاتخاذ قراراتها بأن تدفن في القدس بعد موتها، حيث تبدأ معاناة أخرى حينما يرفض الاحتلال طلبها بأن تدفن في القدس، وهذا المنع جاء لرفض الإسرائيليين فكرة أن يتحول أي شخص ما إلى رمز في هذا البلد، وبذلك لكي لا يكون قدوة لغيره»[1]،فكل الكتاب الروائيين الجزائريين الذين كتبوا عن القضية الفلسطينية ووظفوها في ملفاتهم حملت جميعها الاضطهاد الذي يتعرض له الفلسطينيين والظلم والقهر وكذا المساس بحرياتهم وحرمانهم من أبسط الأشياء التي قد تفيدهم فقد فرضوا عليهم الحصار وقطعوا عنهم الغاز و الكهرباء والماء وحرموهم من الطعام وقصفوا بيوتهم وقتلوا أولادهم صغارا وشبابا وشيوخا وشرودهم في الطرقات،وغيرها من المعاناة التي تقاسي فيها

[1] ينظر: " سوناتا لأشباح القدس" وفصول النكبة / أخبار ثقافة- الجزيرة نت/ https://www.aljazeera.net,culture.culture، يوم الأربعاء 20 مارس 2024م، على الساعة 10:45 صباحا [موقع الكتروني].

الدولة الفلسطينية الضعيفة والمستضعفة وما آلت إليه بعد النكبة 1948، نصرهم الله وفرج عنهم وسادت بلادهم الأمن.

وكذا من بين أبرز النماذج في الكتابات الجزائرية للقضية الفلسطينية، رواية " سيرة الأفعى" " لعز الدين ميهوبي"، والذي يتضمن قصة الشابة الفلسطينية ريناد مع موساد اليهود ومخططاتهم في تفكيك العالم العربي وخططها الفتاكة لردع هذا الأمر، وهي رواية طويلة مشوقة تسودها أحداث مختلفة من داخل عائلتها وخارجها احتكاكا باليهود الإسرائيليين وغيرها، وقد سمى "ميهوبي""ريناد" بالأفعى وجعلها عنوان روايته نظرا لشراستها فيما يتعلق بالمساس بعائلتها وبوطنها الفلسطيني، وهي محور دراستنا.

وفيما يلي يمكن أن نجمل بعض الروايات الجزائرية التي تناولت القضية الفلسطينية التي سبق ذكرها في جدول من أجل تسيير الدراسة وهي كالتالي:

الكاتب	الكتـــــــاب (الرواية)	الموضوع المتطرق إليه وعلاقته بالقضية
المهدي عرباوي	الجرعة المتبقية	دعم الجزائريين لإخوان الفلسطينيين ومساندتهم نحو الدفاع عن وطنهم وتحريره. **علاقتها**: الالتزام بالقضية الفلسطينية
عائشة بنور	نســـــــاء في الجحيم	الواقع المزري والمعاناة اليومية، التي تعيشها النساء الفلسطينيات تحت السيطرة اليهودية للمحتل عليهن. **علاقتها**: الحث على المقاومة.
واسيني الأعرج	سوناتا لأشباح	الرعب الذي ألحقه الإسرائيليين بالفلسطينيين وخاصة الذين خرجوا من

	القدس	فلسطين وأرادوا الرجوع إليها. **علاقتها**: التمسك بالأرض الفلسطينية وعدم تركها في يدي المحتل.
ياسمينة خضرا (محمد مولسهول)	الصدمة	توضيح ما يجري من صراع على الأرض بين الفلسطينيين واليهود والتي أغلب ضحاياها من المدنيين ما بين قتيل وجريح. **علاقتها**: معاناة الفلسطينيين والتهديدات الملحقة بهم من طرف اليهود والصهاينة[1]
واسيني الأعرج	رماد الشرق	تستحضر تحولات الشرق في بداية القرن الماضي بقوة ويستثمر الأعرج التاريخ العربي من سايكس بيكو إلى نكبة فلسطين وغيرها. **علاقتها**: الإلمام بجميع الاتفاقيات والمؤامرات المخططة للاستيلاء على فلسطين من طرف اليهود ومعاناة الفلسطينيين جراء ذلك[2].

مما سبق يمكن القول أن الرواية الجزائرية أولت عناية كبيرة بالقضية الفلسطينية، ولا زالت- فقد حاولت بفعل الكتابة إيصالها بمختلف أنحاء العالم ومساندتها والوقوف معها وتحريرها من الظلم والقهر الذي تعيشه، فهي مجتمع مستضعف، على الرغم من الحركات التحررية والمقاومات التي كانت تقوم بها مع حماس وحزب الله وغيرها، إلا أن المحتل منع وحجب عليهم أبسط الأشياء للدفاع عن أنفسهم فكان الكتاب الجزائريين مساندين للقضية الفلسطينية قلبا وقالبا وداعمين لها معنويا وكتابيا وماديا من خلال المساعدات التي تمنحها لها، وذلك لأن الجزائريين عانوا اضطهاد المحتل نحوهم ولا يريدون أن تعيش فلسطين هي الأخرى تحت هذا الظلم بعد هذا.

[1] قراءة في رواية الصدمة لياسمينة خضرا، سلمان محمد البحيري، جريدة الجزيرة https://www.al-jazirah.com، يوم الجمعة 26 أفريل 2024م، على الساعة 10:30 صباحا[الموقع الالكتروني].

[2] رماد الشرق... عندما يروي الأديب تاريخا- محرابي:https://www.mhraby.wordpress.com يوم الجمعة 26 أفريل 2024م، على الساعة 10:45 صباحا [موقع الكتروني].

ثالثا: تسريد القضية الفلسطينية بين تفكيك العقل اليهودي وسرد الوجع الفلسطيني

1- في السرد العربي

احتلت القضية الفلسطينية مكانة هامة في الأدب العربي على اختلافه ومنذ النكبة أي منذ بوادرها الأولى التي ظهرت مع وعد بلفور المشؤوم، واليهودي "هرتزل" الذي دعى إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وذلك بلم شمل اليهود من مختلف بقاع– قضية قومية– التزموا بها، وأطلقوا العنان لقرائحهم بالتعبير عنها، ولهذا يمكن اعتبار الأدب مرآة صادقة تعكس الواقع المحيط بهذه القضية، حيث نخص بالذكر السرد العربي وبالتحديد جنس الرواية التي سخرت مسرحها لإبراز معاناة الشعب الفلسطيني الذي سلبت منه أرضه وأصبح يقيم فيها كلاجئ لا يحق له إلا التخييم، ومن الضروري أن نتطرق أولا إلى الكتابات الأدبية الفلسطينية التي « تأثرت بهذا الوضع المأساوي، فأخذ المبدع العالم، وإقامتهم في فلسطين كونهم يرون أنها أرض إسرائيل ومنها المنطلق تم احتلال فلسطين وطرد وقتل وتشريد سكانها الأصليين، والجدير بالذكر أن الآلام والأوجاع التي عاشها الفلسطينيون حركت خلجات الأدباء في شتى المناطق العربية، وبما أن العروبة والإسلام من أبرز الروابط الروحية والوجدانية التي جعلت من هؤلاء الأدباء يعتبرون هذه القضية الفلسطيني يربط بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية في عمله الإبداعي، لذا غيبت الروايات التي تناولت النكبة الرمز، فالمعطى الواقعي لا يتقبل الرمزية في الإبداع، حيث كان المبدع مشحونا بالصور والدلالات والتفاصيل والمآسي والمذابح، (...) فهو لم يكتب الرواية من الخارج تصويرا أو تعبيرا أو تخييلا، إنما كتب من الداخل من قلب المعاناة ومن العيش ومن أرض الواقع »[1]، ومن هنا يمكن اعتبار الرواية الفلسطينية هي الأهم على الصعيد العربي أو العالمي لأنها كتبت من قلب الواقع وكأن الواقع هو من كتب نفسه، وبالتالي فهي لم تكتب استنادا على ما تم نقله عبر قنوات التلفزيون وإنما كتبت من صلب المعاناة، ومن هنا فإن بعض الأدباء والنقاد يرون أن « الرواية العربية سواء في فلسطين أو مختلف الأقطار العربية أنجزت نصا سرديا يمتلك المقومات الفنية يظهر آثار الاحتلال الإسرائيلي على الإنسان والمكان، لتتمكن من تقديم رواية مغايرة قادرة على سرد الحكاية الحقيقية للاحتلال (...) فالرواية العربية اهتمت بكل التفاصيل من جوانب مختلفة، فهناك روايات تناولت معاناة الفلسطيني في الشتات وفي الأرض المحتلة وهناك روايات تناولت رؤية العرب من غير

[1] ناهض زقوت، الأدب والنكبة– قراءة في النص السردي، منبر حر للثقافة والأدب، 2010، 2024/04/17– 12:06– diwanalarab. Com

الفلسطينيين لهذا الجرح العربي النازف »[1]، أي أن النص السردي العربي ارتقى فنيا من خلال قدرته على تقديم الحكاية الحقيقية للاحتلال دون إهمال جانب من الجوانب.

واستنادا على ما سبق ذكره فإن الرواية العربية حاكت القضية الفلسطينية بحذافيرها في أسلوب سردي نابع من الوجدان، كاشفا للواقع متحدثا عن أوجاع الفلسطينيين جراء اغتصاب أرضه وحقه، ولعله من المفيد أن نقدم البعض من النماذج الروائية الفلسطينية والعربية التي سلطت الضوء على الواقع الفلسطيني إما بتفاصيله وإما بتناول بعض الحقائق منه كالتالي:

المؤلف وبلده	اسم المؤلف	معلومات الطبع
الفلسطيني غسان كنفاني	عائد إلى حيفا	مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، 2004.
غسان كنفاني	رجال في الشمس	منشورات الرمال، ط1، 2013.
غسان كنفاني	ما تبقى لكم	منشورات الرمال، ط1، 2013.
الفلسطيني إيميل حبيبي	إخطية	منشورات مؤسسة بيسان برس، ط1، 1985.
إبراهيم نصر الله من أصول فلسطينية	الملهاة الفلسطينية في عدة أجزاء منها: - طفل الممحاة - أعراس آمنة	- منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون، ط3، 2013. - الدار العربية للعلوم ناشرون، ط3، 2011.

[1] نور الدين الهاشمي، فلسطين حاضر في مدونة السرد العربي جريدة الوطن
www.al.watah.com.cdn.ampprohect.rog./14:28/2024/04/17

* تم الاعتماد في وضع هذا الجدول على بعض المواقع الإلكترونية منها:
https://www.abjad.com/ www.ida2at.com.cdn.ampproject.ovg/ www-al-watan-cdn,.ampprojet.org.

	- زمن الخيول البيضاء	- الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2007.
الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا	- البحث عن وليد مسعود	- مكتبة الشرق الأوسط، ط3، 1985.
الفلسطينية- الأمريكية سوزان أبو الهوى	- بينما ينام العالم	- دار بلومزبري- مؤسسة قطر للنشر، الطبعة العربية الأولى، عام 2012.
اللبناني إلياس خوري	- باب الشمس	- دار الآداب، ط1، 1998.
المصرية رضوى عاشور	- الطنطورية	- دار الشروق، ط1، 2010.
المصري صنع الله إبراهيم	- أمريكانلي (أمري كان لي)	- دار المستقبل العربي، ط1، 2003.
الفلسطينية نردين أبو نبعة	- باب العمود	المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2017.
الأردنية بديعة حسين النعيمي	- حنظلة	- فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2021.
الجزائرية سارة النمس	- ماء وملح	- دار الآداب، د ط، د س.
الفلسطينية باسم حندقجي	- قناع بلون السماء	- دار الآداب، ط1، 2023.

كانت هذه بعض النماذج الروائية من بعض الأقطار العربية والتي تضمنت سرد الآلام الفلسطينية جراء العدوان الصهيوني ومخلفاته، حيث عكست هذه السرود ما يحمله الضمير العربي اتجاه هذه القضية التي أسالت قلبه دما، وقرطاسه حبرا، ليخرج لنا المبدع نصوصا روائية مكتملة المقومات الفنية كاشفة المسكوت عنه عبر العالم.

2- في السرد اليهودي

بما أن السرد هو الطريقة التي تنقل بها القصة أو الحكاية، فإن الحديث عن القضية الفلسطينية داخل الفنون النثرية يعتبر سردا لها ولحيثياتها، والمعروف عن الأدب العربي أنه التزم بهده القضية وجعلها مادته الأولى التي ينزف قلبه وقرطاسه من أجلها وهذا شيء بديهي بالنسبة لهم، لكن التساؤل المطروح: كيف ينظر اليهود إلى هذه القضية في أدبهم؟، فهل يا ترى الفلسطيني مكتوب في قدره أن يغتصب وتأخذ منه أرضه قسرا؟ أي أن أدبهم خادم لسياستهم الصهيونية أم أنه أدب ينبع من الذات المشبعة بالإنسانية؟ وفي هذا الصدد يقول: "غسان كنفاني": « كان الأدب الصهيوني جزءا لا يتجزأ ولا غنى عنه، استخدمته الصهيونية السياسية على أوسع نطاق ليس فقط لخدمة حملاتها الدعاوية، بل أيضا لخدمة حملاتها السياسية والعسكرية »[1]، أي أن السياسة الصهيونية استخدمت الأدب لخدمة أغراضها وحملاتها.

والأدب اليهودي كان يعتبر « أدبا قوميا، بقدر ما يحققه في سبيل العودة إلى صهيون (في مرحلة الهجرات) أو بقدر ما يكرس اغتصاب فلسطين العربية وقيام الدولة اليهودية (إبان قيام الدولة)، أو بقدر ما يكرس التوسع الصهيوني في البلاد العربية »[2]، أي أن الأدب اليهودي شعره ونثره يعترف به أدبا قوميا بقدر ما يكرس للوجود الإسرائيلي في فلسطين والبلاد العربية، وبهذا فإننا نرى أن الأدب اليهودي يخدم المصالح الشخصية للسياسة الصهيونية، ولا يهتم أبدا لما يعيشه الفرد الفلسطيني من اغتصاب لأرضه وتشريد وقتل لأطفاله، فالنصوص الصهيونية لا تخلو من الصراع « صراع بين عالمين متنافرين: الأول يهودي، والثاني هو عالم الأخيار، والعالم الأول اليهودي هو الذي يبادر بالفعل، إنه الذي يبدأ الصراع، وبالشكل الذي يريده، وللأسباب التي يراها إنه العالم المسكون بأهداف لا حصر لها (...) والضد العربي الذي هو جزء من عالم الأغيار، في موقف المفترى عليه دوما وتختلف أوجه رؤيته ولكنها دوما تقدم الصورة المشوهة المنبثقة من الأهداف المعلنة والمستترة التي تلتقي

[1] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، دار منشورات الرمال، ط1، بيروت، 2013، ص7.
[2] رشاد الشامي، متاهات الأدب والفكر الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006، ص57.

عند نفي أي كيان فلسطيني مهما قل أو صغر »[1]، إذن فالكتابات الصهيونية تعطي صورة مشوهة عن العرب وعن فلسطين التي ترمي في أهدافها.

والجدير بالذكر أن الأدب اليهودي كان يصرح على إبادة العرب في فلسطين حيث نجد نوع من الأدب عندهم يسمى بأدب المناحات « يخاطب اليهودي في إسرائيل قائلا: إما أن تقتل العرب على هذه الأرض اليوم وإما أنك ستقتل غدا في كل بقاع الأرض كما كان يحدث لأسلافك الذين تطالع قصصهم الآن »[2]، وبالتالي فالأدب اليهودي اليوم يحاول أن يزرع في نفس اليهودي الخوف من ماضيه المتمثل في عدم قبوله في أي بقعة من بقاع الأرض ولهذا يدعوه إلى سحق العرب من الأرض الفلسطينية لينعموا بها وحدهم، وليس هذا فقط بل ألصقوا بالعربي في فلسطين صورا مشوهة لسمعته الشريفة حيث نرى الشخصية العربية « في المفهوم الإسرائيلي أو الفكر الصهيوني أو الأدب النثري العبري في بداية هذا القرن هي شخصية البدوي أو الفلاح، الجاهل المنحط، القذر المتوحش، الذي تلتصق به كل الصفات السيئة وكل العادات الذميمة، وشخصيته أيضا هي شخصية الإرهابي الذي يثير الرعب والفزع »[3]، وهكذا كانت صورة الفلسطيني عند اليهود فرغم أنه هو الطرف المغتصب الذي أخذ منه حقه قسرا، إلا انه ينعت بالإرهابي المتوحش، ولا يمكن التوقف عند هذا فقط فلابد من الإشارة إلى الأدب الصهيوني « كرواية "الينبوع"، "والأنجلوساكسون" و"نجمة في الريح" قد أعطت الغزو الصهيوني مبررا أن ينقل الحضارة إلى الشرق المتخلف وينقذ العرب وأن الاستعمار الإسرائيلي له مهمة إصلاحه »[4]، وبالتالي فالصهيونية أعطت مبررات لاحتلالها لفلسطين المتمثلة في جلب الحضارة إلى هذه البلاد المتخلفة حسبهم، لكن الدارس لأدبهم يرى نوع من الاختلاف في مبرراتهم لهذا الاستعمار فهم لا يتفقون على مبرر واحد يسمح لهم من دخول

[1] يوسف يوسف، التزوير في الأدب اليهودي، دار القلم، ط1، دمشق، 2000، ص22.
[2] إبراهيم البحراوي، أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر، دار الهلال، ع 275، مصر، 1972، ص30.
[3] دعاء الشريف، صورة العربي في الأدب العبري قبل وبعد مرحلة السلام، ص6.
Scribd.com.2024/03/08.08 :04.
[4] غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص163.

هذه الأرض فتارة يحملون العرب إثم العنصرية والجرائم التي ارتكبت في حقهم وتارة يرون أن فلسطين أرض ميلادهم الأول وتارة أرادوا إدخال الحضارة إليها ومن هذا لا نكاد نفهم مرادهم، وبالرغم من أن الإنسان الفلسطيني العربي هي أرضه التي نشأ أجداده فيها ولم ينزحوا من أماكن أخرى كشأن اليهود إلا أن « تصوره في نظرهم أنه شعب ميؤوس منه في درك الانحطاط »[1]، وتبقى هذه صورة العربي في نظر الفرد اليهودي، لكن هذا لا ينفي وجود كتابات وكتاب يهود حرك ضميرهم القتل المتعمد والإبادة وطرد الفرد الفلسطيني من أرضه حيث « ظهرت كتابات روائية وصفت المجتمع الإسرائيلي بأنه مصاب بمرض العصاب وأعربت عن رفضها الصريح لمسلسل الحروب التي بلا ثمن وطرحت بصراحة وضع الفلسطينيين »[2]، ومن هذا القول يتضح أن هناك بعض الكتابات التي رفضت هذا التعسف القائم على الفلسطينيين كما أنها طرحت الوجع الفلسطيني جراء اغتصاب أرضه واغتصابه.

واستنتاجا مما سبق فإن السرد اليهودي كان خادما لمصالح الحركة الصهيونية أي أنه كان كالإعلام لها، حيث صور هذا الأخير منجزاتهم الاستعمارية البشعة التي مارسها على الفلسطينيين الذين حملوهم ذنب الجرائم والرفض العالمي الذي تعرضوا له، وبهذا قاموا بالسطو على فلسطين ومحاولة تشويه سمعة الإنسان العربي فنعتوه بالمتخلف الإرهابي من غير ذنب، ومثل هذا الأدب لا نستطيع أن ندخله ضمن الآداب العالمية أو لا يمكن الاعتراف به فهو أدب خادم لمصالح سياسية كما أنه أدب لا يمكن اعتباره أدبا أخلاقيا بما أنه يحرض على القتل والعنف، وعلى الابتزاز وممارسة كل معاني الظلم على شعب مقهور مسلوب بحيث لا يملك سلطة ذاته، فهاهو الفلسطيني يشرب من كأس المنية كل يوم وكل ساعة، وهاهي المرأة الفلسطينية تلد وتلد ثم تفقد وتفقد وهاهو الطفل الفلسطيني يشرد ويتيم ويكبر على الخوف والفزع والعقد، ثم ماذا يقال عنه: يقال: إنه الإرهابي المتخلف

[1] المرجع نفسه، ص169.

[2] رشاد الشامي، تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي الدار الثقافية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2003، ص209.

وهذا لأنه لم يتخل عن أرضه وعن أغصان زيتونها وعن تربتها وعن مصلى أنبياء الله فيها فالنصر من رب العالمين لفلسطين وشعبها.

* بعض الكتابات الروائية الإسرائيلية التي تناولت الوضع الفلسطيني لكن من منظورهم:

المؤلِّف	المؤلَّف
تيودور هرتزل	رواية (الأرض الجديدة القديمة) يعترف هرتزل بأن الهدف من هذه الرواية كان دعاويا وليس فنيا[1].
ليون أوريس	رواية إكسردس[2].
عاموس عوز	الحب المتأخر وفي هذه الرواية طرح جديد لمعطيات الفكر الصهيوني[3].
يزهارسميلانكي	خربت خزعة ترجمة توفيق فياض عن دار الكلمة في بيروت، والتي تعتبر انقلابا على الوعي الصهيوني لأنها تسرد وقائع تهجير قرية سميلانكي.
عوز شيلاح	أراضي للتنزه تر: عبد الرحيم الشيخ عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، تعبر هذه الرواية عن مشروع استعماري وهو المشروع الصهيوني في فلسطين والذي كرس الكاتب مؤلفه بكل سطر لنقض وفضح ممارسته الاستعمارية للتاريخ والمكان.
عاموس كنان	الطريق إلى عين حارود

[1] ينظر: غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، مرجع سابق، ص89.
[2] نفسه، ص98.
[3] غالب هلسا، نقد الأدب الصهيوني، دار التنوير العلمي، ط1، بيروت، 1995 ص25.

	تر: أنطوان شلحت في مجلة الكرمل، يستشرق الكاتب في هذه الرواية سوداوية لمستقبل إسرائيل.
سامي ميخائيل	فيكتوريا منشورات الجمل
عاموس عوز	قصة الحب والظلام، منشورات الجمل[1].

[1] ينظر: أنس إبراهيم، 5 روايات إسرائيلية، مترجمة للعربية.
Ultrapal.ultrasawt.com/23/01/2024/07 :55.

محورية القضية الفلسطينية في رواية

(سيرة الأفعى)

أولا: لمحة عن معاناة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال من خلال رواية سيرة الأفعى

فلسطين البلد المحتل والأرض المغتصبة التي أخذها الصهاينة واليهود بالقوة والإجبار من الفلسطينيين، واستوطنوها وأقاموا دولتهم هناك من غير مشروعية، وأخذوا يمارسون جل أشكال التعذيب والقهر والظلم والحرمان على شعبها، فانتهجوا سياسة التجويع وقطع الماء والكهرباء والغاز عليهم ظنا منهم أنهم سيستسلمون للأمر الواقع المعاش ويتركوا البلاد الفلسطينية لهم،إلا أن كل هذه السياسات المتخذة من طرف اليهود على الشعب الفلسطيني لم تمنعه من إكمال مسيرة الدفاع عن الأرض والتصدي للمحتل بكل الطرق، فلم تخفه سياساته التفزيعية الترهيبية؛ بل العكس تماما، كل المحاولات التي أتى بها من أجل تفرقتهم تصدوا لها وحاولوا تفكيكها ونبذها وأحدثت ردة فعل عليهم«فقد مثلت الفترة 1967-1970م فترة ذهبية للعمل الفدائي والمقاومة الفلسطينية»[1]، بمعنى أن سنة 1967 م بدأ الفلسطينيون في إحداث موجة على اليهود مفادها تخليص الأرض الفلسطينية منهم حتى غاية 1970م، وهي فترة دامت قرابة الأربع سنوات في العمل الفدائي والتضحية من أجل المقاومة الفلسطينية التي كانت شغلها الشاغل هو إعادة الاعتبار لحقوقهم المسلوبة، وفي هذا الصدد يقول " عز الدين ميهوبي" على لسان شخصيته الروائية " غسان المنذر" الذي يقول لزوجته " دوميا":« نحن نبتة 1948م تنهشنا الذاكرة أما هم فنبتة 1967م يصنعون الذاكرة»[2]، بمعنى أن النكبة الفلسطينية حدثت في 1948م، وعلى الرغم من وجود بعض محاولات التصدي لليهود إلا أنها لم تكن كافية لمواجهتهم، أما في سنة 1967م فنجد بأن الوعي تبلور أكثر لدى الشعب الفلسطيني بضرورة إحداث ثورة على الساحة الفلسطينية بمجابهة الطغيان الإسرائيلي اليهودي، وهو ما فعلوه، غير أنهم عند إحداث ذلك التحول في مسارهم زادت شراسة وعدوان اليهود على الشعب الفلسطيني وصاروا يعاملونهم بوحشية وبأبشع الطرق، ويحرمونهم من أبسط متطلبات عيشهم، ومارسوا عليهم سياسة القصف

[1] د. محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية، ص23 .

[2] عز الدين ميهوبي، سيرة الأفعى، دار العين للنشر، ط1، القاهرة، 2023م، ص 49.

بالصواريخ نحو بيوتهم وشوارعهم، وغيرها من الأماكن وخاصة أماكن تمركز الفلسطينيين، حيث نجد الراوي يقول على لسان "غسان": « لم يعد في حيفا أكسجين نظيف»[1]، وهذا التعبير قمة ما يعانيه الشعب الفلسطيني جراء الحروب المتكررة والمتتالية.

فإذا كان أبسط حقوقهم هو استنشاق أكسجين نظيف وهواء نقي وهم محرومون منه و يتنفسون هواء محاط بالغبار الناجم عن الدمار الملحق بالأمكنة إثر هجمات العدو على الشعب، فكيف إذن بالحقوق الأخرى التي تناساها الشعب المستضعف ليقينه منها بأنها لن تحدث ولن يحصل عليها.

فقد عانى الفلسطينيون من الحروب المتكررة منذ أمد بعيد ولا تزال هذه المعاناة لليوم، استوحشهم المحتل وطغى عليهم وحاول بكل الطرق سلب أرضهم، فكان فعلهم هذا بداية بالنكسة أو الانتكاسة وهي الحرب التي شنتها إسرائيل على بعض الدول العربية وهزمتهم فيها، حيث يورد الراوي هذه الحادثة بقوله:«الانتكاسة كانت بمثابة إعلان الحرب على العراق بعد أن احتل صدام حسين الكويت، ورفض الخروج لأنه تلقى طعنة في الظهر كما يقول وكما فهمنا... وضاعت بوصلتنا في حرب لا نعرف كيف تنتهي، ولكننا كفلسطنيين، نعرف سلفا أننا

[1] الرواية، ص 49.

الخاسرون »[1]، ومعنى أن الحرب التي قادها الإسرائيليون على العراق بعدما قام به صدام حسين من احتلاله للكويت انعكس ذلك على فلسطين وشعبها فضاعوا وسطها جاهلين نهايتها، وقد كان هذا التأثير من مخلفات النكبة التي لحقت بالشعب الفلسطيني عام 1948م،ففي هذا العام استولى اليهود على البلاد الفلسطينية، وفقد العرب لها، فلم يستطيعوا ردع هذا المحتل، ومن هنا نجد أن "عز الدين ميهوبي" يوضح هذا الطرح في روايته سيرة الأفعى بقوله: «عام النكبة التي فقد فيها العرب فلسطين، وحقق فيها اليهود حلم هرتزل بتأسيس دولة»[2]، والمدينة الأكثر ضررا في فلسطين مدينة غزة التي تمارس على مواطنيها مختلف أنواع التعذيبات وغيرها، والقصف الملحق جراءها بالصواريخ والدبابات والعديد من الأسلحة التي يقع الفرد الفلسطيني جراءها، فقطاع غزة هو منطقة مزقتها الحرب، وأصبح شعبها يعيش تحت ظل حصار غير قانوني وليس له قرار بمشروعيته البتة وسط العنف المسلح « فقد أصبحت كافة الأراضي الفلسطينية تخضع لسيطرة الاحتلال الإسرائيلي الذي اعتبر كافة المناطق المحتلة مناطق مغلقة لا يجوز الخروج منها إلا بعد الحصول على تصريح خاص»[3]، فالأرض ملك لفلسطين إلا أنهم أصبحوا عند تنقلهم يجب أخذ التصريحات الخاصة لتمكنهم من التنقل والعبور من منطقة لأخرى في أرضهم، فمعاناة الشعب المستضعف تجاوزت كل هذا فقد سئموا الحصار والقصف والقتل الذي يتعرض له المدنيين بغير ذنب، يقول "ميهوبي" على لسان "ريناد": « تفرضون على غزة حصارا، لا دواء ولا غذاء، ولا دخول ولا خروج، ولاحق اللعب على الشاطئ»[4]، مآسي تتبعها أخرى، كل هذه الأفعال الشنيعة والجرائم البشعة في حق الشعب الفلسطيني وفرض الحصار عليهم كانت من أجل تخويفهم وكذا زعزعت ثقتهم في تحقيق الاستغلال وفي الدفاع عن أرضهم وتحريرها.

---

[1] الرواية، ص 150.

[2] الرواية، ص 160.

[3] معاناة الفلسطينيين على معبري الكرامة ورفع، سلسلة تقارير خاصة (18)، تشرين أول، د.ط، د.د.ن، 2002م، ص03.

[4] الرواية، ص594.

فكلما رأو أنهم تصدو لهم بأبسط الطرق من احتجاجات وغيرها أقام المحتل صواريخه عليهم وألحق القصف بهم، فيصف الراوي هذه المشاهد في روايته: « أفاقت"ريناد" مفزوعة على أصوات تتعالى في الشارع المحاذي لبيتها بوادي النسناس... أطلت وإذا هي مسيرة متجهة نحو شارع بن غوريون، تندد بالقصف العنيف على غزة، وتدعو إلى وقف الغارات فورا. كلم "نديم" "ريناد"، وطلب منها عدم الخروج؛ لأن اشتباكات وتوقيفات وقعت في مخارج الأحياء العربية بسبب إصرار المحتجين على الالتحاق بالشارع الرئيس»[1]، أبسط الحقوق محرومون منها حتى في التنقل من مكان لآخر هم مجبرون على إعلامهم أو لن يسمحوا لهم بالمغادرة لمنطقة أخرى فهو «شعب مقهور ،نصفه مسجون ومحاصر ونصفه الآخر في الشتات»[2]، شعب مستضعف مورست عليه كل طرق التخويف لاستبعاد فكرة استقلالهم أو حتى التفكير فيه.

ونجد كذلك أن من بين أسباب تشبث الإسرائيليين بهذه الأرض والبقاء عليها، هو المسجد الأقصى أو القدس، فمنذ أن وطأت أقدامهم على هذه الأرض المقدسة أخذوا يخططون كيف يحولون هذا المسجد لكنيسة يهودية يقومون فيه بطقوسهم الدينية وكذا تخريبه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم يحاولون طمس معالم الدين الإسلامي والقضاء على الإسلام لبروز إسرائيل الكبرى، فهذا التفكير الطاغي عندهم إنما ينبؤ بأنهم

[1] الرواية، ص 634 .
[2] الرواية، ص654.

يريدون استئصال الإسلام وهدمه وكذا خرابه ولهذا عمدوا القصف وغيرها، فنجد الله عز وجل يقول في سورة البقرة﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[البقرة /120]، فالقدس له مكانة كبيرة في قلوب الفلسطينيين وقد دفعوا بأرواحهم وأفدوه إياه لكي لا تشيبه شائبة، فهو قبل أن يكون مسجد أو مصلى للمسلمين، وهو مكان نزول الرسالات الإلهية على الأنبياء هناك وموطنهم وميلادهم كذلك (عيسى موسى،محمد...)، فالمسجد الأقصى يعتبر صرح ديني ومكان إيماني مبارك من عند المولى عز وجل وكذا هو موطن المعجزات حيث أن أكبر معجزة حدثت في هذا المسجد المبارك، هو إسراء النبي محمد صلى عليه وسلم من مكة إلى المسجد الأقصى وانتهى بسدرة المنتهى، وفي هذه المعجزة نجد المولى عز وجل يقر بها بقوله:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾[الإسراء/ 01]، أي أن فلسطين هي أرض مباركة بنزول الأنبياء بها وعيشهم فيها وكذا زيارتهم لها وأهم ما يميزها هو المسجد العظيم الذي سري النبي محمد صلى الله عليه وسلم به إليه، ونجد "عز الدين ميهوبي" يوثق هذه العظمة الإلهية في روايته على لسان شخصيته الروائية "ريناد" مخاطبة جنينها: «هنا موطن الأنبياء والصالحين في الأرض. إبراهيم كان هنا.. عيسى ولد في بيت لحم، محمد أسري به من الأقصى.. وكثير من المعجزات عاشها أهل فلسطين؛ لأنها هي معجزة الله على أرضه»[1].

[1] الرواية، ص 681.

للأقصى وقع مختلف في قلوب العديد من الشعب الفلسطيني، فهو يمثل رمزهم الديني وكذا معلم إسلامي لم ولن يتخلو عنه ويضعوه تحت سيطرة اليهود، فتقول "ريناد": «القدس رقم لا يقبل القسمة على اثنين»[1]، وهو إشارة إلى عدم احتكامه لفلسطين واليهود معا، فهو لفلسطين ويبقى معهم، وعلى غرار أن العرب مساندون لفلسطين زعما منهم أنهم ينتمون لها ولما تربطهم بها من المسجد الأقصى الذي يمثل ديانتهم، إلا أنهم لم يتخذوا موقفا مما يحدث داخلها بشكل عام « عانت الثورة الفلسطينية بشدة من أشقائها العرب " الألداء"، واستنزفت طاقتها ودماؤها في صراعها مع الأنظمة العربية التي حاولت ترويضها وضبطها، والتحدث باسمها والقفز فوقها»[2]، فالعرب يرون معاناة الشعب المقهور الذي يعاني في صمت من الحرمان والذل والهوان والتشرد في الشوارع الفلسطينية متنقلين من شارع لآخر كأنها معادلة الحل والترحال، لكن بطريقة بشعة قاسية، هذه الأخيرة كانت نتيجة للهروب من القصف الإسرائيلي وكذا إيجاد مأوى يقيهم ظلمة الليل بعد هدم بيوتهم، إلا أن العرب بالرغم من مشاهدتهم المعاناة الملحقة بالمستضعفين الفلسطنيين غير أنهم لم يحدثوا ردة فعل ملموسة للحد من المجازر التي تحدث داخل الرقعة الفلسطينية، سوى الردات المعنوية بأفواههم، نحن مناصرون لها ونحن مع فلسطين وغيرها، فهذه المجازر ألحقت هلعا لدى الشعب إلا أنها لم توطد من عزيمته، فنجد من بينهم " مذبحة دير ياسين".

[1] الرواية، ص602 .

[2] د. محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية، ص 23.

حيث قامت على الإبادة والطرد الجماعي الملحق بالقرية الفلسطينية دير ياسين المتواجدة غرب القدس، وكان في هذه المذبحة أو المجزرة عدد كبير من الأطفال والنساء والشباب وحتى الشيوخ، وقد خلفت هذه المجزرة تيتم عدد كبير من الأطفال وتشريدهم فوردت في الرواية « هل كان سيصدقني لو قلت له إنني يتيم أيضا... أبي استشهد في مجزرة دير ياسين، وكان عمري إذّاك عشر سنوات»[1]، كل هذه الأحداث والعرب ساكتون لا حراك لهم تجاه ما يواجهه هذا الشعب المغلوب على أمره، فقد أصبحت القضية الفلسطينية « غائبة عن المشهد العربي اليومي المزدحم بقضايا ساخنة وحروب مستعمرة وحرب على الإرهاب من جهة، ومحاولات تشكيل تحالفات وعقد تسويات مع القوى العظمى في العالم، بما فيها لترويج علنا لصفقة تحالفات وعقد تسويات مع القوى العظمى في العالم، بما فيها الترويج علنا لصفقة القرن والتسوية مع إسرائيل»[2]، هذا قمة الذل و الخذلان الذي تشعر به الأمة المقدسة وتعيبه على العالم العربي الذي لم يقف في صفها ولم يتخذ منها موقفا يحد من معاناتها وآهاتها المتكررة يوميا، فلم يخل يوم من أن وضع اليهود قدمه في فلسطين من التعذيب والقهر، فهي بلد مهمش لم

[1] الرواية، ص368.

[2] لونا أبو سويرح، القدس والقضية الفلسطينية ودور المجتمع المدني العربي- ندوات حول القضية الفلسطينية، منشورات الطليعة، 2018م، ص03.

يعره أحد الأولوية التامة في حقه بان يكون مثله كمثل أي بلد آخر ينعم بالحرية والاستقلال والسيادة على شعبه وتوفير الأمن لهم ولمتطلبات معيشتهم، إلا أن ذلك يبقى مجرد وهم يتخيله الشاب أو الفرد الفلسطيني ويحلم في أن يتحقق يوما ما.

فالعرب هنا صنفان، عرب مساندة لفلسطين وداعمة لها، وعرب مع إسرائيل زعما منهم أن لها قوى كبرى داعمة لها وستفيدهم، هذه الأخيرة تبين كمية الخبث والطعنات التي أحدثوها في الشعب الفلسطيني فرغم أنهم عالمون بما يحدث لهم ومحيطون بكل التعذيبات التي تحيط بهم إلا أن مصالحهم فاقت كل هذه الوقائع المؤلمة، وقد ساندت العرب اليهود في مخططاتهم التي هدفها تفتيت العالم العربي ودفع أي جهة تحاول مساعدة فلسطين أو تقديم الإعانة لها، فيقول الراوي على لسان اليهودي "عاموس": « نحن نريد زلزالا بـ8 درجات على سلم كيفونيم، بمعنى أننا وضعنا مخططا لتفتيت العالم العربي»[1]، مخطط كيفونيم هو دمار بحد ذاته هدفه السامي هو تفتيت العالم العربي وهو ما يعمل عليه اليهود من يوم دخوله الأرض المباركة ومحاولة الاستيلاء عليها، فبتحقيق هذا الهدف المتمثل في تفتيت العالم العربي يصبح للمحتل فرص أوسع وأكبر في احتلال العديد من البلدان العربية و تشتيتهم و سلبهم أراضيهم وتفرده بهم، فبعد « سبعة عقود على احتلال فلسطين، وخمسين عاما على النكسة 1967موأربعة وعشرين عاما على كارثة "أوسلوا" لم يسجل الفلسطينيون مكسبا سياسيا ذا ثقل ليغير الأمر الواقع على الأرض، بينما عقدت دولتان عربيتان اتفاقيتان للسلام مع إسرائيل على اعتبار أنها ذات حدود مشتركة معها حتى أن بعض الدول العربية صارت تروج للكيان الصهيوني بدون سرية »[2]، بمعنى أن العرب انتهجوا سياسة التطبيع مع إسرائيل على اعتقاد منهم أنها ذات قوة وخلفها قوى عظمى تدعمها، فمن هذا إن ساعد العرب إسرائيل وأيدوا سياستها سيكون لهم جزاء حسن بعدها.

[1] الرواية، ص 355.

[2] ينظر، القدس والقضية الفلسطينية ودور المجتمع العربي المدني، ندوات حول القضية الفلسطينية، ص 04 .

وهناك الصنف الثاني من العرب الداعم للقضية الفلسطينية والواقف في صف الثورة على الاحتلال ورد الممتلكات المسلوبة لأصحابها، من بين هذه الدول العربية الواقفة في كفة الفلسطينيين نذكر الجزائر والتي كان لها صيت كبير و مسموع ذاع العالم ككل برفض العدوان الإسرائيلي على فلسطين واحتقار السياسات التفزيعية التي ألحقها المستعمر الغاشم بالشعب المستضعف، فالدولة الجزائرية بالرغم من الوضع القاهر الذي كانت تمر به إبان ثورتها على المستعمر الفرنسي الذي حاول سلبها أراضيها وثرواتها إلا أن فلسطين كانت في قلبها وكانت داعمة مساندة لها حتى في أصعب ظروفها، فقد عقدت العديد من اتفاقيات السلام مع إسرائيل على إيقاف ما تقوم به تجاه الفلسطينيين من التعذيب والأذى إلا أن كل الاتفاقيات التي حاولت تسويتها باءت بالفشل وبقي الاستعمار على قراره، لكن لا ننسى أن ننوه إلى أن الجزائر لها هيبة في نفوس اليهوديين، فهم يعلمون بأن الجزائريين صعب إرضائهم كما أن غضبهم شديد وأنهم يكرهون ويمقتون إسرائيل وكل من هو مساند لها أو حتى يدعمها فقد ورد في الرواية:«إسرائيل لا تربطها علاقات بالجزائر، ومزاج الجزائريين السياسي لا يحتمل... إذا كلمتهم بصقوا في وجهك»[1]، فالجزائريين صيت ذاع مختلف أنحاء العالم لارتباطه الشديد بفلسطين ومحاولة وقف كل ما يتعرض له الشعب الضعيف، فهم يشعرون بكل المآسي والآلام التي يعيشها إخوانهم الفلسطينيون جراء الاحتلال الصهيوني وجرائمه البشعة، فكل هذه السياسات انتهجها الاستعمار الفرنسي فقتل الأبرياء وحرمهم من أبسط متطلبات معيشتهم، ينامون بالتهديد ويستيقظون به، معاناة حقيقية تدمي القلب، فها هو التاريخ يعيد نفسه، لكن مع بلد جديد و محتل أكثر قساوة وشراسة.

فلو أن العرب وقفوا جميعا في صف واحد وتحدوا جميع الظروف وتصدوا للمحتل الصهيوني الغاشم لكان كل هذا الألم الذي يشعر به الشعب الفلسطيني ومعاناته مع المحتل انتهت بسيادته على أرضه وتمتعه بالاستقلال،

[1] الرواية، ص96.

لكن ما حدث كان العكس تماما، هناك من هو مساند لها صحيح، لكنها لا تكفي، لأنه لمواجهة هذا الكيان الصهيوني يجب أن يضع العرب جميعا يديهم في أيدي بعض لطردهم من أرض المسلمين.

إذن فمن خلال سياسات العرب التطبيعية لإسرائيل، وتأكد اليهود من عدم وجود قوة داعمة لصف الفلسطنيين وحمايتهم ومحاولة نصرتهم، زاد حقد اليهود عليهم، فأكثروا من الجرائم الشنيعة وخاصة القتل والإبادة، وقتل العديد من السكان الفلسطنيين وخاصة فئة الشباب والأطفال، على اعتبار أن هذه الفئة العمرية هي القادرة على التصدي والمواجهة في وضع حد لكل هذه المؤامرات، لما تمتلكه الفئة من كثرة الوعي لما يحدث في البلاد وما تشاهده يوميا من مشاهد الخوف والفزع والهلع الذي ألحقه الطغيان بشعبها، والأطفال يعانون في صمت، لاهم عاشوا طفولتهم ولا لعبوا في أمان كلما حاولوا العيش بسلام ولودقيقة، تأتي صواريخ العدو تندد بالخراب والدمار، وممارسة جل أشكال التعذيب عليهم بحيث نجد الأطفال معنفين من طرف الصهاينة محرمون من عيش طفولتهم ولا الدراسة والتعلم في المدارس، بل الأسوء من كل هذا أنهم أصبحوا يولدون في برك دماء أباءهم وأمهاتهم وإخوانهم، وحتى تعذيبهم والضغط عليهم ومعاملتهم بأبشع الطرق، فما هو ذنب الأطفال الأبرياء من كل هذه الجرائم الملحقة بهم من غير حول له ولا قوة، فنجد في هذا الصدد يصور الراوي " عز الدين ميهوبي" في روايته(سيرة الأفعى) مشهد لقتل الأطفال الأبرياء من طرف العدو الغاشم دون أي رحمة ولا شفقة، حيث يقول: « جثة الطفل محمد أبو خيضر مفحمة في أحراش دير ياسين بعد أن اختطف وعذب وأحرق حيا»[1]، هل للأطفال أن يعذبوا بهذه الطرق وأن يعيشوا كل صور الوحشية والقساوة التي يلحقها الظالم بالمظلوم؟ لأنه واقع مرير لا بد وأن يتغير.

إضافة إلى المعتقلين الأبرياء الذين يمارسون عليهم شتى أنواع القهر والتعذيب والضرب المبرح حتى يستنزفوا دمائهم ويحرمونهم من الأكل والشرب، لا عفا الله عنهم ولا بيض وجوههم، وكذا الرهائن التي يحتجزونهم عندهم

[1] الرواية، ص629.

لكي يبتزو بهم قطاع غزة وفلسطين وأبناء الجهاد، فكمية القهر الذي يعيشه الفرد الفلسطيني أو الشعب الفلسطيني كبيرة جدا لا يتصور ولا يحس بوجعهم إلا من خاض حربا دامية مثلهم، وكذا محاولات الاغتيالات التي ينصبونها للفلسطينيين، حيث وجد في الرواية « محاولة اغتيال "إسماعيل هنية" في معبر رفح»[1]،الترصد الدائم للشعب وإلحاق الضرر به، فهذا الأخير اغتيل في معبر بلاده منددا بالحرية وهو « سياسي فلسطيني ورئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية ورئيس وزراء الحكومة الفلسطينية العاشرة، شغل منصب رئيس وزراء فلسطين بعد فوز حركة حماس بأغلبية مطلقة في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني عام 2006م»[2]، ونجد كذلك جريمتهم الشنيعة التي هزت أقطار العالم وهي إعدام" صدم حسين" زعما منهم بأنه ارتكب جرائم في حق الإنسانية بالعراق، فصور " ميهوبي" إعدامه في الرواية: «أفاق العالم على صور مهربة من هاتف خلوي من داخل غرفة الإعدامات بأحد مقرات المخابرات العراقية تظهر "صدام حسين" يواجه مشنقة، بعد أن خاطب منفذي الحكم الملثمين، قائلا: هاي هي المرجلة؟ أنا ستعدمني أمريكا.. أما أنتم ستعدمكم شعوبكم.. الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، عاشت فلسطين، الموت للفرس المجوس.. يحيا العراق.. تحيا الأمة العربية »[3]، فهذه الكلمات التي ألقاها " صدام حسين" قبل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام، كفيلة ليفهم كمية الذعر الذي ألقاها في قلوب الإسرائيليين والأمريكان ونفوسهم، فعندما لم يتحكموا ويسيطروا عليه وعلى أفعاله اختلقوا حجتهم الكاذبة بأنه ارتكب جرائم إنسانية فأعدموه، والتاريخ لا يبين هذا وإنما يبين الرجل الصلب القوي الذي حاول تحقيق العدو والنصرة بأية طريقة كانت.

---

[1] الرواية، ص103.

[2] ينظر: هنية إسماعيل، الرئيس الجديد لمكتب السياسي لحماس/ الموسوعة https://www.aljazeera.net يوم الجمعة 03 ماي 2024م، على الساعة 11:45 صباحا.

[3] الرواية، ص 148-149.

فالفلسطينيون يعانون في صمت، فلم يخل عمل شنيع ولم يلحقه اليهود بالفلسطنيين، ونضيف كذلك محاولات الابتزاز المتكررة يوميا في الشوارع الفلسطينية الملحقة بالمدنيين من طرف الإسرائيليين واعتقالهم دون سبب سوى لمجرد تجوال الجنود الإسرائيليين في شوارع غزة أو بيت لحم أو أي منطقة من ربوع الوطن الفلسطيني ويجدون شخص وتقع عيونهم عليه يأخذونه، يعتقلونه ويأسرونه ويحققون معه، وفي هذا المقال نجد صاحب الرواية قد أشار إلى هذا الطرح، فقد أورد صورة تمثيلية لمشهد في روايته يتناول هذا الواقع، بعدما ذهب "نديم ويونس" إلى شوارع حيفا للتجول رأتها ضابطة شرسة فوقعت عيناها عليهما وهي كالآتي: « أشارت الضابطة لمساعديها فسحبه أحدهما من ذراعه وجره نحو سيارة الشرطة المدرّعة... وقالت ليونس صديق نديم عد من حيث أتيت ولاشأن لك بما سنفعله بصاحبك»[1]، ابتزاز يخلفه ابتزاز، فقمة العدوان الإسرائيلي اليهودي يصور من خلال عدة مشاهد تعذيبية لا ترأف للشاب أو الكيان الفلسطيني، وتعتبره هامشا، أكبر همها إزاحته من طريقها لاستيلائها على البلاد الفلسطينية وبناء أساسها فيها، في دولة لا تمت لها بصلة غير أنهم أتوا من أشلاء متفرقة من البلاد وقبعوا في الدولة الفلسطينية من غير مشروعية ولا موجب نص على احتكامها الأرض المقدسة.

ونتيجة للمعاناة التي يعيشها الفرد الفلسطيني من سياسات التعذيب والحرمان والذل والحروب المتكررة في الشوارع والأحياء والسياسات اليهودية الملحقة بهم من أجل تفتيتهم والاستيلاء على أرضهم، من كل هذا دخلت فلسطين وشعبها في وضع مزري جدا ألحق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، فمن الناحية الاقتصادية مثلا نجدها تعاني من الأزمات المالية وعدم وجود مصدر لإنتاج الأرباح والتصدير، فالمزارع والمساحات التي كانت مخصصة للزراعة من أجل ضمان معيشة وافرة واقتصاد عالي ألجمت وأصبحت رماد بفعل القصف والعدوان الدائم وكذا ارتفاع معدلات البطالة داخل هذا البلد المغلوب عن أمره لعدم وجود أماكن آمنة للعمل والاسترزاق وتوفير الحاجيات الضرورية للعائلة أولا وللبلاد ثانيا« فارتفاع معدل البطالة إلى حوالي 55.2% في قطاع غزة مقارنة بـ

[1] الرواية، ص 123.

13% في الضفة الغربية وارتفاع معدل الفقر إلى أكثر من 80% في قطاع غزة تحديدا و 40% في الضفة الغربية نتيجة للإجراءات الإسرائيلية التي يشير إلى حجم تأثير الحصار المفروض في الضفة الغربية نتيجة للإجراءات الإسرائيلية يشير إلى حجم تأثير الحصار المفروض على قطاع غزة تحديدا وعلى تأثيرات إجراءات الاحتلال بشكل عام على الفلسطينيين»[1]، فقد أسفرت على أزمة الفقر المدقع الذي تعان منه الشعوب في البلد المستضعف فلم يجدوا ما يتناولوه من أكل صحي، وقد لخص "ميهوبي" البطالة ومعاناة عدم وجود الأمن على لسان "ريناد": «أنا أقيم في حي موروث عن الزمن العثماني تكاد تنعدم فيه أسباب الحياة، هو حاليا مأوى لتجار المخدرات والمنحرفين... الأمن منعدم والبطالة مرتفعة واحتجاجات الناس لا تتوقف»[2]، أحداث مؤلمة حقيقية عند التفكير في الأمر فقط تشعر بقشعريرة فما بالك بالعيش وسط أحوالهم ومن البطالة تشكلت أزمة عدم العمل والفقر المدقع الذي أصبح يعاني منه البلد الفلسطيني، فلم يجدوا أكل صحي ولا نقي لكي يتناولوه، فأصيبوا بالهزال والكساح لافتقارهم لأبسط الأمور الحياتية، ومن ثم انعدام الأمن الغذائي الذي يعد الأساس لقيام أية دولة « فاستمرار الحصار على قطاع غزة أدى غلى نقص مستمر وحاد في المواد الأساسية والغذائية ومواد الطاقة وغيرها من متطلبات الحياة، وقد أدى هذا الأمر إلى حدوث أمراض تغذوية مزمنة منها القزمية أو النحافة الشديدة»[3] ، فالحصار اليهودي على غزة ضيق الكثير على الفلسطينيين وضاعف معاناتهم.

[1] الأحوال الصحية في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية، وفي الجولان السوري المحتل، منظمة الصحة العالمية الثالثة والستون، البند 13 من جدول الأعمال المؤقت، ج63/ وثيقة معلومات 14،5 أيار/ مايو 2010، ص7.

[2] الرواية، ص 592.

[3] الأحول الصحية في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية وفي الجولان السوري المحتل، ص9.

نجد كذلك إسرائيل قطعت التيار الكهربائي على غزة وجعلتهم يعيشون في ظلام " فإسرائيل تتحكم بشكل مطلق بالتيار الكهربائي الذي ينير ليل غزة، ويشعل عجلة الحياة فيها" هي شغلها الشاغل زيادة المعاناة على شعب الأقصى وتخويفهم وتجويعهم وفعل المآثم بهم ونجد كذلك بأنها قامت بتلويث ماء الشرب لكي لا يتسنى للفلسطينيين الشرب، ويموتو عطشى وبذلك نقص كميات الماء الشروب.

وكذا هدم المستشفيات الناجم عن القصف المتكرر أدى إلى الافتقار لأبسط المواد العلاجية وتدني الخدمات الصحية ولعل أبرزها نقص الكهرباء و الأدوية العلاجية، «فقد أدى تدني مستوى الخدمات الصحية المقدمة في المستشفيات لقطاع غزة لأسباب عديدة من أهمها نقص الصيانة وتجديد الأجهزة الطبية ونقص الكهرباء ونقص الأدوية وعدم إعادة تأهيل المستشفيات والمراكز الطبية التي دمرت نتيجة للعدوان الإسرائيلي، من هذا دعت الحاجة إلى طلب العلاج خارج غزة»[1]، العلاج شيء ضروري في الحياة وفي حياة الفرد الفلسطيني أكثر من ضروري لتعرضه للقصف الدائم، وممارسة الجرائم الشنيعة عليه.

ففلسطين جراء هذا القهر الذي تتعرض له والطغيان عليها وكذا حرمانها من أبسط متطلبات معيشتها لم تستطع أن تحقق توازنا غذائيا يسمح بالاكتفاء لشعبها ولبلدها وتمتعه بالرفاهية الأمنية بسبب كل ما ألحق بها وعليها من الصهاينة بمختلف طرق الإبادة.

وهكذا يمكن القول، إن الشعب الفلسطيني المظلوم والمستضعف يعاني في صمت من كثرة الإبادة والظلم، والقهر الذي يتعرض له من طرف الإسرائيليين الغاشمين الظالمين، فعلى الرغم من كونهم حاولوا ولا يزالون يواجهون الطغيان القاهر بإحداث ردات فعل عليهم وعدم الخضوع لهم، مثل أحداث 07 أكتوبر 2023م، حينما أحدثت حماس ردة فعل ضاربة لم يكن يتوقعها اليهود، إلا أنها خلفت العديد من الضحايا جراء زيادة عنف

[1] ينظر : المرجع نفسه، ص12.

اليهود تجاههم، فهم لا زالوا يصارعون الموت و المحتل والظروف معا على الرغم من افتقارهم للعديد من الوسائل الحربية، فقد عانوا وكذا اليوم يصارعون المنية واليهوديين والفقر وكل ما يعترضهم فقط بمواجهة العدد وتحرير البلاد الفلسطينية والانعدام بالسلام والحرية، نصرهم الله وفرج كربهم..

ثانيا: فلسطين قضية قومية في رواية سيرة الأفعى

إن الظروف المحزنة التي آل إليها العالم العربي اليوم جراء العدوات التي تلقاها من الغرب من خلال محاولة تفتيته وهز كيانه وتفريق وحدته، والسطو على أرضه وممتلكاته، أدت إلى وعي فرده بانتمائه العربي ووجوب وحدته مع أبناء عروبته، وبما أن الأدب خادم لقضايا أمته فإن هذا الأخير ولد كوكبة من الأدباء تميزت بحسّها القومي الذي ينبع من الذات العربية، وقبل الغوص في سبر أغوار القومية في الأدب نتطرق أولا إلى التعريف بها:

فالقومية العربية حسب "محمد منذور" «وحدة في الشعور، ووحدة في العقل والتفكير، وهي وحدة اللغة والثقافة والمصلحة المشتركة ضد كافة القوى»[1]، ومعنى ذلك أن كل العرب يجب أن تجمعهم مصالح مشتركة ضد العدوان فيلم شملهم تحت وحدة اللغة والثقافة والعقل والتفكير.

والقومية في أبسط مفاهيمها هي: « شعور مشترك بين جماعة من البشر بأن ثمة ما يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم،(...) ولم تعد القومية مجرد فعل انطوائي سلبي ينتهي إلى الرجعية والتعصب، ولا رد فعل مقلد ينتهي إلى إنكار الذات، وإنما استحالت إلى رد فعل واع تجاه الاستعمار وما ينطوي عليه من استعباد وكبت للحريات واستغلال للخيرات، وأصبحت القومية العربية عقيدة إيجابية خلاقة لكيان أمة جديدة حديثة تقوم على أسس وطيدة ودعائم ثابتة من الاستقلال والتحرر الاقتصادي»[2]، إنها ببساطة تمثل ذلك الشعور الذي يربط بين أفراد ومن هنا فإن " عز الدين ميهوبي" حمل على عاتقه هم هذه القضية التي ما تلبث تذكرها

[1] ينظر:محمد منذور، معارك أدبية، دار نهضة مصر ،د ط، القاهرة، دس، ص 300-301.

[2] عمر الدقاق،الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة الشرق، ط2، حلب، 1963 ص 179-183.

حتى تحس بغصة في القلب، فالقارئ للرواية يفهم شعور الكاتب بالألم اتجاه الفلسطينيين، حيث عايش هذه القضية منذ نكبة 1948م إلى يومنا هذا ذاكرا كل الأحداث على لسان شخصيات الرواية، مبينا معاناة الفلسطينيين مع الاحتلال الصهيوني، فهو يناصر القضية الفلسطينية، وبالتالي فالأمكنة الموظفة في الراوية والشخصيات وأدواره تجعل القارئ يظن أن الكاتب كان له حضور معها أو أنه فلسطيني يعرف سبر أغوار هذه الأرض، وبطبيعة الحال فإن هذه فطرة الجزائري اتجاه هذه الأرض الذبيحة، ومن هنا فقومية " عز الدين ميهوبي" وحسه العربي يظهر من خلال اتخاده لقضية فلسطين موضوعا لروايته كما تتجلى أيضا من خلال حديثه عن " جماعة كيفونيم" التي ترمي أهدافها إلى محاولة تفتيت العرب وتفرقتهم، ولهذا تتحالف معهم مختلف الدول الأوروبية والأمريكية، حيث دافع "ميهوبي" عن فلسطين في رواية (سيرة الأفعى) على لسان الفتاة "ريناد" التي يقول منها في إهداء « هذه الرواية إلى امرأة ابتكرتها... وصدقتها»[1]، هذه الفتاة التي يرصد من خلالها حال الفلسطينيين جراء الاحتلال الصهيوني الغاشم ويكشف من خلالها التضليل الإعلامي لهذه القضية، واصلا من خلالها إلى حد التقليل من شأن المنظمات كالأيباك، وبالتالي فكل ما وقع في الرواية على لسان المرأة "ريناد" وما قامت به من نضال في سبيل وطنها نابع من ذات جزائرية، من قرائح ووجدان وأنامل جزائرية أحبت فلسطين من صميم الفؤاد فجعلت حبرها بسبل فداءها، وهنا تظهر قومية الكاتب وتشبثه بهذه القضية والشعور بأنها قضية أمته، فلا يمر عليها مرور الكرام وإنما بعبر عندها دون الخوف من العواقب، فإن لم يخدمها بنضال السيف يخدمها بنضال القلم أمة من الأمم، كما أنها أصبحت كرد فعل واع ضد الاستعمار، والقومية العربية خلقت أمة جديدة داعمة لبعضها البعض تقوم على أسس متينة، إذن« فالقومية هي جماعة من الناس تربطهم بروابط واضحة من الثقافة المتجانسة والقومية الصحيحة تستمد حيويتها من شعور أفرادها بوحدة نوعهم ومن التشابه الأساسي بين تقاليدهم وطباعهم، ومن مقومات القومية تجانس الخصائص الثقافية (...) وكذلك تجانس النظم الأساسية كاللغة، الدين

[1] الرواية، ص6.

(...) وأساسها الشعور بالانتماء للجماعة ويشعر الأفراد المنتمون لقومية ما برابطة التعاطف فيما بينهم»[1]، ومن هنا فإن القومية هو ذلك الشعور الواحد الذي يربط عدة أفراد ينتمون إلى جماعة معينة تربطهم وحدة الثقافة والدين واللغة حيث تجمعهم أواصر التعاطف فيما بينهم.

وتكملة لما سبق فإن الأدب خير وسيلة أظهرت النزعة القومية العربية ونخص بالذكر فن الرواية، فها هو الروائي العربي يحاكي قضايا أمته العربية في نص نثري يسرد كل حيثيات الواقع، وإن أبرز قضية أثارت حسه الوجداني هي قضية الأرض المسلوبة، فلسطين جريحة، وأبرز مثال النموذج الذي قامت عليه هذه الدراسة رواية (سيرة الأفعى) للجزائري" عز الدين ميهوبي"، هذا الأخير صور لنا معاناة الشعب الفلسطيني في قالب سردي، والقارئ لهذه الرواية يشعر بالوعي الذي كتبت به هذه الرواية.

وبالتالي فالقضية الفلسطينية هي قضية العرب والمسلمين جميعهم، كما سبق الذكر بأنها أرض المسجد الأقصى وميلاد أنبياء الله، إنها حقيقة قضية قومية، أما الصهاينة فقد جاؤوها كغزاة حيث عثو فيها فسادا والجدير بالذكر أن هذا الوجع الذي ألم بالفرد الفلسطيني حرك خلجات الجزائري المعروف بحبه لهذه الأرض الطاهرة المباركة، بما أن هذا الأخير عاش مرارة الاستعمار الفرنسي فإنه خبر من يشعر بألم الفلسطيني الذي لا زال يقهر حتى يومنا هذا.

واستخلاصا لما سبق فإن المصائب والنكبات الحاصلة في الوطن العربي وخاصة فلسطين كثيرا ما حركت مشاعر الأدباء على اختلاف أجناسهم وأعراقهم؛ حيث تخطى الأديب العربي حدود وطنية في التعبير عن الحدث الحاصل في وطن غربي شقيق، والتفنن في وصف مآسيه ونكباته وصدمات شعبه، ولعل فلسطين من أبرز الدول التي حركت النزعة القومية في قلوب الروائيين العرب ونخص بالذكر الجزائريين وهذا يرجع إلى مكانتها الإسلامية،

[1] سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1987، ص 102، 103.

وبالتالي فالكيان الصهيوني وما ألحقه من ظلم وضرر بهذه البلاد فجر أقلام الأدباء بروايات أبدعت أبلغ إبداع في إيصال الرسالة من عمق الحدث إلى شعوب العالم والعرب خاصة، عل استغاثة القلم والكلمات تحيي قلوبا ماتت راكضة خلف ملذات الحياة.

ثالثا: المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) "لعز الدين ميهوبي"

قبل الحديث عن صورة المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى)، يجب التطرق أولا إلى مفهوم الصورة.

أ– لغة:

وردت كلمة صورة في " معجم العين" (للخليل الفراهيدي) على النحو الآتي:« وصورت صورة، وتجمع على صورٍ، وصورٌ لغة فيه، وقال الأعشى:

وما أَيْبُلِيٌّ على هيكل بَنَاهُ وصلَّبَ فيه وصارَا.

بمعنى صوّرَ وهي لغةٌ»[1]، أي بمعنى الهيكل الذي يبنى على الشيء.

أما في معجم (مقاييس اللغة) فقد وردت « الصورة صورة كلٍ مخلوق، والجمع صورٌ، وهي هيئة خلقته»[2]، بمعنى أن الصورة الهيئة التي خلق بها كل إنسان.

أما في محكم التنزيل فقد وردت كلمة صورة في عدة مواضع من بينها قوله تعالى:﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾[الحشر/24] حيث جاء في تفسير (للطبري) :« البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصور خلقهُ كيف شاء، وكيف يشاءُ»[3].

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مرجع سابق، ص 422.
[2] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ص 30.
[3] أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آية القرآن، ج22، ص555.

وأيضا قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾[الأعراف/ 11] وفي تفسيرها: قال:« خلق الله الإنسان في الرحم، ثم صوّره، فشق سمعه وبصره وأصابعه»[1].

أما في سورة آل عمران فوردت كلمة الصورة في قوله تعالى:﴿**هوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[آل عمران/6] « يعني بذلك جل ثناؤه: الله الذي يصوركم فيجعلكم صورًا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب، فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر»[2].

استنادا إلى ما سبق فإن الصورة في المعاجم العربية تدل على هيئة الإنسان التي وجد بها أي شكله أما في القرآن الكريم فتدل أيضا على الحال التي خلق الله عز وجل عباده فيها منذ تكونه في رحم أمه أي منذ كان نطفة ثم علقة ثم مضغة حتى خروجه من بطن أمه.

ب- اصطلاحا:

يدل مصطلح الصورة في أبسط مدلولاته العامة على :« وحدة بناء الذهن الإنساني ووسيلته الوحيدة لتعرف الأشياء، وتوجيه السلوك أو تحديده بالنسبة إليها»[3]،بمعنى أن الصورة هي متخيل الإنسان ووسيلة للتعرف عن الأشياء أي من خلال رسمها في الذهن ونسبة بعض السلوكات إليها.

وتعرف الصورة أيضا على أنها:«شكل من أشكال الفنون الذي ينقل واقعا ما، أو يبتكر مشهدا ما من نسج الخيال، انطلاقا من واقع ملموس»[4]، ومعنى ذلك أن الصورة نسج من الخيال، يجسد واقعا ما في قالب فني.

ويشير " الجرجاني " إلى أنها :« تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا»[1]، فهنا يقيس "الجرجاني" المعاني في الذهن أو التصورات الذهنية على ما تراه الأعين وكحوصلة مما سبق فإن الصورة ما هي إلا

[1] أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير آية القرآن، ج10، ص 79.
[2] المرجع نفسه، ص186.
[3] نعيم الياقي، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د ط، دمشق 1982، ص42.
[4] جاك أومون، الصورة تر ريتا الخوري، المنظمة العربية للترجمة، ط1، لبنان، 2013، ص 7.

الأشياء التي يصورها الذهن ويخرجها على شكل محسوسات، وبالتالي فهي متخيل يجسد في الواقع، أو واقع يرسم في الذهن ويجسد في قالب فني.

بعد التعرف على ماهية الصورة ننتقل إلى المرأة هذه الأخيرة كائن إنساني خلقها الله عزوجل من ضلع آدم من تراب، فكانت له الزوجة واستمر النسل لتصبح الأم، والأخت، والابنة، والمرأة تعرف على أنها كتلة من العواطف والأحاسيس، هي رمز للحبيبة والعشيقة والصديقة ورفيقة الدرب، ولهذا يقال المرأة هي روح الحياة،وبدونها يموت كل شيء.

ومن هذا المنطلق يبين صورة المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) حيث نبدأ ب:

1- المرأة الفلسطينية المناضلة

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، د د، د ط، د ب، د س، ص508.

وهي المرأة التي وقفت إلى جانب بلادها وقفة الرجال؛ المرأة المقاتلة الموجودة في قلب النضال جنب الرجل، هذه الأخيرة بحناها وعطفها كانت سندا للمقاومة ضد الاحتلال الغاشم الذي لا يفرق بين الكبير والصغير، والمرأة والرجل، لهذا جعل منها قنبلة لا يعرف متى تنفجر، وتخص بالذكر شخصية " ريناد" في رواية(سيرة الأفعى) التي يقول عنها " عز الدين ميهوبي" كما ذكرنا سابقا:«إلى امرأة ابتكرتها....وصدقتها»[1]، فمن خلال هذه الشخصية يرصد لنا الكاتب المرأة الفلسطينية الحذقة التي نعتها بالأفعى في تحركاتها مع من حاولوا العبث معها وبشرفها، حيث يقول:«حتى الأفاعي تغمض عيونها لترتاح قليلا... لا تسألوا الحية إذ كانت تندم لفعل قامت به... هي لم تقربهم، هم من أرادوا إيذاءها في غارها الآمن..»[2]، "ريناد" الفتاة الشابة المحبة لبلدها والمتمسكة به، والتي ورثت حبها وتشبثها بهذه الأرض من أبيها"غسان المنذر" الذي كانت وصيته لها قبل موته:«أوصيك خيرا بالعائلة أولا وبفلسطين دائما»[3]، فكيف لفتاة أن تنسى وطنها وكلمة أبيها بأنها امتداده في هذه الأرض معها تهمس أذنها في كل دقيقة تذكره بها، ومن هنا فإن " عز الدين ميهوبي" أعطى لشخصية "ريناد" صورة المرأة الفلسطينية الحذقة المثقفة، فهذه الأخيرة من عرب48، أو عرب إسرائيل الذين يحملون ازدواجية الجنسية، عربية وإسرائيلية؛ حيث تغلبت على المحتل وجماعاته التي حاولت تفتيت العالم العربي أي لم يكن بعدهم- فلسطين- وفقط وإنما أهدافهم ترمي إلى ضرب العالم العربي الإسلامي، "فريناد" رمز للمرأة الفلسطينية التي تغلبت على المحتل بعقلها وحدة لسانها الذي يعي ما يقول وينطق، حتى قيل لها من طرف يهودي أنه « لم يحدث أن واجهتني امرأة بهذه الشجاعة، حتى زوجتي التي أعترف أنني لا أجرؤ على رفع صوتي أمامها، لا توجهني بهذه الحدة لكنني أعترف أن في كلامك ما يدعو للتفكير»[4]، والجدير بالذكر أن جنسية "ريناد" المزدوجة أي أنها من عرب إسرائيل مكنتها من الوصول إلى جماعة كيفونيم وجهاز الموساد الذين حاولوا أن يتلاعبوا بها ويجعلوها عميلة لهم، لكن هيهات

[1] الرواية، ص 6.
[2] الرواية ص 677.
[3] الرواية، ص 8.
[4] الرواية، ص 215.

هيهات، فإن كانوا هم جماعة تخطط وتنفذ فإن الفلسطينية ولدت في حطام الدور وفوق رأسها رشاش لا تحيفها الجماعات وإنما تتحرك وفق العقل والمنطق، وبحدة هذا الأخير فتت هذه الجماعة قبل أن يقوموا بتفتيت العرب حتى قيل لها «أن الجيل الجديد من الفلسطينيين يتحدث بمخالب ...اسمحي لي إذا قلت لك إنني معجب بفطنتك وذكائك»[1]، وبالتالي فالكاتب أعطى "لريناد" صورة المرأة الفلسطينية المتعلمة الفطنة لما يجري حولها حيث أن لدراستها بجامعة إسرائيلية واختلاطها باليهود وإقامة صداقات معهم مكنها من التقرب من أفكارهم وما يسعون إليه، حيث قاموا بخداعها أولا وذلك بإرسالها في بعثات علمية إلى تركيا كونها تدرس هندسة معمارية، وهنالك عبثوا بشرفها، لكن للأفعى جزء من خبث الذئاب فقد كشفت ما يسعون إليه خلسة من خلال صديقها " عاموس" الذي يحتفظ بصور غير أخلاقية لها، التقطوها دون علم منها بذلك، ومن هناك طبقت ألاعيبها عليهم، فقضت على بعض منهم بالسم، وآخر بجرعة زائدة من المخدرات وآخر بالجنون من خلال حبه لها.

ليس فحسب وإنما " ريناد" هذه استطاعت خدمة وطنها من خلال العمل على ترميم أحياء مدينة "حيفا" كونها مهندسة معمارية، وبالتالي فهي صورة للمرأة الفلسطينية التي أعانت شعبها على التشبث بأرضه وعدم التخلي عنها، فإعادة ترميم الأحياء، وتنظيفها فهنا رسمت لنا تلك المرأة التي أعانت شعبها إلى التشبث بالأرض وبزيتونها وأحجارها، وهذا ما يحسد اليهود الفلسطينيين عليه لأنهم رغم المعاناة والضرر الذي ألحق بهم إلا أنهم متشبثون بأرضهم لا يتركونها لمن جاءوا إليها ليفسدوا فيها. حيث ورد قول "لشارون" في الرواية هذا الصدد:«أحسد الفلسطينيين لأنهم يملكون شاعرا يعلمهم كيف يحبون أرضهم ويشعرون بالانتماء إليها... ويعني بذلك محمود درويش»[2]، فإذا كان محمود درويش شاعر الوطنية الذي زرع في قلب أبناء وطنه روح الانتماء والاستشهاد في سبيل الوطن بدل الهجرة والعيش الكريم في بلاد أخرى والوطن الأصل والمنبت يباد، فإن الكاتب

[1] الرواية، ص 217.
[2] الرواية، ص 301.

أعطى "لريناد"صورة المرأة التي أكملت دراستها واستغلت شهادتها لخدمة وطنها وإصلاحه ودعم شعبه للتمسك به، وفي هذا الصدد سألها يهودي عن عدم تغييرها لحيها (الحلّيصة) وانتقالها إلى حي أرقى منه فأجابته«أخشى أن أفقد لوني القمحي... وأنا اعتدت عليه في الحلِّيصة»[1]، فهنا كأنها ترمز إلى حبّ انتمائها لهذا الحي.

ليس هذا ما نبع من المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) وإنما دفعت بأخيها و رفقاته إلى التخلي عن تنظيم أسسوه باسم « أبناء القيامة»، والانطلاق في مشروع آخر اجتماعي وتربوي بعنوان تنظيم :« حيفا التي نريد» حيث حثتهم :«بإنشاء أفواج لتنظيف الأحياء وتنظيم مسابقات لأجمل حي، وإصلاح الأعطاب(...) اجعلوا الناس يلتقون حولكم، وسيستعيدون مشاعر الفرح، وتزول مظاهر العبوس، نحن في أرضنا وهم طارئون(...) اقتلوهم بإعادة ابتكار الفرح الفلسطيني الذي سرقته عصابة الهاغاناه والأورغون... لا تنسوا أنكم في بلدة القسام ودرويش »[2]، هكذا صور " ميهوبي" المرأة الفلسطينية من خلال "ريناد"، فبدل قتل فرد إسرائيلي ينشر خبره اليوم ونسى غدا، دعتهم لإصلاح وترميم وإعادة تهيئة الخراب الذي ألحق بالأحياء، ودعتهم للتمسك بالأرض، وإفراح شعبها بهذا، حتى ينسون بأسهم ومرارة ما يعيشونه كل يوم وكل ساعة، في حين آخر يقتل المحتل بكل برود إزاء هذا التضامن من الفلسطيني، وعلى هذا النحو تصلنا صورة المرأة الفلسطينية التي ناضلت بعقلها فإن لم تحارب بالسيف فقد حاربت بالفطنة وبهذه الأخيرة ربطت على قلوب أفراد وطنها، ولم تكتف " ريناد" بهذا القدر بل استغلت دخولها في هذا الجهاز الأمني الإسرائيلي "الموساد" لتصل إلى عدة مقابلات إعلامية دافعت فيهاعن فلسطين وشعبها، وكشفت عن المعاناة والألم الذي يعيشونه ثم يقال عنهم إرهاب:«أنتم الذين تستهجنون كلامي بالتصفير، إلى الشارع فرحين بالحصار أم أنكم ستقاومون ذلك؟ كونوا صرحين معي... ماذا تفعلون؟ أيهما أهون لكم، أن تقاوموا لتعيشوا فتوصفوا بالإرهابيين، أم تستكينوا بينما أبناؤكم يموتون أمام أعينكم فلا

[1] الرواية، ص 482.
[2] الرواية، ص 484.

تملكون حلا لذلك؟ !»[1]، وهنا عكست "ريناد" صورة المرأة التي لا تنسى معاناة شعبها حتى لو فضحت حقيقة لعبها على إسرائيل، كما أن هذه المرأة وصلت إلى مؤتمر " الأيباك" وهناك أيضا قامت بحوارات مباشرة فكان دفاعها عن فلسطين وشعبها، والمعاناة الملحقة بهم لا يفارقها حتى قاموا بطعنها طعنة موت لكن الله كتب لها عمرا آخر فقد ورد ذلك في الرواية في قولها:«(...) لو أني خرجت، من سيكون منتصرا في رأيكم؟... سكتوا... قلت لهم: أنا... نعم أنا؛ لأنكم ستتحولون بعد ستين سنة من وجودكم المؤثر إلى مسخرة فيقولون امرأة فلسطينية تفضح ديمقراطية الآيباك...»[2]، وهكذا كانت صورة المرأة الفلسطينية المناضلة في روايته (سيرة الأفعى) فعلى الرغم من حملها لجنسية عربية إسرائيلية تمكنها من العيش بسلام إلا أنها لم تنس قضية وطنها المسلوب وشعبها المنبوذ، فكما قال الكاتب :" امرأة ابتكرتها وصدقتها" فهي نموذج عن المرأة الفلسطينية في الواقع، التي لطالما شردت واغتصبت وأقيم بها ما لا يقاوم إلا أنها لا زالت متمسكة بقيمها ومبادئها ودفاعها عن وطنها، وبالتالي "فريناد"نموذج المرأة الفلسطينية الحذقة القوية التي قلبت موازين " إسرائيل" لتترك بصمتها عليهم، وأعطتهم دروسا في حب الأرض ورابطة الانتماء إليها.

ومن هنا فإن المرأة الفلسطينية تستمد قوتها من الحطام الذي حولها فتنتشل نفسها منه لتخرج في كامل قواها التي تبعثها نحو النضال.

- ذكر الكاتب في رواية (سيرة الأفعى) مقتل الإعلامية " شيرين أبو عاقلة" التي قتلها الاحتلال الإسرائيلي ظلما بتاريخ (11-05-2022م) في مخيم جنين والذي أحدث مقلتها ضجة إعلامية كبيرة، حيث جاءت صورتها في الرواية أنها تنقل أخبار أبناء بلدتها من صميم قلبها وليست متصنعة:«ريناد ما يثيرني في هذه الفلسطينية أنها لا تتصنع الحزن... هي لا تختلف كثيرا عن أبناء بيت حنينا المقدسيين... أشعر أنها لن تعيش طويلا... لا أعرف

[1] الرواية، ص 594.
[2] الرواية، ص 595.

لماذا...»[1]، وبالتالي فهذه الأخيرة أعطاها الكاتب صورة المرأة الفلسطينية التي نقلت معاناة شعبها من ضميرها وليس بدافع العمل فقط، وبما أنها نشأت من صلب المعاناة فهذا ليس بجديد أو هين على المرأة الفلسطينية، فهي تفدي بنفسها في سبيل خدمة وطنها ولو كلفها هذا الأمر موتها، فقد كانت الشاهد على العديد من الضحايا جراء العدوان الصهيوني فهذا لا يخيفها أو يعرقل مهنتها لأنها تعلم أن جنازتها مؤجلة ليوم آخر.

- استعان " عز الدين ميهوبي" أيضا في نسج أحداث روايته بذكر المرأة الفلسطينية "ليلى شهيد" الموضحة في الصورة.

حيث جاء ذكرها بأنها« وليلى شهيد التي تعرفونها جيدا وهي تواجه يوميا اللوبي الصهيوني في بلد الحرية والمساواة... ماذا تنتظرون من امرأة جاءت من الأرض التي شهدت مقتل الناشطة الإنسانية "راشيل كوري" وهي تحمي بيت مواطن فلسطيني عندها سوتها جرافة إسرائيلية بالأرض»[2]، "فليلى شهيد" هي تلك المرأة الفلسطينية السياسية، مندوبة فلسطين لدى الاتحاد الأوروبي خصها الكاتب بالذكر لأنها كانت تواجه بنو صهيون في بلد

[1] الرواية، ص 79.
[2] الرواية، ص 672.

الحرية والمساواة- فرنسا-؛ حيث يقصد باللوبي المؤيد لإسرائيل، أما "راشيل كوري" فهي ليست فلسطينية وإنما أمريكية من دعاة الإنسانية، جاءت لقطاع غزة كمتضامنة أثناء الانتفاضة الثانية وهناك قتلت على أيدي الصهاينة أثناء تصديها لجرافة إسرائيلية كادت تهدم بيت مواطن فلسطيني.

ومن هنا فإن الإبادة من طرف الصهاينة ليست مقتصرة على نساء فلسطين فحسب وإنما شملت كل من يساندهم، ويدعم قضيتهم ويقف معهم وقفة الإنسانية والتضامن.

2- المرأة الفلسطينية الأم المنجبة

كما يقول الشاعر " حافظ إبراهيم" الأم مدرسة إذا أعددتها... أعددت شعبا طيب الأعراق، فإن الأم هي الحياة، هي الحضن الدافئ، والملاذ الآمن، فهي كالوطن إن غبت عنه تشعر بالحنين له والضياع في أوطان الناس، وبالتالي فالأم هي ملجأ كل فرد تذهب إليها في كامل ضعفك ووهنك فتقف بعدها في كامل قواك، ولهذا فالأم هي لطف الله فينا، فالأم تربينا على القيم والمبادئ تعلمنا وتقوينا على مواجهة الحياة تطعمنا وتسقينا، تلبسنا

وتكسونا على حسابها أي: حتى لو كلفها الأمر أن لا تأكل، ولا تشرب، ولا تلبس، وهذا لكي لا نجوع ولا نعرى نحن، هذا بخصوص رابطة الأم في كل بقاع العالم، ومن هذا المنطلق ماذا يمكننا القول عن " الأم الفلسطينية" التي ذاقت جرعات كبيرة من الاحتلال الذي عذبها واغتصبها وهي حبلى، وجردها من ملابسها أمام أعن أولادها، وبالتالي فكل الذي قيل ويقال عنها لا يوفيها حقها، هذه الأخيرة أعطاها الكاتب في الرواية صورة المرأة الولود التي تنجب كل عام رغم علمها بأن هذا الأمر يوهنها، إلا أنها تتقوى بربها سبحانه ولقضية أرضها التي لا تستطيع أن تتخلى عن تربتها وأغصان زيتونها، فهي تلد وتعلم أنها تفقدهم في قصف واحد فقط من طرف العدوان،«سترحلون عندما يدرككم تصحر أرحام نسائكم، لم يبق أمامكم إلا أن تستأجروا أرحاما عاطلة عن الإنجاب في الهند أو الحبشة لأنكم لن تفلحوا في جعل المستوطنين الأغراب أكثر خصوبة من نساء الحارات الفلسطينية اللواتي ينجبن كل شهر...»[1]، وبالتالي فالكاتب أعطى المرأة الفلسطينية صورة الولودة التي تنجب عام فالحرب على غزة هي حرب على نساءها أيضا اللاتي يأبون الرضوخ للمحتل، فهم يموتون جوعا في سبيل إطعام أبنائهن، وأخريات فقدن الحياة من ألم الولادة في غياب أدنى شروطها الطبية، ومن هذا المنطلق فإن المرأة الفلسطينية تنجب وهي تعلم أنها تواجه الموت في كل ثانية تعيشها، فهي تعلم أنها لن تضع ابنها في مستشفى خمسة نجوم، تعلم بأن المستعمر الغاشم هدم كل المستشفيات خوفا من رحمها المتجدد الذي يضع كل عام صبيا، فلم يبق له إلا أن يعذبها بهذه الطريقة اللاإنسانية التي تبعثها إلى الضمور، لكن هيهات له من هذا فمن ولدت وسط اللهيب لا يخيفها أن تموت من ألم الولادة، بل يقويها على إنجاب أجيال يمكن أن يكون لها الفضل في تحرير القدس الشريف، ويكفيها أن يقال عنها شهيدة أو أم شهيد.

[1] الرواية، ص 7.

الصورة التي بين أيدينا لإمرأة فلسطينية فقدت ولديها جراء القصف، تحملهما وهي تكابد مرارة الفقد وتقول " مش خسارة فربنا"، وبالتالي فهذا يظهر المعاناة التي تعيشها النساء الفلسطينيات كل يوم فكم من نساء قتلت، وكم من نساء اغتصبت، وكم من نساء رمِّلت، لكن لا زالوا صامدين من أجل الأم الأكبر " الوطن" ففي حديث دار بين الشخصية "ريناد" ونساء أخريات في مستشفى التوليد تقول إحداهن « أنا عندي ثلاث بنات وولد، والطبيب أخبرني أن لدي توأمين، بنتا وولدا، زوجي يحب الأولاد.

– ماذا تنتظرين من فلسطيني، حرفته الإنجاب

(...)

– أنت على الأقل تنتظرين واحدا... أنا وأختي سمية، اثنان لكل واحدة... مو خسارة لفلسطين»[1]، فمن هنا تظهر محبة الفلسطيني والفلسطينية للإنجاب، هذا راجع لأنهم يهبونهم فداء فلسطين، لكي يستمر النسل الفلسطيني على هذه الأرض المغتصبة، الأرض التي حاولوا القضاء على شعبها لكنهم لم يستطيعوا لأنها أخرجت ليس نساءا فقط وإنما ماكينات إنجاب لا ينفذ نسلها.

[1] الرواية، ص 684.

3- المرأة الفلسطينية والمعاناة مع الاحتلال

لم ينظر الاحتلال الإسرائيلي للمرأة على أنها كائن حساس رقيق، وإنما أذاقها جرعات لا يمكن وصفها من الآلام؛ من قتل وتشريد واغتصاب أفقدتها خصوصيتها كامرأة، وبالتالي فهذا الاحتلال أفقدهن أبسط سبل العيش، فإذا كنا نحن لا نعاني من الاستعمار ونرى أننا نفتقد لبعض مقومات العيش، فكيف ترى المرأة الفلسطينية التي تعيش وسط حطام الدور، فالمرأة الفلسطينية مثال حي عن القوة والصمود، ويعكس هذا في رواية (سيرة الأفعى) في حديث الشخصية "ريناد" «إني أتهم ضمير الإنسانية المغيب عندما يغطي الدم أرصفة الشوارع ولا تجد صرخات النساء مسعفا لها... إني أتهم العالم بالجري وراء أخبار شاكيرا وليدي غاغا وريحانا وعائلة كارديشيان وبريجيت باردو وقططها، بينما لا تعني له شيئا أجساد النساء الممزقة كلحم مفروم في شوارع غزة (...) إني أتهم العالم الذي تخلى عن النساء وهن صانعات السعادة فيه (...) إن أتهم النساء لأنهن أنجبن وحوشا لا تتوانى عن قتل امرأة كانت تصرخ أنا حامل اتركوا ابني يعيش... »[1]، ومن هنا تظهر صورة معاناة المرأة الفلسطينية من خلال رواية (سيرة الأفعى)، هذه الأخيرة قتلت بدون حزن أو أسى عليها، حيث رميت بالشوارع كاللحم المفروم لا تعرف هويتها، فهي لم تذق حلاوة الأمن منذ مهدها فإن لم تقتل تغتصب أو تعذب أو تلقى في السجون الإسرائيلية النتنة أسيرة، وبالتالي فالحرب على غزة لا تستثني أحدا والنساء الفلسطينيات يتجرعن نصيبا كبيرا من مرها هذه الأخيرة نعتبرها رمز للقوة والصلابة ضد بطش وعدوان المستعمر فهي تشارك بنضالها وصبرها من أجل تغيير هذا الواقع الأليم.

[1] الرواية، ص 673.

والصورة التي أمامنا تعكس معاناة المرأة الفلسطينية مع الاحتلال، حيث مارسوا عليها كل سبل العنف بالضرب والإلقاء من طولها على الأرض.

بعض من الصور التي تكشف المعاناة المرأة الفلسطينية:

4- المرأة الفلسطينية رمز للحب والعطاء في الرواية

المرأة هي تلك الكائن الذي تفوق على نظيره الرجل بالعاطفة، وهي تلك المخلوق الضعيف في ظاهره القوي في باطنه كيان يستمد قوته من الحنان والعطف، أيقونة العطاء في شتى أدوارها، سواء أكانت بنتا أو أختا أو أما أو زوجة أو جدة، يراها العالم هشة بدموعها ورقتها وحياءها، وترى هي نفسها قوية بالحب والحنان في قلبها، تنفثه على محيطها أينما حلت فتزرع فيهم آمالا وقيما، ويستمد منها محيطها القوة والدعم من حنانها وعطائها، وبالتالي فالمرأة إن أحبت اهتمت وأعطت بسخاء، فهي كما خلقها الله عز وجل أما أعطاها العطف والحنان وبالتالي فهي رمز للتفاني، ومن هذا المنطلق تظهر صورة المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) حيث أعطاها الكاتب نصيبا كبيرا يكشف عن حبها لمن حولها بصفتها بنتا وأختا وزوجة وأما، وكل هذا يتجسد من خلال بطلة الرواية " ريناد" التي كانت بنتا بارة بواليدها محبة لهما، وجاعلة لهما كل شيء في حياتها، "فريناد" كانت رمز للبنت الفلسطينية المؤنسة البارة بأبيها الذي كانت تفتخر به في كل محضر بقولها أنا "ريناد" بنت "غسان المنذر"، وبالتالي فهي كانت روح أبيها المقعد وبلسم جراحه، كما أنها كانت نعم الأخت لأخيها " نديم" من خلال دعمها، فعند دخوله السجن بسبب الإسرائيلية " زيفا" كانت هي المرأة الرجل خلفه حيث استغلت معارفها الإسرائيلية وأخرجته من السجن، كما أنها تنوي أن ترسله إلى كندا للدراسة من أجل إبعاده عن المقاومة خوفا عليه من الاغتيال من طرف اليهود، لكن هذا الأخير كان يريد الزواج بأخت صديقه حيث قامت بمساندته وتزويجه « استقلت "ريناد" على الأريكة، وقالت له: كم تريد. ومتى العرس؟، فرد ضاحكا: « أن ترضي علي فقط أما العرس فخير البر عاجله (...) كتمت "ريناد" في قلبها كميات الحزن والفرح التي تولد عن رغبة أخيها في أن تكون في حياته امرأة»[1]. وهكذا تظهر صورة المرأة الفلسطينية التي تعيش مسؤولة عن نفسها وعن عائلتها حتى في حضور أبيها وإخوتها. كما أعطاها الكاتب أيضا صورة المرأة التي تعشق وتحب في صلب الاحتلال فقد أحبت "رامي" الفتى الفلسطيني المقيم خارج البلد وتزوجته وأنجبت منه ابنها الذي أسمته "كنعان" ليدل على الأصل

[1] الرواية، ص 397.

والمنبت الفلسطيني حيث تقول لزوجها « أسميته كنعان. هل تريدني أن أسميه رونالد أوماك دونالد؟ لا أعجبني الاسم. أصيل ابن أصيلة»[1]، هذه الأخيرة ربت ابنها على حب فلسطين والولاء لها ولشعبها ساخطة على المحتل الذي لا يعرف حدودا لسفك الدماء، حيث تقول « طفلي سيقاوم ديدان ترامب النتنة... سأعلمه كيف يبصق على صورته أينما رآها(...) لا يمكنني إلا أن أضم طفلي واقبل زوجي الذي منحني فسحة استحضار هذا العام الذي لم يكن كما تمنيته»[2]، هكذا تعلم المرأة الفلسطينية ابنها السخط على الرؤوس التي أبادت وطنها أو ساعدت في إبادته ومحو شعبه الأصلي من الوجود، فكمية الحب والحنان والعطف الذي تكنه لعائلتها وأسرتها ينبع منه حب الوطن والولاء له، وبالتالي تنشئ أجيالا على هذا المنوال فالطفل الفلسطيني يستمد قوته من أمه الصامدة في وجه الاحتلال الصهيوني وهي بدورها تورثه السخط على هذا الأخير والموت من أجل الوطن.

وفي الأخير لا يمكن القول إلا أن المرأة الفلسطينية ما هي إلا رمز للقوة والصلابة، رمز للحب والوفاء والصبر والأمل، المرأة الآتية من ماض أليم وحاضر لئيم، فهي أيقونة القضية الفلسطينية وهي مثال حي عن المرأة المكافحة الصامدة في وجه الكيان الصهيوني،وبالتالي فالمرأة الفلسطينية تعتبر من أشجع وأقوى النساء في العالم، من بسالة روحها ورباطة جأشها، فمن خلالها يولد شعبه يعشق الموت فداء الوطن والحرية، هي تلك الأم الذي يخاف العدو من رحمها ويسعى للنيل من جنينها، كان في بطنها أو مولودا حديثا في حضنها أو صبيا فتيا يلعب بشظايا الحرب حولها.

فالأم الفلسطينية هي الأم الوحيدة في العالم التي تعلم أنها تهب فلذات أكبادها لنيل الحرية واسترجاع وطن مغتصب، فهي تلد وتعلم أنها ستفقد، لكنها لا تيأس وتلد مرات ومرات لتضمن استمرار النسل الفلسطيني الأصيل على الأرض العربية الشريفة الأصيلة، وبالتالي فهي ترضى بهذا الفقد الذي يحرق كبدها، فتجدها تدفع

[1] الرواية، ص 682.
[2] الرواية، ص 708.

البطن تلو الأخرى وتسعى جاهدة لزرع القيم والمبادئ في أرواح أبنائها منذ الصغر، لتنتج جيلا لا يخاف القصف ولا يخاف المدافع ولا الطائرات، بل منهم من يضحك ومنهم من يرتعش دون دموع ومنهم من يحمل حجارة ويضرب على قلة حجمه وكبر روحه المحاربة.

وعند استشهاد الأطفال تجد تلك الأم تبكي تارة حرقة ضياع الابن وتحمد الله تارة أخرى لنيلها شرف أم الشهيد، وتستنجد تارة أخرى بأمة ماتت قلوبها خلف شاشات التلفاز، غلها تجد ملبي النداء لكن هيهات، ورغم كل هذا العذاب تبقى المرأة الفلسطينية صامدة وسط الميدان، حيث تبلغ بها الشجاعة مبلغا تدافع فيه على عائلتها وأطفالها بالنفس والنفيس ولا تستبعد أنها تدافع على أبناء وطنها وتحاول حمايتهم من عدو غاشم مغتصب، فكم من امرأة شوهدت تهرب الأطفال وتقف وقفة الرجل الصامد في وجه العدو وتصرخ ملئ الفاه والروح على وطنها وأبنائها.

رابعا: صورة الطفل الفلسطيني في رواية سيرة الأفعى لعز الدين ميهوبي

منذ ولادتنا ووعينا لهذه الحياة لم تفارقنا مسامع عن أخبار معاناة الأرض الطيبة الشريفة فلسطين، التي اغتصبها اليهود الصهاينة من غير حق لهم هناك، فألقوا الرعب في كل أنحاء البلاد وأثاروا الرهب والفزع لدى سكانها هناك من دون أية رحمة ولا شفقة، منددين بأن يأخذوا الأرض المباركة لهم وعندها يمكن أن يخلوا سبيل الفلسطينيين من كل الآهات التي سببها لهم .

عانى الشعب الفلسطيني من القهر والظلم الذي تعرض له من اليهود الإسرائيليين و الصهاينة، فلم يسلبوا منهم أرضهم فقط وإنما سلبوا أهلهم وأحيائهم وأولادهم وأقاربهم وأطفالهم، سلبوا حرياتهم وشتتوا شملهم، أقاموا الويل عليهم وحرموهم حتى من التنزه في شوارع فلسطين بأمان، أصبح الفزع يهدد تجوالهم وخروجهم وعبورهم وخاصة الطفل الفلسطيني صاحب الابتسامة الأليمة التي تحكي وتقر من خلفها العديد من الآهات والتحسرات والمآسي التي يعيشها، فلا هو قادر على التمتع بالحرية في أرض بلاده منعما بها، ولا مستقرا في بيته يشاهد أفلام الكرتون أو البرامج الصبيانية المخصصة لهم، كل ما تسنى لهم عيشه هو الدمار الذي يمارسه عليهم الطغيان الإسرائيلي من قصف وقتل وتدمير للبيوت، وتشريدهم في الطرقات من غير مأوى، وتضييق سبل العيش عليهم من الحرمان المتواصل تجاههم، كل هذا ولا يزال الكثير من المآسي التي تعترض الطفل الفلسطيني داخل أرضه ووطنه بفعل الصهيون الظالم، والذي أكبر منال له هو القضاء على فئة الطفولة في المجتمع الفلسطيني، لأنها الفئة التي نمت على دماء أهلها، نمت على الظلم والطغيان والقهر الموجه تجاهها، كما أنها الفئة التي تحمل داخلها كل الحقد والعدوان اتجاه إسرائيل وأتباعها وسيأتي الوقت الذي ستحدث الفئة الخاصة بالأطفال والشباب ردة فعل على المستعمر تذكره بكل الأفعال الشنيعة التي سبق وأذاقها لهذا الشعب الضعيف المستضعف الذي يحارب من أجل استرجاع سيادته، رغم قساوة الظروف والأوضاع المحيطة به إلا أنه أبي أن يستسلم ويرضخ لهذا الكيان، بل العكس من ذلك تماما، يحاول بشتى الوسائل الطرق حتى وإن كانت بسيطة إحداث ردة فعل تكون إثباتا للفلسطيني ولأرضه.

من خلال الأفعال الطغيانية التي يقوم بها المحتل اتجاه الشعب يحاول طمس الجانب النفسي والوجداني للطفل وجعله يعيش في عقد نفسية متأزمة جدا ولذلك فقد عمل «الاحتلال الإسرائيلي دوما على تكريس معاناة الطفل الفلسطيني ومن ثم تحطيم واقعه النفسي والوجداني، من خلال جملة من الإجراءات والممارسات التعسفية التي تهدف إلى إيجاد واقع طفولي ونوعية حياة متدنية، بسبب العنف والقيود المفروضة على تحركات الأطفال يوميا، بما في ذلك ما يتعرض له أفراد الأسرة والأصدقاء من قتل أو إصابة جسدية أو دمار لممتلكاتهم كما أن الطفل الفلسطيني يعاني من الفقر والقهر بسبب عمليات الإغلاق الخانقة، وبسبب حضر التجوال والاحتجاز بالمنازل. والواقع أن الأطفال يدفعون ثمنا باهظا جراء هذا الصراع، وكثير منهم يدفعون حياتهم ثمنا لذلك»[1]، فهذا القول " لأحمد الحيلة" قد أجمل ما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي اتجاه الأطفال الفلسطينيين في الوقت الذي كان لا بد عليهم أن يعيشوا طفولتهم وأن يتمتعوا بألعابهم وركضهم ودماهم في الشارع كان لهم أن يعيشوا مرحلتهم هذه مثلهم كأي طفل آخر في بلد آخر يتمتع بالحرية والاستقلال إلا أنه شاءت الظروف، ولم يتسن لهم عيش هذه المرحلة ، فقد نشأوا على العكس تماما، أجبروا على العيش داخلها في ظل معركة غير عادلة وغير مساوية، وهي معركة أدت بحياته وآماله وأحلامه وطموحاته الصغيرة إلى الفناء والذبول قبل حتى أن يحاول إخراجها من لسانه، ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن كل طفل يكون في المرحلة العمرية من سبعة سنوات إلى خمسة عشر سنة تكونت لديه أحلام حول بناء مستقبله، فمنهم من تجده يقول لك أريد أن أصبح طبيبا وآخر مهندس، وطفل آخر أريد أن أصبح طيارا وغيرها من الأحلام التي يريدون تحقيقها في المستقبل عند نضجهم، أما الطفل الفلسطينيين فقد بقيت أحلامه حبيسة الدمار والخراب والفزع الملحق بهم، فأقصى أحلامه تكون في حمل ثقل المعاناة المؤلمة التي يعيشها أفراده من أهل أقارب وأصحاب وأحباب وغيرها، بالإضافة إلى حياة التهجير التي اجبرها الاحتلال الصهيوني على العائلات الفلسطينية وذلك بعد « حرب 1967 م بين العرب والصهاينة والتي أدت إلى ضياع الضفة الغربية

[1] احمد الحيلة، مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، تحرير محسن صالح، ياسر علي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ط1، 2008م-1429هـ، بيروت، لبنان، ص14.

الفلسطينية و التي كانت تحت حماية الجيش الأردني وإلى ضياع صحراء سيناء المصرية وضياع قطاع غزة الذي كان تحت الحماية المصرية... وأدت هذه الحرب إلى نزوح أكثر من أربعمائة ألف فلسطيني من الضفة الغربية يمثل الأطفال دون سنة 15 سنة حوالي 40% من المجموعة الكلي للنازحين،... فهؤلاء الأطفال لم يكن لهم خيار في ذلك لأنهم رافقوا أسرهم وعائلاتهم أثناء التهجير القسري، نتيجة الأعمال العسكرية العدائية»[1]، فبعد النكسة العام 1967م، حدثت تغيرات جذرية على الساحة الفلسطينية آلت إلى وقوع العديد من الأراضي الفلسطينية في يد المحتل الظالم بعدما كانت في يد العرب أمثال مصر و الأردن وغيرها،وبهذا الواقع أجبرت الشعوب الفلسطينية وأهاليها إلى الهجرة من تلك الأماكن التي كانوا فيها إلى أماكن أكثر أمانا، وأكبر عدد من المهاجرين أو النازحين كان يحتله الطفل أو الفئة العمرية الخاصة بالطفولة، فلو أحصينا النسبة المئوية لهذه الفئة النازحة وجدناها تفوق الـ 40% من المجموع الكلي، فلم يكن لحم خيار أو سلطة المعارضة على هذا النزوح لأنهم مجبرين على ذلك بفعل الأفعال الشنيعة التي تقوم بها الوحوش الإسرائيلية الصهيونية فهؤلاء الأطفال الفلسطينيين الذي نجدهم يعيشون تحت هذه الظروف القاسية و المزرية " يفتقدون طفولتهم وبراءتهم، كما يفتقدون الفرح والأمل في الحياة، ويتعرضون لحمل أثقال هائلة ينوء بها الكبار، وهو ما قد يؤدي إلى مشاكل جسدية ونفسية يسعى الاحتلال إلى تحطيم روحهم المعنوية لكنه في الوقت نفسه، وكما أثبتت التجارب يشعل روح المقاومة ويعمق من كراهية الاحتلال"[2]، من هنا يمكن أن نقول:إن الطفولة الفلسطينية باتت محتكرة في نفس الطفل وفقط، وبراءتهم هزت أركان الشعوب العربية كافة، فكيف لهذه الفئة النيرة التي هي ورد الجيل الصاعد وزهره تعاني وتقاسي وتفتقد للفرح والأمل في حياتها، فهي لم تحظ بهذه الصفات الحسنة الجميلة بقدر ما ذاقت الويلات وكسر الروح المعنوية والنفسية، فقد دمرت مدارسهم وحرموا من التعليم ولم يبتهجوا بالزي المدرسي أو المحافظ الموضوعة فوق الظاهر أو

[1] فتحي ذياب سبيتان، أثر الاحتلال الصهيوني على الطفل الفلسطيني والقضية الفلسطينية، الجناردية للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، الأردن، عمان، ص94.

[2] أحمد الحيل، مريم عياني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، ص 14-15.

حتى الملابس المخصصة للدراسة حرم الأطفال من الجلوس على المقاعد والطاولات المدرسية وحتى من فرص المنافسة على مسابقات لأطوار أو داخل القسم فحسب.

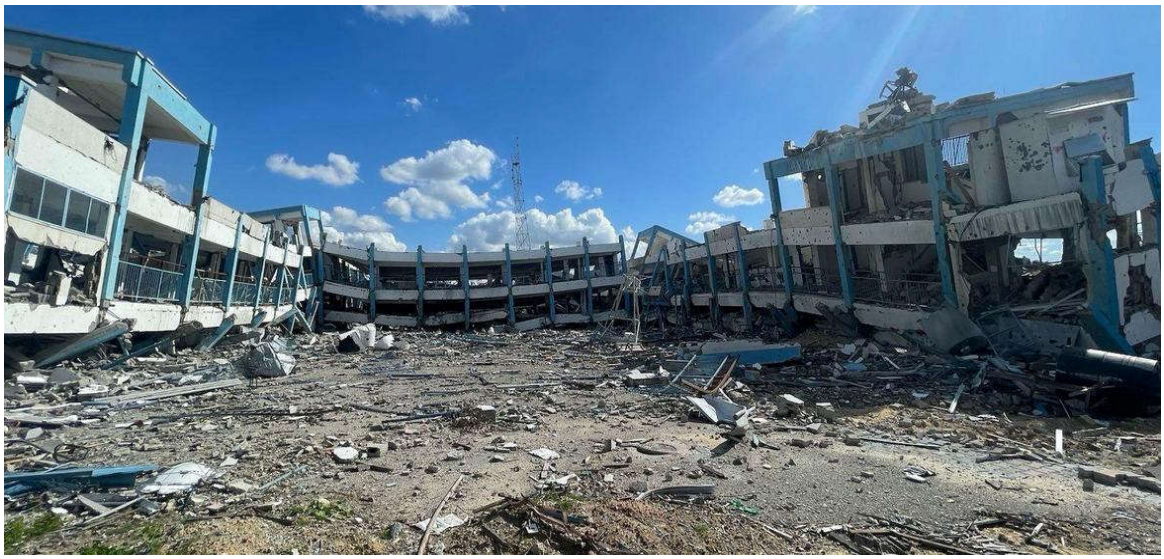

فقد تعرض لجميع التخريب والتعطيل في جميع المناحي، فشخصية الطفل الفلسطيني تعرضت للعديد من الإجراءات القهرية والقمعية فيما يخص دراسته وحلم الوصول إليها، فقد قامت السلطات الإسرائيلية «باستهداف المدارس وإغلاقها وتعطيلها وإدخال الخوف في قلوب الطلبة والمعلمين، وكذا هدم هذه المدارس سواء بالقصف أو بالماكينات المخصصة للهدم»[1]، وغيرها من الوسائل المستخدمة في التهديم، فالهدف التي تسعى الصهيونية إليه هو خلق جيل فلسطين صاعد قوامه الجهل والأمية والتخلف، وبذلك فهو يسعى بكل الطرق والوسائل التي أتيحت له لكي يحقق هذا الجهل، وتعم الأمية فلسطين وبذلك لن يستطيعوا حتى مواجهتها لنقص معارفهم وكذا إطلاعاتهم.

ورغم الجهل الذي ألحقه الصهاينة بالأطفال الفلسطينيين والعذاب المشن عليهم، إلا أن هذا الصنف الفلسطيني لم يستسلم برغم سنه الصغير، فحاول جاهدا طرد العدو ومحاربته حتى بوسائل بسيطة، كالحجارة وغيرها، فالطفل

[1] ينظر: فتحي ذياب سبيتيان، أثر الاحتلال الصهيوني على الطفل الفلسطيني والقضية الفلسطينية، ص117.

الفلسطيني كما نعلم هو طفل حجارة يفتقر للمواد الحربية المتطورة أو الأسلحة، لكنه من غير شك سعى لهذه الخطوة لتغيير الوضع الراهن هناك«فأطفال الحجارة هم أنفسهم " جيل المعاناة"، إذ إن الممارسات الإسرائيلية التي حولت منازلهم ومدارسهم إلى ساحات للصراع، ونقلت المعاناة إلى تفاصيل حياتهم اليومية، لم تحقق ما هدفت إليه من إبعاد للأطفال عن الصراع وإرهابهم، بل زادتهم وعيا بطبيعة الصراع،وجعلتهم أكثر إصرارا على الصمود والمقاومة،ولم يجدوا أمامهم إلا الحجارة سلاحا صغيرا رمزيا يحاولون فيه رد الاعتبار لأنفسهم وطفولتهم التي حرموا منها»[1]، من المواقف التي اتخذتها السياسة الإسرائيلية من إلقاء جرائم وحشية على الشعب المستضعف ونبذة ومعاملته بأبشع الطرق.

لم يتحمل الطفل الصغير ذلك الموقف فراح يحاول أن يحدث ردة فعل على هذا الطغيان الغاشم ولو بأساليب بسيطة جدا، واختار نهج الحجارة وجعلها سلاحه الذي يحارب به العدو الظالم، وذلك من خلال تبلور الوعي لدى الطفل الصغير بضياع حقه في السياسة الاستيطانية ونهبه للعديد من حقوقهم وكذا لرفضهم التام لهذه الجرائم الشنيعة الملحقة بهم، «والرد الإسرائيلي القاسي والعنيف والغير متوازن بقذائف ورصاص على الأحياء

[1] أحمد الحيلة، مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، ص15

الفلسطينية المحشودة، لم يكن ردا بل هو اعتداء إضافي بحق الأطفال الفلسطينيين»[1]، فتخوفات العدو من هذا الجيل الصاعد الذي يحتكر داخله كل الحقد والبغض و الغضب عليه، ومحاولتهم تغيير الوضع الراهن.

فأطفال فلسطين بمختلف أعمارهم تقديريا من الخامسة حتى سن السادسة عشر هم أهداف لرصاص القوات المسلحة، فقد استشهد الكثير من الأطفال الصغار إثر العديد من الهجمات الغير مسبوقة الذكر وكذا الانقلابات التي يقومون بها عليهم والقذائف التي يسلطونها عليهم، فقد أصبحوا متعايشين مع هذا الذعر الذي لحق بهم في سن كان ينبغي لهم أن يعيشوه أفضل سن للطفولة، يستكشفون عواملهم، ويحاولون بناء أحلامهم، ينظرون للمستقبل نظرة استشراق وغيرها إلا أنهم قد بقوا حبيسة الواقع الرهين هناك، ونجد بأن من بين أهم الأطفال الذين ماتوا نتيجة القصف العدواني " محمد الذرة".

[1] أحمد الحيلة،مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت احتلال الإسرائيلي، ص 15.

والذي يعتبر من بين أبرز الأطفال شجاعة وحماية لبلده، وحسب ما ورد عنه « أنه في 30 من سبتمبر عام 2000م، اعدم الطفل الذرة الذي كان يحتمي إلى جوار أبيه برميل إسمنتي في شارع صلاح الدين جنوب مدينة غزة وقد صدرت صور وثائقية في الشريط المسجل من قبل الصحافة التي كانوا في عين الحدث عملية إطلاق النار المقصودة باتجاه الطفل وأبيه والتي انتهت بسقوط الطفل محمد قتيلا، فيما أصيب والده بجراح خطيرة، بعدما كانوا يريدون شراء سيارة كبيرة بدل من الأخرى الصغيرة التي يمتلكونها لكنهم لم يجدوا ما يعجبهم، فعادوا أدراجهم وفي طريق العودة وجدوا مظاهرات ومواجهات بين شبان وقوات الاحتلال الإسرائيلية فحدث أن أصبحوا يطلقوا على محمد الذرة ووالده إلى أن استشهد الطفل وأصيب والده بجروح بليغة»[1]، هي حادثة مؤلمة جدا حدثت في الألفينات وهي جريمة بشعة ألحقها العدوان الإسرائيلي بالطفل " محمد الذرة" البالغ من العمر إحدى عشر سنة فألقي به جثة هامدة يصارع الموت من كل مكان إثر اشتباك الحاصل بين قوات الاحتلال وبعض الشبان الفلسطينيين، أضحى بذلك ضحية لهذه المواجهة العنيفة، ولم يسكت عنها الشعب الفلسطيني، فقد أذانوا الصهاينة لفعلتهم الشنيعة، ولم يقبلوا منهم عذرا أبدا، حيث أنهم استوطنوا بلادهم وقتلوا أهلهم وشردهم وحرموهم من منازلهم واليوم ها قد تمادى المحتل في ابتكار الجرائم وسط الرأي العام من دون رحمة ولا شفقة، وبالضبط في هذه الحادثة نجد " عز الدين ميهوبي" في روايته (سيرة الأفعى) يشير إلى هذه الواقعة الأليمة التي أعلن فيها الإسرائيليين بكل وضوح عن وحشيتهم، حيث نجده يقول على لسان أمنون « أنا لا أختلف عنك يا ريناد... لا أشعر بأي ذنب عندما وضعت صورة الطفل محمد الذرة وهو مشدود إلى أبيه خلف واقية الاسمنت على صدري استنكارا للجريمة»[2]، ذاع صيت الجريمة التي اقترفها الصهاينة أنحاء العالم وقد لاقت استهجانا واحتقارا من طرف العديد من الدول العربية وأخرى غربية، فالأطفال ليسوا ضمن سياستكم، ولا شأن لكم ولا حق في

[1] ينظر، جريمة لا يمحوها الزمن، 20 عاما على استشهاد محمد الذرة، الجزيرة، نت https://www.aljazeera.net، يوم الجمعة 03 ماي 2024م، على الساعة 11:45 صباحا.

[2] الرواية ، ص27.

قتلهم وإلقاء الرعب فيهم، ولكن لا حياة لمن تنادي، فالسياسات التفزيعية الترهيبية أصبحت أسوء من الأول فقد أصبح الصهاينة يغتالون الأطفال والمدنين أمام الأنظار ويقومون بتعذيبهم بطرق جد وحشية لا تتصور، وقد ذكر " ميهوبي " صورة أخرى من صور الأذى الملحقة بالأطفال من طرف اليهود في روايته، ومن بين أهمها كذلك الطفل البريء "محمد أبو خيضر".

الطفل الفلسطيني الذي خطف على يد المستوطنين وإحراقه حيا، وهذه الجريمة النتنة تدل على مدى غطرسة الاحتلال الصهيوني الظالم المتجبر على الأرض، وقد كان هذا الأخير يترصد له منذ فترة لتنفيذ جريمته ضده، حيث صرح« أنه مع بزوغ فجر الأربعاء من شهر يوليو عام 2014م، تناول الفتى المقدسي محمد حسين "أبو خيضر "(16 عاما) سحوره ثم استأذن والديه للصلاة وغادر قاصدا شعفاط القريب، لكن أيادي المستوطنين كانت أقرب من عتبات المسجد وتم اغتياله »[1]، فبعد الترصد الذي كان يقوم به العدو على الفتي أبو خيضر، انقضى إلى اغتياله أمام بيت الله حيث يقول الراوي: «جثة الطفل محمد أبو خيضر مفحمة في أحراش

[1] محمد أبو خيضر... خطف وتعذيب وقتل، الجزيرة نت https://www.aljazeera.net>news

دير ياسين بعد أن اختطف وعذب ثم أحرق حيا»[1]، هي صورة وحشية أو نستطيع القول عنها بأنها قساوة تكبر يوما بعد يوم من طرف النظام على المظلوم، فالأطفال الأبرياء لم يعد لديهم أدنى أمل بعدم قرب المحتل منهم وإنما أصبحوا يعيشون في حالة من الذعر والفزع، وينتظرون المآل الذي سيلحق بهم، بعد الجرائم التي لحقت بالأطفال من قبلهم.

" فمحمد أبو خيضر" بعد اختطافه قاموا بممارسة جل أشكال التعذيب عليه من الضرب والحرمان للأكل والشرب والتخويف المستمر وآخر ما فعلوه هو إحراقه حيا، ألهبوا النيران في جسمه الضعيف وتركوه يناجي المولى عز وجل في عمر لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، وألقوا بجثته بعدما تحولت إلى رماد بفعل الحرق في أحراش " دير ياسين" كل هذه الأفعال الرخيصة التي يسلطها العدو على الشعب الضعيف المستضعف هو فقط من أجل إبراز جبروته وكيانه، ولكن في الواقع يقوم بهذه الأفعال المشينة فقط لردع تخوفه الباطني منهم، فالشعب الفلسطيني رغم أنه مستضعف ولا حال له إلا بالله عز وجل بكل ما تعرض له من يوم أن وطأ المستعمر قدمه على أرضه إلا أنه شعبه صبور يؤمن بالله وبقدرته في تغيير الأوضاع حتى وإن كان بعد مدة أخرى من الصراع، فالمشاهد والمآسي التي تحصل له يوميا من قتل أولادهم والحرمان الذي يصارعونه يوميا، هم متحملون ويجاهدون أنفسهم فقط للإنعام بالسلام والأمن على أرضهم التي تعذبوا كثيرا من أجلها، وبترت رؤوس العديد من مواطنيها، وأرهقت دماء الكثيرين من شهدائها ونسفت أرحام أمهاتها، وعذاب وعذاب آهات تتبعها مآسي طالت وأخذت من الوقت الكثير ولا يزال الطفل الفلسطيني بالدرجة الأولى يعاني في صمت، بالإضافة إلى كل هذا إذا نظرنا إلى الإحصائيات من ناحية شهداء الأقصى، أو شهداء الشعب الفلسطيني نجد بأن الفئة المستهدفة من طرف الإسرائيليين لمباشرة العدوان عليها هي فئة الأطفال، والتي –كما اشرنا بالذكر سلفا– هي الفئة العمرية التي نشأت على وعي تحرير الأرض وهي القادرة على نصرة الشعب الفلسطيني وتحريره من الكيان الصهيوني، فالحرب بالنسبة

[1] الرواية، ص 629.

لهذا الأخير أصبحت حالة إدمان لهم، لا يجوز يوم لا يستطيعون تسليط القذائف والصواريخ وحتى الذبابات على الشعب الفلسطيني ولا ينتهون من كل هذا إلا في حالة واحدة، وهي عند شعورهم بالإعياء، فهم لم يستطيعوا إدراك ما يفعلونه بفلسطين وبالأذى الذي ألحقوه بهم.

حيث يقول ميهوبي: « قالت تقارير مختلفة بعد أسبوع من وقف إطلاق، أن عدد شهداء غزة تجاوز 2322 فلسطينيا بينهم 578 طفلا و 489 امرأة، وإصابة نحو 11 ألفا بجروح متفاوتة تصل حد الإعاقة... وقتلة الأطفال والنساء لا يخافون العدالة؛ لأن ضمائرهم منفصلة أو ميتة»[1]، فالكاتب " عز الدين ميهوبي" يقر عن حقيقة هذا الكيان بأفعاله وجرائمه الملحقة بالشعب وخاصة بالأطفال والتي تبلغ أكبر نسبة مقارنة بالفئات العمرية الأخرى، ناهيك عن المجروحين التي لا تحصى نسبتهم لأن عددهم هائل، كل ذلك يحصل لعدم إحساسهم بالعدالة فهم لا يؤمنون بها لموت ضمائرهم التي باتت تنام على دماء الآلاف من القتلى والجرحى.

ففي ظل الصراعات التي يعيشها الأطفال من قتل أمام أعينهم واغتيالات وتفزيع أصبح هذا الفتى يعاني من أزمات نفسية حادة إثر المشاهد المروعة التي يشاهدها يوميا، إضافة إلى تردي حالتهم الصحية وإصابتهم بسوء التغذية

[1] الرواية، ص 635.

نظرا لافتقارهم للغذاء وهو سبيل العيش وزيادة عن ذلك الحصار الذي يفرضه الممثل عليهم وتدمير المستشفيات التي كانوا يعاجلون فيها ومنع المساعدات التي تأتيهم من البلاد العربية وغيرها المتمثلة في المأكل والملبس والأدوية... وغيرها الكثير.

فقد بقي حبيس واقعه المرير يقاسي بآلامه وكياته وآهاته «فالكثير من الأطفال يعانون من أمراض سوء التغذية، وقد تركت هذه الأوضاع الصعبة خلال كبيرا على الجيل الجديد برمته تمثل في أزمات صحية واجتماعية ونفسية دائما»[1]، كل هذا يعانيه الأطفال إثر تعرضهم للعديد من الجرائم الموحشة ولا أحد حاول أن يوقف هذا الظلم والعدوان الذي يتعرض له أطفال فلسطين، صحيح أن هناك محاولات نعم ونحن لا شكر ذلك لكن لو وضع العرب جميعا أيديهم في أيدي بعض مجتمعين متفقين على رأي واحد وهو تخليصهم من كل هذا العناء لفعلوه وأوقفوا كل الجرائم الملحقة بهم، لكن هيهات لمن يرى فقد خذلهم العرب ولم يتخذوا موقفا بارزا مما يحدث لهم.

[1] ينظر: فتحي ذياب، أثر الاحتلال الصهيوني على الطفل الفلسطيني والقضية الفلسطينية، ص 129 (مرجع سابق)

كما هو متعارف الولايات المتحدة الأمريكية أصدرت بيانات في حق الطفل عامة وأوصت بحقوقه بدون استثناء أو تمييز أو حتى تفريق، سواء بين الأبيض والأسود من ناحية اللون أو من حيث الجنس من ذكر أو أنثى أو حتى من ناحية الدين سواء كان مسلم، يهودي، نصراني مجوسي... إلى غيره ذلك من الديانات، وقد أقرت بأن هؤلاء الأطفال هم أمانة الأمة وهم شعبها ومستقبلها، فيجب أن نحافظ عليهم وأن نضمن حقوقهم ومأمنهم « من بين أبرز الاتفاقات والإعلانات العالمية التي تحدد حقوق الأطفال اثنان؛ الأولى إعلان حقوق الطفل بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 1386 (د-14) في 1959/11/20م والثانية اتفاقية حقوق الطفل التي عرضت لتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 25/44 في 1989/11/20م ودخلت حيز التنفيذ بعدها بعامين في 1990/09/02م. فالبند الأول من إعلان حقوق الطفل ينص على أن لكل طفل بلا استثناء له أن يتمتع بهذه الحقوق دون أي تفريق من حيث الجنس أو اللون أو الدين، وحقه في الاسم والجنسية والحق كذلك في تلقي التعليم...، فنجد أن من أبرز الحقوق الأساسية للطفل المكفولة في اتفاقية حقوق الطفل سبعة حقوق هي: 1- الحق في الحياة، وهو حق أنهكته قوات الاحتلال باستهداف الأطفال عن عمد أما الحق الثاني فقد تضمن المستوى المعيشي الملائم لكن الوضع الاقتصادي المتدني لاسيما في قطاع غزة يقف عثرة أمام هذا الحق؛ مما يجعل الطفل يعاني من نقص المواد الغذائية والسلع الأساسية، ويعاني من أمراض سوء التغذية وفقر الدم»[1]، فهذه الحقوق نجدها تنطبق على الأطفال عامة إلا الطفل الفلسطيني المنبوذ لا اعتبار له ونجد « ثالث حق نص على الحق في الرعاية الصحية، لكن انتهكته الممارسات الإسرائيلية خاصة في ظل الحصار المفروض، وكذا الأطفال الأسرى في سجون الاحتلال الذين يعانون من تدهور في الوضع الصحي والعلاجي ويتناولون فقط المسكنات، أما الحق الرابع فهو أكبر حق حرم منه الأطفال الفلسطينيين وهو حق في الترفيه واللعب والذي هو منا حاجات الطفولة الأساسية لكن الأطفال الفلسطنيون يعانون من جو التوتر

[1] ينظر، أحمد الحيلة، مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطين تحت الاحتلال الإسرائيلي، ص23 (مرجع سابق)

العام وانتشار حالات الخوف والهلع واضطرابات السلوك ورؤية الكوابيس وغيرها ومشاهدة أعمال العنف التي تمارس في حقهم وحق أهليهم وتلاحقهم في مدارسهم وبيوتهم، والخامس تضمن الحق في الأمن النفسي والسلام فحرم الطفل الفلسطيني منه بسبب ممارسات الاحتلال، فهم يعانون من ضغوط نفسية شديدة ويتعرضون لأصناف من التعذيب الجسدي والإرهاب النفسي المتكرر، وأهم حق يمكن للأطفال الحصول عليه، وهو الحق في التعليم وهو الحق السادس من الإعلان لكنه انتهك كالعادة من طرف المحتل وقام بإغلاق المدارس وقصفها وبالتالي تعطيل الدراسة، وانصراف الأطفال للحياة العملية كباعة متجولين لسد قوت عيالهم»[1]، ففي هذه السن المبكرة بترت أحلام جيل صاعد، في التمتع بحقوق كان ينبغي أن تكون حاضرة الوجود معهم، كاللعب والأمن والدراسة غير أن الجو الذي يعيشوه كان عائق أمامهم، وبذلك انصرفوا للعمل في سنهم المبكر جدا بجمع قوت يومهم وعيالهم ويمكن إدراج أخر حق، هو « هو الحق في الحرية وهي الغائب على الساحة الفلسطينية، حيث أن العدو الإسرائيلي قام باعتقال آلاف الأطفال منذ بداية الانتفاضة، وما يزال حتى اليوم المئات منهم في سجونها أغلبهم دون محاكمة»[2]، هذه القرارات التي أعلنت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة لضمان حقوق الأطفال وعيشهم في مأمن وسلام وهم سبعة كما سلف ذكرهم، لم يحالف الطفل الفلسطيني الحظ للشعور أو التمتع ولو بواحدة من الحقوق المنصوصة، على اعتبار أنها موجهة للأطفال بدون تمييز فكيف إذن بالطفل الضعيف المرحوم من كل هذه الحقوق والتي لا بد وأن تكون في حياته لضمان معيشة، فنجد بأن كل حق أتى في وثيقة إعلان بيان حقوق الطفل نجد إسرائيل تطمس ذلك الحق على الطفل الفلسطينيين الذي لا حول له ولا قوة، فحرمته من الدراسة وأغلقت مدارسه وقصفتها لكي لا يفكروا مرة أخرى في محاولة الذهاب لها، وتكريسهم في الأمية والجهل، في عوض أنهم يتمتعون بالحق في التعليم وكذا اللعب وهو من أبسط الحقوق التي يمكن أن يطلبها الطفل الصغير، وحتى إن كانت فطرية، لكنهم حرموا من أبسط الحقوق التي يمكن أن يطلها الطفل الصغير وحتى وإن كانت فطرية

[1] أحمد الحيلة، مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، ص 23.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص 24 .

لكنهم حرموا منه، لعيشهم في جو متوتر جدا تسوده الحروب، والجرائم المتتالية والدماء السائلة من أجساد الإخوان فيمكن القول بأن الأحياء الفلسطينية أصبحت مجازر موحشة، مناطق ذعر وخوف وهلع، ثبتت حالات نفسية وخيمة في نفوس الأطفال الأبرياء وألحق بهم الضرر والأذى والظلم والعدوان من كل جهة، فهم لم يعيشوا طفولتهم ولم يتمتعوا حتى بأبسط أشيائها كاللعب شأنهم شان الأطفال في الدول الأخرى، أو الاحتفال بالعيد وسط البالونات والبسمة والبهجة التي لا تفارق وجوههم، ففي يوم عيدهم تبقى دموعهم تنهمر على خدهم دون توقف، لأنهم لو أرادوا الاجتماع ليوم واحد في مأمن: أسري والشعور بدفء العائلة لن يحصلوا عليه فصواريخ المحتل فوقهم وتهديداتهم قابعة في ذاكرتهم بالرغم من صبرهم على العدوان الغاشم ومحاولة ردع سياساته إلا أن مجموعة الصدمات التي خلفها لهم هذا الأخير بقيت حاصلة مثبتة مستقرة في أذهان الأطفال الصغار من دون ذنب لهم لمعاناتهم كل هذه السنين، فالصهاينة هدفهم الأسمى هو إلقاء قذائف الموت البطيء في قلوب الأطفال الفلسطينيين من خلال سياساته الترهيبية التخويفية المسلطة على الأبرياء المقهورون.

فالأطفال هم وحدهم من يدفعون مصير هذه الحروب والاعتداءات والنزاعات المسلحة والتي لم تنته ولم تتوقف فقد سلبت حياة العديد من الشعوب وتركت آثار جد وخيمة على الطفل بالدرجة الأولى وجعلته يعاني أشد المعاناة من تراكم كل هذه الترسبات النفسية الملحقة به نتيجة للمشاهد التي ألفها في أحيائه فنجد بأن إسرائيل عديمة الضمير تجاهلت مسؤوليتها لحقوق الأطفال في الأراضي الفلسطينية « على الرغم من أن الاتفاقية تتضمن نصا صريحا بأن الدول الأطراف مسؤولة عن تطبيق هذه الاتفاقية،وضمان هذه الحقوق لكل الأطفال في كافة الأراضي الخاضعة لسيطرتها، بغض النظر عن كون هذه السيطرة شرعية أو غير شرعية وهو الأمر الذي تحاول (إسرائيل) دائما التنصل منه وتبرير انتهاكاتها لحقوق الفلسطينيين بشكل عام –وضمنهم الأطفال– بأن الوضع القانوني للأراضي الفلسطينية موضع جدل، على الرغم من أن موقف القانون الدولي من التواجد الإسرائيلي على

الأراضي الفلسطينية واضح وصريح وهو أنه احتلال غير شرعي»[1]، هنا إسرائيل عالمة بكل الحقوق المتواجدة في إعلان حقوق الأطفال وتقر بجميع الحقوق لكن على أطفال شبعها وتطمس الشعب المحتل بحرمانه من جميع الحقوق التي كان لا بد وأن يحظى ولو بالقليل منها، لأنه حق شرعي بموجب قرارات تتطلب التطبيق الفعلي لهم غير أن إسرائيل حاولت التملص من كل الإدانات التي جاءت عليها بانتهاكها حقوق الطفل الفلسطيني الضعيف إلا أن ذلك لم يجد نفعا فنحن نرى اليوم النشأ الفلسطيني مرصوص على حواف الطرقات إما أنه يبحث عن مأكله أو يبحث عن أشلاء أهله أو أحدا من أقاربه،وفي أكثر الحالات نجده جالسا في ذلك المكان متحسرا ينزف قلبه عن طموحاته التي لم تزهر حتى ذبلت، وعن أحلامه التي لم تتكون حتى اضمحلت وعن بيته الطي لم يلبث فيه أعواما عديدة أو حتى بضع سويعات حتى انهار وأصبح الشارع هو الملجئ الذي يغطي فيه رأسه وسط خيام ليقيه مطر الشتاء والبرد القارص، وويلات المحتل، وحتى في هروبه منهم لحقوا به وأصبحوا يهددونهم بمختلف الابتزازات والتعرض لهم ولمدنيين من أمثالهم بشتى الأنواع البشعة وذلك من أجل كسر همتهم اتجاه وطنهم والاستسلام لصهيون المحتل القابع فوق الأرض المباركة.

من خلال كل هذه الإعلانات والاتفاقيات التي نادت بها الأمم المتحدة لضمان حقوق الطفل في العالم كافة نجد بان الطفل الفلسطيني كان له الحظ السيئ من خلالها، فلم يحظ حتى بحق ضمن معيشته أو تعليمه أو علاجه نظرا لتصرف المستعمر في كل ما يقومون به، وكذا تلقينهم كل أنواع الظلم والوحشية وتفزيعهم وإلقاء السيطرة العربية عليهم

-نصركم الله آل غزة فلسطين وصبركم على بلائكم-

خامسا: صورة المحتل في رواية سيرة الأفعى لعز الدين ميهوبي

[1] أحمد الحيلة،مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، ص 26 (مرجع سابق).

فلسطين الجوهرة النادرة، الأرض الطيبة، المكان المقدس الذي طالما نظرت إليه شدتك نحوه مختلف الأحاسيس الصادقة والانتماء، إليها باعتبار أنها مكان مقدس تميز بميلاد الأنبياء داخله وسعيهم هناك وكذا تفردها بالمسجد الأقصى المذكور في القرآن الكري حين أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إليه بنص الآية الكريمة﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الإسراء/01] -كما ذكرنا سلفا- إلا أن هذه البلاد الشريفة وقعت تحت استيلاء مستعمرات عدة حاولوا الاستيطان عليها من قبل وإعمارها وضمها ضمن خريطتهم، إلا أنهم لم ينجحوا في الاستيلاء عليها، لكن شاءت الأقدار وتعرضت فلسطين للاستعمار من طرف اليهود الذين دخلوا البلاد كلاجئين وصاروا كأنهم مالكوا الأرض، وأصبح الكيان الصهيوني يحاول بكل الطرق التخطيط للاستيلاء على الأرض الفلسطينية وجعلها مستعمرة صهيونية إسرائيلية ، وكان ذلك بعد النكبة في سنة 1948م، وحيث بدأ المحتل اليهودي يخطط لاتفاقيات ومؤامرات على الشعب الفلسطيني تمكنه من السيطرة التامة لكن هدفهم الأسمى كان فلسطين وكذا العرب عامة، فلم يسلم العرب من مكيدة وتدابير اليهوديين في تفكيكهم والإطاحة بهم كذلك، على اعتبار أنهم القوة الداعمة للجالية الفلسطينيين وأنهم مشددون إليهم كثيرا، والمحتل اليهودي لو حاولنا أن نفكك معنى هذه الكلمة لوجدناها تدل على المكر والخداع، والنفاق والنهب كذلك كمية الشراسة التي يقومون بها لتنفيذ مخططاتهم المزعومة للنيل من الشعب الفلسطيني وتحقيق أهدافهم للوصول إلى ما يطمحون إليه.

ولا نغفل التنويه على أن السياسة التي أتى بها الصهاينة على الأرض الفلسطينية هي قمعية بالدرجة الأولى قامت على القهر والظلم والتعذيب والابتزاز وغيرها من الأمورات المنكرة، التي قامت على محاولة تشتيت صف الفلسطينيين الموحد وذلك دعما من الدول الأوروبية الأخرى، فلو كانت إسرائيل وحدها هي من نظمت الاستيلاء على فلسطين لما استطاعت لأنها دولة ضعيفة، لكن الدعم الذي لحقها من الدول الكبرى كان دافعا منها لإبقاء سيطرتها ونشر الخوف والهلع وسط المجتمع الفلسطيني.

إلا أن الشعب الفلسطيني كان معارضا وبشدة عيشه تحت الاستيطان أو المستعمر، وحتى جعل بلده مستعمرة إسرائيلية خاضعون لها، من خلال الرفض التام للشعب على المستعمر الصهيوني، أصبح هذا الأخير يحاول عقد اتفاقيات فيما بينهم لتهدئة الوضع، فأقيمت اتفاقية سميت بأوسلو « كانت نتاج عدم جدوى العمل المسلح منذ خروج الفدائيين من أرض الدول العربية وبداية التفكير نحو التوجه للعمل السياسي وقبول قرار التقييم، وتباينت مواقف القوى الفلسطينية اتجاهها من مؤيد ومعارض على اعتبار أن هذه الاتفاقية لم تشر إليهم لا من قريب ولا من بعيد وإنما هي تسكيت وتهدئة للوضع لضرب شيء آخر »[1]، فهي اتفاقية يمكن القول يمكن القول عليها هدوء لما قبل العاصفة، فقد استخدمت لإمتصاص غضب الفلسطينيين وإسكاتهم بالقليل من الحقوق على أرضهم وفقط، وكانت النتائج المترتبة عنها أكبر من ذلك، فنجد " عز الدين ميهوبي" في روايته يشير إلى هذه النقطة بقوله: «غيرت اتفاقية أوسلو شكل فلسطين التي كان يتبجح بها عرفات وحبش وحواتمه وغيرهم من فتح وحماس»[2]، بمعنى أن هذه الأخيرة قامت على تغير شكل فلسطين واقتسامها بين الصهاينة والفلسطنيين، وقد قامت مجموعة من التفاهمات بين حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية كانت أهم قراراتها « إنشاء سلطة حكم ذاتي فلسطينية مؤقتة، المجلس المنتخب "المجلس" للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك لفترة انتقالية لا تزيد عن خمس سنوات تؤدي إلى تسوية دائمة على أساس قراري مجلس الأمن»[3]، أي أن هذه المعاهدة تضمنت ذاتية الشعب الفلسطيني في سلطته على دولته حتى ولو كان بصفة مؤقتة، ولا يكون هناك دخل من القوات الصهيونية الإسرائيلية في التدخل في شؤونهم، وأن إسرائيل تبقى على الأرض الفلسطينية مدة خمس سنوات وحسب ولا تزيد عنها وتخرج من الأرض، إلا أن نتائجها كانت عكسية بالدرجة الأولى، لم تطبق ما جاء في الوثيقة المتفق عليها، واخترقت إسرائيل المعاهدة.

---

[1] ينظر، فاتح شيباني، اتفاقية أوسلو، الدوافع والمواقف، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد6، العدد1، جامعة الجزائر، 2020م، ص25.

[2] الرواية، ص 275.

[3] أصول مشكلة فلسطين وتطورها، الجزء الخامس (1989-2000)، الأمم المتحدة، دط،نيويورك، دس، ص23

عانى الفلسطينيون من القهر والظلم الذي يقبعون تحته جراء معاملات اليهود لهم بأبشع الطرق وحرمانهم من كل حقوقهم وحتى من تنفسهم هواء نقي نتيجة للحروب المتتالية التي استنزفتهم وأرقت دمائهم، فقد وطئوا فلسطين بكل وحشية زاعمين السيطرة عليها وأخذها من يد الفلسطينيين وفق العديد من السياسات الإغرائية لمختلف الدول والشعوب، وحتى لا نطبق هذا الوصف على جميع اليهود أو الصهاينة، يجب أن نوضح بأن هناك جماعات يهودية وسط الأحياء الإسرائيلية رافضة رفضا تاما لكل المآسي والحروب والسياسات التفكيكية التي يتعرض لها الفلسطينيون من قبل الإسرائيليين في بلدهم، وعلى العكس من ذلك هناك جماعات ظالمة مستبدة شرسة ويمكن القول عليها بأنها الفئة الأكبر تعمل على إبادة الفلسطنيين وتخويفهم وتجويعهم ومعاملتهم بأبشع الطرق .

إذا أخذنا الفئة المحتلة المستبدة نجد داخلها الكثير من الخبث الموجه للفلسطينيين، وكذا إغراء العالم العربي بسلطة إسرائيل وامتلاكها للعديد من الدول الكبرى الواقفة جنبها لتحقيق مآلها، وهو ما اضمحلت داخله الدول العربية مساندين لإسرائيل ومطبعين لسياساتها التخويفية الملحقة بالشعب المستضعف إلا أنهم لا يعملون بأن كل هذا كان من أجل تفتيت العالم العربي،وضربه وتشتيت شملهم، وجعل الشعب الفلسطيني وحيد لا سند له يؤازره ولا يعينه على مواجهة الكيان الصهيوني، وهذا المشهد صوره صاحب الرواية على لسان " أمنون" المخاطب "لريناد" بقوله: « وأما عن حروب غزة، فقال كلما هبطت أسهمهم في الشارع، قصفوا غزة ليكسبوا في بورصة الإنتخابات ولعل الجواب الذي لم يكن منتظرا، فكان عن التطبيع بين إسرائيل والعرب»[1]، بمعنى أن الحروب التي تقام على أهل فلسطين وخاصة شعب غزة كان سببه خذلان العرب لهم ووقوفهم صف العدو المحتل، فلو أنهم تجاهلوا قراراته ونبذوها ووقفوا ضامين أيديهم بأيدي الشعب الفلسطيني لما كان حدث كل هذا الظلم والعدوان على إخوانهم المستضعفين، وتحملهم لكل هذه المآسي والآلام، ومن ذلك يخلق اليهوديين الصهاينة هوة بين

[1] الرواية، ص350.

الفلسطينيين وإخوانهم العرب الأشقاء مستغلينهم لتحقيق مصالحهم، فالهدف السامي الأول لهذا الظالم هو هدم شمل العرب وفق مخططات تحط منه وتقسمه لدويلات تكون متناحرة فيما بينها، أي أن هذه التدبيرات الإسرائيلية كلها هدفها واحد موحد، وقد صور " ميهوبي" هذا من خلال قوله: « نحن نريد زلزالا بـ8 درجات على سلم كيفونيم، بمعنى أننا وضعنا مخططا لتفتيت العالم العربي وفق تصور وضعه غوليد يونين عام 1982، وتقسيمه إلى دويلات صغيرة ومتناحرة، لنرتاح من هم الحروب التي أرهقتنا وإستنزفتنا، ويشعر شعبنا بالأمان»[1]، فهو يوضح هنا كمية خبث الجهات اليهودية الضاربة والمصرة على عزمها لتدمير العالم العربي اعتقادا منهم لارتياحهم من الحروب المتجددة يوميا بينهم وبين الفلسطينيين وكذا لشعور شعبهم الإسرائيلي بالأمان، وكل هذا سيتحقق لو تقسم العالم العربي لمجموعة دول صغيرة متضاربة فيما بينها، لكنهم لم يشعروا بكمية الأفعال الجرائمية واللاأخلاقية التي يمارسونها على المستضعفين الفلسطينيين، والتعرض لهم في كل مكان يحاولون العبور إليه سواء في الشارع أو الطرق وغيرها، وكان التعرض للمدنيين هو الأمر البالغ بشدة، إذ يسعى المحتل لنشر الخوف والذعر في قلوب الشعب من خلال ابتزازهم وفق سياساته الترهيبية من الأسلحة الفتاكة والمدمرة، وإن عارضهم أحد من ساكني البلاد لقي حتفه هو الموت بدون تفكير،هو كيان عديم الضمير صراحة، أخذ أرض لا يمتلكها عقب فيها وأصبح يقوم بأعمال شنيعة تعسفية في حق المواطنين،إضافة إلى اعتماده قرار حضر التجوال،بمعنى أن الفرد الفلسطيني يمنع منعا باتا عليه التجول أو التنقل من مكان لآخر في أرضه إلا بعد طلب رخصة عبور من المستعمر المستبد، إضافة إلى الإدانات التي يليق الصهاينة على الشعب الفلسطيني، فنجد مثلا إن كان شخص ملتحي أوله طريقة خاصة في لبسه تعترضه القوات المحتلة وتدينه على ذلك، وتنعته بالإرهابي أو غير ذلك، وحتى أنها تسلط عيون سلطتها عليه لمراقبته، من غير دليل لها أو غير ذلك، حيث أعطى " عز الدين" مثالا على ذلك في روايته عن الشرطية المستبدة " زيفا" التي تمقت الفلسطينيين وتحاول التعرض لهم في أي موقف كان « شرعت الضابطة تدفق في الوثائق وفي

[1] الرواية، ص 355.

ترقيم السيارة، ثم استفزتهما برعونة، سألت يونس وهي تنظر إلى نديم: من أي وإلى أين؟ من حيفا... باتجاه مسجد الجبارين. أممم.. كل شيء تمام.. الوثائق سليمة.. مالا أراه صحيحا هاتان اللحيتان. هل من تفسير لوجودها هنا»[1]، من هنا كان نموذج يبين مدى سخافة الإسرائيليين في التعرض للأشخاص المدنيين من الشعب الفلسطيني، ومراقبتهم دون توقف والترصد لكل توجهاتهم خوفا من إحداث حركة تسقط كيانهم أو تهدد وجودهم المزيف على أرض لا تمت لهم بصلة، وأن هذا « الشاباك يترصدنا فردا فردا»[2]، ومنه يكون الحصار قد فرض على الشعب الفلسطيني أرضا وجوا وبرا وبحرا ولا مكان له للتجوال أو الترفيه عن ضيقه سوى منازله، والتي أضحت مخيمات بعد قصف المنازل واحدة تلو الأخرى محاولة السيطرة على القدس الشريفة (المسجد الأقصى) وجعل منطقة غزة المركز الرئيسي لإسرائيل.

إن هذا الكيان لا يشعر بكمية الأذى الذي يلحقه بالشعب المستضعف فلم يتركوا عجوزا ولا شيخا ولا شابا ولا حاملا ولا طفلا ولا رضيعا كل الشعب بلا تفرقة في ما يخص الفئة العمرية تعرضوا لمختلف العدوانية والاستهجان وهو ما زاد من شدة رفضهم لهذا المستعمر ورفض توجهاته وحتى تنفسه هواء أرضه، فأخذوا منهم

[1] الرواية، ص 122.
[2] الرواية، ص 476.

الضفة الغربية المحتوى ضمنها المسجد الأقصى ذي الإرث العظيم محاولين جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل بعدها يضنون داخلها الجانب الشرقي المتبقي من الأرض الفلسطينية، وقد تناول "ميهوبي" رؤية الصهيون لهذا الأمر في روايته (سيرة الأفعى): « القدس لن تقسم أبدا، وهي عاصمة أبدية لإسرائيل، واحدة وموحدة، لا شرقية ولا غربية... ويكون أمن المواقع المقدسة بيد إسرائيل»[1]، أي أنهم يحاولون بتر حق الفلسطينيين في المسجد الأقصى وأخذهم إياه وتفردهم به، وبذلك يطمسون الدّين الإسلامي ويرجع المسجد الشريف سوى بيت لممارسة الشعائر اليهودية وطقوسها، وعلى الرغم من المسجد الشريف سوى بيت للممارسة الشعائر اليهودية وطقوسها،وعلى الرغم من كل هذه التخطيطات والتدبيرات من المحتل إلا أنه لم يتمكن من تحقيق ما سعى إليه طيلة هذه الفترة، نظرا لهجومات الصد الناجمة عن الشعب المستضعف لما يتعرض له من مجازر وسفك دمائهم، ولعل المجازر من بين أبرز الأفعال التي يقوم بها الصهاينة لبروز جبروتهم على الفلسطينيين وهي بمجملها الجرائم ذات الطابع المروع كحرق الشخص حي، وكلمة (هولوكوست) خير دليل تفسر هذه الجرائم « كلمة هولوكوست... هي أن ترحق الناس أحياء، وهي تلك المجازر التي ارتكبتها عصابات الإنسل، والليحي والهاغاناه و الأورغون، والبالماخ في دير ياسين واللّدوخان يونس وغزة والحرم الإبراهيمي ومدن وقرى فلسطينية منذ الثلاثينات»[2]، هذه مجموعة من المجازر التي ألحقها الكيان الصهيوني بالشعب الفلسطيني وأقبعه تحت سلطته وشرده وجعله يفتقر لأبسط حاجيات يومه، ونقص شديد جدا في قوته، شرّد من خلال هذه المجازر الآلاف من الأطفال ويتّم العديد من الأشخاص وأبقى على جبروته وكينونته بأنه الأقوى المسيطر تحت أي ظرف كان، إلا أنه نسي بأن دوام الحال من المحال، وأن الأمر بيد الله في أي وقت يقلب الموازين وتصبح إسرائيل عديمة الوجود.

[1] الرواية، ص 230.

[2] الرواية، ص 247.

ومن جانب آخر هناك فئة أخرى يهودية رافضة رفضا تاما لما يحدث للفلسطيني من تهجير، وقتل ومجازر ملقاة في حقهم وتعنيف، ومكابدة قمع الصهاينة للمستضعف بتلك الطرق الوحشية، وتدمير المنازل لهم والبيوت وتشريدهم وجعلهم من غير مأوى وكذا عملية التهجير التي أصبحت من ضروريات الحياة اليومية، أي الانتقال من الأماكن التي تم القصف فيها في الأحياء الفلسطينية والبحث عن ملاذ آخر لضمان البقاء في انتظار رد صهيوني آخر، فهذه الفئة اليهودية تندد بعدم ممارسة كل هذه الأفعال الجرائمية على هذا الشعب، فهو له الحق في أرضه ولو كنتم تريدون سلبه منهم فلن تستطيعوا لأنهم لن يسمحوا لكم بذلك، والحروب التي تعرضوا لها منهم ولا يزالون يصارعونها اليوم أرقت دمائهم وجعلت أيامهم رمادا مثلما استنزفتنا نحن، فهم في بلادهم ولا يشعرون بالأمن ولا الأمان ولا الحرية ولا حتى تمتعهم بالحقوق سوى قتل الأطفال الأبرياء من غير ذنب و تشريدهم وتيتيمهم في سن مبكرة، في سن كان لابد لهم الشعور بالإحتواء العائلي ولم الشمل الذي تعيشه كل أسرة داخل هذا العالم فقتل الأطفال الأبرياء من غير ذنب ومن غير حق مشروع هو جريمة كبرى يعاقب عليها القانون في ظل أن الولايات المتحدة قد أصدرت بيانات ينص على المحافظة عليهم وعلى حقوقهم وحفظ كل ما يتعلق بمأمنهم، إلا أن هذا لم يحصل وسط المجتمع الفلسطيني الذي يصارع ويلات الكيان الصهيوني المنبثقة عليه، وقد صور "عز الدين ميهوبي" في روايته (سيرة الأفعى) تعاطف بعض اليهود مع الفلسطينيين وبما يتعرضون له من أذى ملحق بهم من طرف السياسة الصهيونية مستنكرين كل الأفعال الجرائمية التي طبعت الأحياء الفلسطينية وجعلت من هذه البلاد المقدسة مقبرة سكانها أحياء بالجسد فقط، أما قلوبهم وعقولهم فباتت تقاسي الولايات المتكررة، « أنا لا أختلف عنك يا ريناد.. لا أشعر بأي ذنب عندما وضعت صورة الطفل محمد الدرة وهو مشدود إلى أبيه خلف واقية الاسمنت على صدري استنكارا للجريمة ولم أتردد في إعلان ذلك صراحة لا يشرفني الإنتماء لشعب يقتل الأطفال»[1]، من هنا كانت رؤية بعض اليهود تؤكد السياسات العنيفة الفتاكة بالفلسطنيين وخاصة الأطفال منهم

[1] الرواية، ص 27

لعدم دخولهم في كل هذه الصراعات والنزاعات والحروب، فتوالت الجرائم عليه، والمجازر المنددة بالقتل العمدي التعسفي، وتكونت لدى هذه الفئة اليهودية مشاعر الإنسانية اتجاه الشعب الضعيف، وأنها يجب عليها إحداث ردة فعل تساهم ولو بالقليل في التخفيف من حد آلامهم، فقاموا بعديد من المظاهرات حاملين رايات كبيرة وصور لأطفال جرحى ومرضى يصرخون في الشوارع والطرقات رافضين للظلم والحروب التي باتت تهدد حياتنا وتهدد استقرار معيشتنا وأمن قومنا وأولادنا، وصور صاحب الرواية كذلك من خلال ما قام به "أمنون" وهو أحد اليهود الرافض الرفض التام للفساد ولما يلحقه الصهاينة بالشعب الفلسطيني، حينما وقف على منصة خشبية صغيرة وفي يده ميكرفون،وهو يقول « شكرا لحضوركم الرائع، شكرا لأنكم تكرهون الفساد، ولا تحبون النظر في وجوه الفاسدين الذين تقلق راحتهم الحقيقة.. ونحن أنصار الحقيقة.. رددوا معي: أيها اللصوص.. عليكم اللعنة»[1] "فأمنون" هنا يمثل الفرد اليهودي المتعاطف مع الفلسطنيين رافض لكل المآلم والمآسي الملحقة بذاك الشعب الضعيف جراء تحقيق مطالب كبرى كان نتاجها العديد من الضحايا، وقد أطلق عليهم اسم الفاسدين لاعتقادهم أنهم يطمحون لبناء دولة خاصة بهم في حين أنهم غفلوا عن حقيقة كانت لا بد وأن يتفطنوا لها وهي أن بناء أي دولة أو تكوين أي أساس لها لا يقوم على التعسف والقهر أبدا لأن المظالم سترد إلى أهلها لا محالة، فالحصار الذي تتعرض له غزة منذ آلاف السنين وكمية القهر، الظلم الذي لحق بها، وقتل فلذة كبدها، حتى أن الموت أصبح لا يؤثر عليها، فلو أن منزل عائلة فلسطينية مثلا قصف ومات أبناء ذلك البيت اكتفى أهله بقول إن لله وإنا إليه راجعون، وذلك لكمية الصدمات المتتالية والمتفاوتة واحدة تلو الأخرى، حيث يؤكد هذا المؤلف "ميهوبي" من خلال الشخصية اليهودية الأخرى الرافضة للعدوان الإسرائيلي على فلسطين وعلى أبناء هذا الشعب الضعيف بقوله « لكن سكان غزة المحاصرين قبل أن أولد،لا يعرفون التناوب لأنهم لا ينامون»[2]، ومعنى ذلك أن الجهات الإسرائيلية يتناوبون على الأفعال القمعية الملحقة بالشعب الفلسطيني، فلو أن هناك مجموعة صباحية ليست هي

[1] الرواية، ص 224.
[2] الرواية، ص 363.

التي ستكون في المساء تكون بينهم أدوار متناوبة،لكن سكان غزة،سكان الأرض المحتلة،أهل الحصار منذ أن وطأ المحتل أرضهم لم يشعروا بمعنى كلمة النوم في سلام أو حتى العيش ولو لدقيقة داخل العالم بأمان.

كما حاول الكثير رد اعتبار الأقصى لأهله الحقيقيين من السكان الفلسطينيين، الذين زعم اليهود الطاغين على امتلاكه وجعله معبد إسرائيلي خالص لممارسة طقوسهم لا يتشارك فيه مع الفلسطنيين وقد لاحت هذه الصورة ما أشار إليه " أتال" مع أمه " باتيا" التي استهجنت كلامه وقالت له بأن هذا الكيان سيكون غدا لنا، حيث قال: « لماذا تنزعجوزن من هؤلاء عندما يأتون لمعبدهم فيصلون دون أن يؤذوكم، بينما تزاحموهم في مسجدهم الكبير بالقدس؟»[1] ، أي أن الفلسطنيين لا يتعرضون للإسرائيليين حتى ولو وجدوهم أمماهم لا يعاملونهم بقسوة، رغم المآثم الملحقة بهم جراءه، لكن على العكس منهم يحاولون مزاحمتهم في المسجد الأقصى ونشر الذعر والخوف هناك حتى يكفوا عن الذهاب له ورفع الأذان فيه.

وإلى جانب ذلك كذلك تأثر اليهود بحالات اليتم المتكررة للأفراد الفلسطنيين وخاصة منهم الأطفال التي كان لابد وأن يعيشوا حياة هنية، حياة سوية، حياة يطبعها التفاؤل واللعب والضحك، والإمتطاء للدراسة، والمراجعة وغيرها مما يريده الطفل عامة، كما أنه افتقر لأشد الفقر حرمانه من أحلام كانت ذاكرة قبل أن تكون حقيقة، كانت خيالا قبل أن تصبح واقعا، فاستيقظ الطفل الفلسطيني على واقع مرير يطبعه الرصاص المتواصل دون توقف لا ليل ولا نهار، والصواريخ المنبعثة في أرجاء السماء مهددة بالدمار الشامل الذي لن يصلح من بعده شيء، مآسي وآلام وجراح لم يكن لهذا الشعب ذنب في عيش كل هذه الويلات، فقال صاحب الرواية على لسان " أتال": « هذه ورقة أعطاني إياه طفل في القدس القديمة كتب فيها بخط مرتجف أنا يتيم، فهمت لحظتها أن الطفل يعاني حرمانا تسبب فيها أمثالك بتفكيرهم الدموي.. لا أريد أن أكون شاهدا على هولوكوست آخر

[1] الرواية، ص366.

يقوم به ضحاياه.. لن أزعجكم أبدا. اخترتم طريقكم.. واخترت طريقي»[1]، فكمية العدوان الملقى وخاصة على فئة الأطفال كبير جدا، محرمون من كل شيء، إلا أن المحتل الصهيوني مستمتع بكل ما يقوم به اتجاههم، واختار الاستيلاء على الضفة الغربية للقدس الفلسطينية لتقاطعها مع العديد من الدول وكذا لتمركز العاصمة هناك، وقد صور اليهوديين التعاطف المذكور سلفا مع الفلسطنيين بالخروج للشوارع وكذا عمل احتجاجات للإيصال الرأي المنوط به للعالم عن رفضهم لكل الجرائم العدوانية والشرسة التي تقام في حق السكان لمدينة غزة، وهذا ما تناوله " عز الدين ميهوبي" في روايته (سيرة الأفعى) لكن بطريقة أخرى جعلت الفكرة تتضح أكثر فيما يخص معاناة أو تكابد الآهات على فلسطين ورفض بعض من اليهود لسياسات الصهاينة التعسفية، حيث يقول على لسان شخصيته الروائية " أتال" « هل سيقبلون لو اقترحت عليهم سيناريو يتحدث عن امرأة من يافا جاءت تبحث عن رفات زوجها الذي دفن في حقله قبل خمسين عاما.. وهذا الحقل تمت مصادرته لتبنى عليه مستوطنة؟»[2]، كان هذا توثيقا صريحا للاستيلاء على جميع البلاد، وتوالي المآسي عليها، فقد وقف اليهود صف الفلسطنيين وآزروا بعضهم في هذا الصدد لكن كذلك فعلوا هذا لشعورهم بالأمن ومحاولة تغيير الأوضاع الطارئة هناك.

بالرغم من الموقف اليهودي اتجاه الفلسطنيين من ناحية الإيجاب إلا أنهم أعابوا العرب وبشدة على الخذلان التي تعرضت له البلاد الفلسطينية من قبلهم، من خلال تواطئهم مع إسرائيل والتطبيع الساري لهم، استقبحوا التطبيع الإسرائيلي من قبل العديد من الدول العربية، «كالمصر، الأردن»[3] وغيرها، فلم يستجمعوا شتات إخوانهم المردومة تحت الركام وراحوا يبرمون الاتفاقيات والمفاوضات التي تخدم مصالحهم بالدرجة الأولى،

[1] الرواية، ص 369.
[2] الرواية، ص 363.
[3] التطبيع العربي مع الكيان الإسرائيلي إلى أين؟ مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات،ص05.

«فإسرائيل مدمنة حروب والتطبيع يريده بعض»[1]، من أجل بروز إسرائيل كدولة عظمى وتحقيق المصالح للدول المطبعة لها من بعد ذلك.

كل هذا ولا يزال المحتل يقوم بسياساته التفزيعية الترهيبية التخويفية التي أصبحت تهدد حياة الفرد الفلسطيني وتؤرق كاهله.

فنتنياهو بن يامين "netanyaho bin yamin" في الصورة أعلاه، منذ السابع من أكتوبر 2023م، أصدر قرار قمع كلي شامل بعد أن أحدثت حركة حماس ردة فعل على الأفعال الشنيعة التي تقام في حق الشعب الفلسطيني منذ الأعوام السابقة وإثر هذه الردة زاد الكيان الإسرائيلي في حدة قمعه وأصبح يرى الدمار ووجوبه في كل زاوية من زوايا البلاد الفلسطينية، واستجمع العديد من القوى الكبرى الداعمة والتي من بين أهمها الولايات المتحدة الأمريكية التي تعد من بين أكبر وأبرز البلدان المسيطرة، وهي المكلفة بإصدار واتخاذ العديد من القرارات على اعتبار أنها تمتلك حق الأمن، فجيش"بن يامين نتنياهو" ضل يسلط الأفعال القمعية والجرائم التعسفية على الشعب المستضعف، وأحدث ذلك هزة كبيرة على مستوى العالم أجمع فقد أضحت الأحياء الفلسطينية غارقة بالدماء المؤرقة من دون ذنب، كانت نتيجة للحروب والنزاعات والصراعات التي لفقتها إسرائيل على فلسطين، وانتهت بخسائر كبيرة جدا، ولا تزال لليوم ولم يتخذ موقف موحد يخص هذه القضية.

الإسرائيليين الصهاينة متشبثون على موقفهم من ناحية الظلم والعداء المتكرر للفلسطنيين بحكم تمسك الدولة الفلسطينية بقرارها المنصوص على إقامة كيانها الخاص كامل السيادة وعدم تدخل إسرائيل في تسيير شؤونها، وقد اصطلحت العديد من الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة لتحقيق السلام وإيقاف إطلاق النار لكن قابلت السياسة الصهيونية هذه القرارات بالرفض التام، وبعد تأزم الوضع في البلاد الفلسطينية وارتفاع عدد القتلى

[1] الرواية، ص 351.

والجرحى وارتفاع نسبة تفشي الأوبئة بشكل كبير الناجم عن المجاعة ونقص التغذية، تدخلت الجزائر محاولة تهدئة الوضع وعقد اتفاق وقف إطلاق النار على الشعب الفلسطيني الذي كان في الشهر الماضي (أفريل)، إلا أن السياسة اليهودية الصهيونية كالعادة رفضت وظلت تستعرض بسياستها القمعية على الشعب الضعيف، ومهددة كل من يتعرض لها أو يحاول التدخل فيما تقوم به مع الشعب الفلسطيني سيلقى حتفه وأنه سيكون بدوره عرضة للاحتلال الإسرائيلي.

المحتل الإسرائيلي كل معاني القبح والاستنكار والخذلان والظلم والجور قليلة في حقه، فهو فعل الضعف فيما فعلته المستعمرات السابقة للبلدان، نسأل المولى عز وجل أن ينصر الشعب الفلسطيني وأن يحرره من الطغيان الذي يتعرض له وأن ينعم بالحرية والأمن الذي طالما انتظره، وأن يقلب الموازين على القوات الصهيونية ويخلف الثار فيهم.

سادسا: رموز المقاومة في رواية (سيرة الأفعى)

المعروف عن الحروب بين الدول أنها نزاع مسلح بين كيانات غير منسجمة، هذه الأخيرة توجد بها عدة أطراف، فمنها الظالم ومنها المظلوم، وفيها طرف يحتل و طرف يقاوم العدوان الذي ألحق بوطنه من أجل ضمان العيش الكريم لشعبه وخاصة الأطفال الذين يرمز لهم بالبراءة كون أيديهم لم تلطخ بأي أوساخ الدنيا، فالمقاومة تكون أولا فداء الوطن، وثانيا فداء طيور الجنة الذين لا يحملون أي ذنب من ذنوب الحياة، حيث تعرف المقاومة على أنها:« هي تلك النشاط الذي يقوم به عناصر شعبية بالقوة المسلحة في مواجهة سلطة تقوم بغزو أرض الوطن»[1]، معنى ذلك أن المقاومة هي ذلك الرفض من طرف جماعة ما اغتصب وطنها وسلطته، بإنشاء جماعة مسلحة تواجه الاحتلال الذي حل بأرضهم، وأن أفرادها «هم عناصر لا ينتمون إلى أفراد القوات المسلحة

[1] رشيد حمد العنزي، عبد السلام حسني العنزي، المقاومة المسلحة في ظل قواعد القانون الدولي، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، العدد 58، أكتوبر 2015، ص 268.

النظامية، لكنهم يأخذون على عاتقهم القيام بعمليات القتال دفاعا عن المصالح الوطنية أو القومية ضد قوى أجنبية، سواء كانت تلك العناصر تعمل في إطار منظم أي تشرف عليه سلطة قانونية أو فعلية تعمل على توجيهه (...) ومقاومة المعتدين عمل مقدس تجيزه الشرائع السماوية ومبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي»[1]، معنى ذلك المقاومة يكونها أفراد لا ينتمون إلى أفراد القوات المسلحة،وبالتالي فالظلم الذي تتعرض إليه بلادهم يدفعهم إلى تأسيس جماعات تقاوم ولو بأبسط الأشياء، ما يهمها فقط التصدي للمحتل الغاشم وعدم تركه ينام في مكانه وهو مرتاح البال، وبالتالي فمقاومتهم وإن لم تجد نفعا فهي مقاومة ضد نفسية الظالم.

ولعل الناظر في الأحداث التي تجري في فلسطين جراء الاغتصاب الصهيوني لهذه الأرض المقدسة الشريفة يدرك تماما لفصائل المقاومة التي تأبى أن تفسح المجال في وجه الصهاينة من أجل التوغل في هذه الأرض أكثر رغم معاناة شعبها من القصف والقتل والجوع والحرمان الذي ألحقوه بهم، فالمقاومة هنالك مستمرة ولا زالت تستمر حتى لو كلفهم هذا الأمر التضحية بالشعب وبالغالي والنفيس من أجل أن يحي هذا الوطن مستقلا يملك شعبه وأجياله القادمة حق السلطة على أنفسهم، وهذا من أجل أن لا تغتصب نساؤهم أكثر، وأن لا يتم أولادهم فيبقون حفاة عراة دون والي لهم، وبالتالي فشعب فلسطين على مر الزمن السباق للمقاومة والدفاع عن أرضه الطاهرة الشريفة، فمن خضم الحرب الضروس ولدت جماعات صغيرة مقاومة ورافضة الاحتلال، ومع مرور السنين كبرت وصارت تنظيمات مقاومة أطلقت على نفسها أسماء نبيلة كهدفها السامي فداء وطنها، ومن هذه التنظيمات التي وظفها "عز الدين ميهوبي" في رواية (سيرة الأفعى) نجد:

[1] عبد اللطيف دحية، المقاومة المسلحة والأسس القانونية لمشروعيتها في النزاعات المسلحة الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص2.

1- المقاومة المسلحة:

أ- حركة حماس:

المعروف والشائع عن حركة حماس أنها حركة سياسية تابعة للمقاومة الشعبية في فلسطين حيث برزت هذه الحركة الوطنية « بعد اندلاع الانتفاضة العشبية الفلسطينية، ولم تمض سنة واحدة من عمرها وعمر الانتفاضة حتى ازدادت قوتها وظهر تأثيرها واكتسبت شعبية واسعة بين الفلسطينيين في الأرض المحتلة وفي المنافي والمهاجر، كذلك وبين العرب والمسلمين وكان لنضالها الإسلامي ضد الاحتلال الصهيوني ودفاعا عن الأرض والمقدسات أثره البالغ في إعطاء صورة متميزة للعالم الإسلامي الذي يحظى بالقبول والإجماع»[1]،أي أن:هذه الحركة ظهرت بعد الانتفاضة الفلسطينية، ما لبثت حتى أصبحت ذات قوة ومكانة شعبية هامة وواسعة في الوسط الفلسطيني والعربي، حيث كان نضالها إسلامي ضد الصهاينة، هذه الأخيرة تعتبر « الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها، وإليه تحتكم ومنه تسترشد خطاها، وهدفت إلى تحرير فلسطين وإقامة دولة الإسلام على أرضها،

[1] خالد نمر أبو العمرين، حماس حركة المقاومة الإسلامية جذورها، شأنها، فكرها السياسي، مؤسسة مركز الحضارة العربية، ط1، مصر، 2000، ص7.

ودعت إلى تربية شاملة للأجيال لتحقيق الغايات المرجوة»[1] ، أي أن هذه الحركة تقوم أفكارها وفق الشريعة والدين الإسلامي، ومنه تنهل خطاها ولهذا تدعو إلى تنشئة الأجيال القادمة تنشئة شاملة لاكتمال الأهداف المرجوة في تحرير فلسطين وإقامة دولة الحق عليها.

ورد ذكر هذه الحركة الفلسطينية المقاومة في رواية (سيرة الأفعى) حيث نعتت "بحماس الإرهابية" من طرف المحتل الغاشم الذي يقتل الفلسطيني وكأنه ليس بإنسان دون أن يرف له جفن، وإن قاوم هذا الأخير يقال عنه أنه إرهابي، حيث جاء هذا في الرواية على لسان يهودي« نحن نعيش يوميا مع إرهاب حماس والجهاد...»[2]، وعلى هذا النحو توصف حركات المقاومة الفلسطينية ضد الصهاينة، فحسبهم أن قتل الفلسطيني وقصف بيته وتشريد عائلته هو واجب مشروع القيام به من قبلهم، أما مقاومة هذا الإنسان له ودفاعه عن أرضه ووطنه فهذا ليس بحق، وبالتالي فمقاومته حسبهم تعتبر من تخبطات الإرهاب« تجتاحون قطاع غزة متى شئتم وتغتالون بطائراتكم من شئتم، وتمنعون سفن المساعدات باستخدام العنف متى شئتم.. وتأتي لهذا الاجتماع لتتحدث عن إرهاب حماس...»[3]، وبالتالي فهذا هو حال الصهيوني يمنع الخبز عن أطفال غزة، والحجاب عن نسائها الشريفات، وما إن قاوم الفلسطيني أو أنشأ جماعة تقف في وجه الظالم يسمى بالإرهابي أو البدائي الهمجي.

عكست الرواية شيئا من واقع اشتباكات هذه الحركات الفلسطينية المقاومة مع المحتل الذي لطالما أراد التنسط عليها ومعرفة ما تحاول فعله وكل هذا من أجل شل مقاومتها له، والوقوف كالمرصاد في وجهها، فلا تستطيع القيام بأي تخبط في سبيل تحرير فلسطين ويظهر هذا جليا في الرواية من خلال "ريناد"التي تسللت إلى جامعة " كيفونيم" الإسرائيلية كعميلة لهم، ولم يكتشفوا سرها بأنها تلعب لعبتها عليهم، حيث أرسلوها إلى غزة كجاسوسة من أجل أن تزرع أجهزة تنسط على حماس حيث «قالت ريناد:« أبو حمزة، يمكن أن أعامل

[1] محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، د ط، لبنان، 2012، ص 105.
[2] الرواية، ص 509.
[3] الرواية، ص 510.

كجاسوسة فأعدم، والقطاع عرضة لاختراقات كثير من الذين يبيعون ذممهم بحفنة شيكلات، ولكن عندي حساب أصفيه مع جماعة الموساد(...) يريدون زرع عشرة أجهزة للتنصت على قيادي الحركة في الأماكن الحيوية(...)»[1]، فبالرغم من أن " ريناد" لا تدعم هذه الحركات إلا أنها لا تريد أن يحطمهم المحتل بجيش فتقترح على قيادة حماس« أن يلعبوا معهم لعبة الأطرش في الزفة وأنتم تعلمون كل شيء، بمعنى أن زرع الأجهزة في قاعات أو مكاتب تستعمل للقاءات الرسمية بحضور عميلهم خليل ليصدق ما يرى ويخبرهم، وعند انتهاء المهمة نقلون الأجهزة إلى قاعات ثانوية، يمكنكم أن تمارسوا التمويه الخادع بإجراء لقاءات وأحاديث تعلن فيها قرارات صحيحة غير ذات شان حتى يصدقوا وغير صحيحة حتى يسقطوا في حفرة للصرف الصحي، وتقديم معلومات مغلوطة، وممارسة لعبة القط والفأر»[2]، وهكذا تقوم هذه الشخصية بدعم المقاومة الفلسطينية ضد المحتل الذي لطالما يخيفه هذا الأمر، فبالإتحاد تزاد القوة ضد الظالم، وبهذا أصبحت قيادة حماس تتلاعب بجهاز "الموساد" فتارة تعطيهم أخبارا مغلوطة وتارة تتلاعب بهم هنا وهناك ،وتارة أخرى تبعث نحو المقاومة والجهاد، لتزرع الخوف والقلق في الإسرائيلي فلا بالله يرتاح ولا نفس له تهدأ.

ب- حزب الله:

[1] الرواية، ص 532.

[2] الرواية، ص 532.

وهو أيضا حركة مقاومة شعبية مسلحة لبنانية، مدعم للقضية الفلسطينية وحركة حماس حتى قيل عنهما أنهما جماعتان إرهابيتان، حيث يقوم هذا الأخير كما يبث الإعلام بقصف مقر إسرائيل عن الحدود اللبنانية، «حيث نشأ حزب الله الشيعي في لبنان حزبا سياسيا عام 1985م، لكن نشأته الأكيدة كانت عام 1982م»[1]، وقد كان شعاره منذ تشكيله «المقاومة الراسخة والدائمة للاحتلال الإسرائيلي للأراضي اللبنانية»[2]، هكذا كانت نشأة هذا الحزب الذي يرفض التوغل الإسرائيلي، ولهذا أصبح يدعم القضية الفلسطينية، حيث ورد ذكره في رواية(سيرة الأفعى) بأنه كان يثير الرعب في قادة إسرائيل، إذ إن هذه الأخيرة دمرت لبنان« ولا يعنيها حزب الله، لأنه شان القوى العظمى التي تعتبره ورما إيرانيا خبيثا في خاصرة الشام يجب استئصاله.. ودور إسرائيل يكمن في إرهاقه وتأليب اللبنانيين ضده.. كلما دمرت جسرا أو بناية،زادت الخنق عليه»[3]،وبالتالي فهذه هي طبيعة الاستيطان الإسرائيلي في المنطقة العربية؛ فهو يحاول القضاء والاستئصال كل ملامح المقاومة، ولكن كان حزب الله هذا يكن الرعب في الصهاينة كونه حزبا شيعيا يسعى بكل ما يملك ولو بأبسط الإمكانيات القضاء على التوغل الإسرائيلي، حيث جاء في الرواية أن «اغتيال " عماد مغنية "أحد أهم القادة العسكريين لحزب الله اللبناني كان خسارة كبيرة لحزب الله»[4]، حيث كان هذا الخبر كإطفاء جمرة من نار عند الإسرائيليين فكلما نقص رأس من رؤوس المقاومة الحذقين ازدادت قوتهم، لأن المحتل يرى في هذا الحزب المقاوم أنه إرهابي كونه يستهدف مناطق إسرائيلية بالقصف رغم العنف الذي أذاقوه هم لأهل فلسطين جراء اغتصاب أرضهم، والمقاوم لهم يعتبرونه إرهابي ولو كان يقاوم بأساليب بدائية لا تشبه أساليب الدمار التي ألحقوها بسكان غزة خاصة وفلسطين عامة، «أنتم محظوظون، سيد جدعون، لأن حزب الله لا يمتلك طائراتكم ولا صواريخكم، ولا مفاعلاتكم يكفي تسويق كلام لم

[1] سيباستيان ماير، حزب الله إلى أين أنت ذاهب؟ تر: ماريا المنجد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2016، ص 9.
[2] علي الصادق، ماذا تعرف عن حزب الله، الهيئة العامة لدار الكتاب، والوثائق القومية، ط1، لبنان، 2006، ص9.
[3] الرواية، ص11.
[4] الرواية، ص 232.

يعد يصدقه أحد»[1]، ومن هنا بين الكاتب لضعف رموز المقاومة ضد إسرائيل وافتقارها لأبسط الوسائل التي تجعلها تردع هذا المحتل الظالم، إلا أنها بقيت صامدة ولم تبين الضعف والوهن الذي يكتنفها حيث لم تعم للصهيوني متنفسا للراحة والطمأنينة وورد هذا في الرواية على لسان "ريناد" التي تقول لهم:« لكنني أتساءل ماذا تفعلون إذا أطلق حزب الله مائة ألف صاروخ عليكم؛ لأننا، نحن أهل حيفا، سمعنا نصر الله في 2006م يقول ما بعد حيفا، فهمنا أن صواريخه ستصل إيلات»[2]، فمن خلال الرواية يظهر جليا مقاومة " حزب الله" للصهاينة الذي يحاولون تفتيت العرب هيهات لهم، فإن لم تستطيع حماس ولم يستطع حزب الله ردعهم، فهناك رب سبحانه عزوجل يحمي هذه الأرض المباركة، فيتقوى به شعبها الذي يؤمن أن نصر الله قريب.

ج- سرايا القدس:

مقاومة شعبية مسلحة، وهي الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي حيث جاء في بيان عسكري صادر عن سرايا القدس قولهم« إننا في سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين إذ نعلن وقوفنا وانحيازنا المطلق لقضية شعبنا والدفاع عنه في وجه آلة القتل الصهيونية»[3]، أي: أن الهدف من هذه الحركة هو

[1] الرواية، ص 510.
[2] الرواية، ص599.
[3] سرايا القدس، بشائر الانتصار وكسر سياسة الاغتيالات، الإعلام الحرب لسرايا القدس، مركز اللغات والترجمة، 2012، ص56.

مقاومة الصهيونية فداء فلسطين وشعبها، حيث كان شعارهم كما في الصورة يعلوه آية من القرآن الكريم في قوله تعالى﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**﴾[البقرة /191]، وقد ورد ذكر نضال هذه المقاومة في رواية (سيرة الأفعى) على لسان المحتل الذي يعتبرها هي الأخرى بالإرهابية حيث يقول المحتل: «ليس من عادتنا أن نبدأ الحرب، بل إننا أكثر شعوب الأرض ضبطا للنفس، فهذه صواريخ سرايا القدس الإرهابية تنزل يوميا على سديروت وتهدد أمن وراحة العائلات الإسرائيلية، دون أن تلتزم بالهدنة التي وافقت عليها قبل سنة أشهر إنهم إرهابيون غدارون»[1]، وهكذا تنعت المقاومة الفلسطينية بالإرهابية فحسبهم الذين أخذ الأرض من شعبها قسرا ليس إرهابيا، بل إنه من حقه العيش بسلام على هذه الأرض، أما من نشأ وترعرع بها ولعب بترابها وتنفس نسيمها ليس من حقه الاعتراض على الظلم والإبادة التي ألحقت به، وإن قاوم فيعتبروا إرهابيا غدارا.

د- كتائب القسام:

نسبة إلى قائدها " عز الدين القسام"، علاوة على كونها الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس حيث « ظهر العمل المجاهد في فلسطين في مرحلة مبكرة من بداية مقاومة المشروع الصهيوني، أي منذ عقد

[1] الرواية، ص 236.

العشرينات، تمثل في حركة الشيخ المجاهد (عز الدين القسام)، الذي يعد أول من رفع راية الإسلام المجاهد في فلسطين، فكانت حركة سابقة رائدة (...)، كان ما يميز دعوته اعتبارها الاستعمار الإنجليزي رأس الداء لأن بريطانيا عدو العرب و المسلمين (...)، فكان يدعو إلى تعبئة الشعب، وتدريب القادرين على السلاح»[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذه الحركة كانت سباقة للمقاومة ضد إسرائيل في فلسطين حيث كان يدعو صاحبها إلى تدريب القادرين على السلاح وتعبئة الشعب بحب المقاومة، وقد ورد ذكر هذه الحركة في رواية (سيرة الأفعى) على لسان المحتل الذي يرى بأنها هي الأخرى إرهابية كونها توجه صواريخها صوب المدنيين الإسرائيليين فشأنها حسبهم شأن جميع حركات المقاومة هناك، وقد جاء ذكر القسام على لسان"ريناد" ضد المحتل فتقول:«أنتم لا تخافون صواريخ القسام التي تدفع بكم إلى الملاجئ(...)»[2]، ومن قولها هذا يتهمونها بأنها تناصر الإرهاب فتقول لهم« صواريخ القسام، ليست سوى مفرقعات أمام ما يملك جيش إسرائيل من ترسانة تغطي صحراء النقب»[3]، ومن هنا تظهر مقاومة كتائب القسام رغم افتقارها لأرقى الأسلحة ورغم هذا فهي تدفع بالإسرائيلي إلى الملاجئ، كما بشبعها إلى المخيمات والموت جوعا والإصابة بمختلف الأوبئة، جراء منع الغذاء والدواء من الوصول إليه، «فصواريخ القسام لن تبقى نائمة في أنفاقها، والانتفاضة لن توقفها شرطة عارضات الأزياء من المجندات..»[4]، وبالتالي فرواية (سيرة الأفعى) عكست جزءا من المقاومة الفلسطينية المسلحة التي تليت نحو تحرير القدس الشريف من وطأت الاحتلال الصهيوني الغاشم، حيث أنها لا تهاجم هذا الأخير وحده فقط وإنما تقاوم العديد من الدول المناصرة لهذا الظالم، ولهذا يتم نعتها بالحركات الإرهابية، فإن أخذت هي ووطنها جرعات زائدة من العدوان والقصف فهذا مشروع في حقها، وأما إن صوبت هي قدائفها نحو من يبتز شعبها ويغصب أرضها ويحرق زيتونها ويهجر حمامها، فأبسط ما يقال عنها أنها- جماعات إرهابية-.

[1] يوسف عارف الحاج محمد، المسيرة الجهادية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مؤسسة مهجة القدس، ط1، فلسطين، 2011، ص 17-18.
[2] الرواية، ص 593.
[3] الرواية، ص 594.
[4] الرواية، ص 599.

2- المقاومة النفسية: والمعروف عن المقاومة النفسية أنها أسلوب يعتمد وسائل للتأثير على نفسية ومعنويات العدو، حيث نجد في رواية (سيرة الأفعى) "عز الدين ميهوبي" أضاف بعد أساليب المقاومة النفسية إلى جانب المقاومة المسلحة المذكورة سابقا وكل هذا من أجل تعرية الواقع الفلسطيني بكل خلفياته ليخرج لنا أسلوبا سرديا في قالب فني مكتمل الأطراف ومن أبرز ما جاء من أساليب المقاومة النفسية التي جاءت في رواية (سيرة الأفعى) نجد:

أ- أبناء القيامة: هو تنظيم أسسه مجموعة من شباب فلسطين « أبناء القيامة 2022»، حيث ينتمون إلى عرب 48، بحيث يحاول أفراد هذه المجموعة استهداف مناطق إسرائيلية؛ إذ كانت هذه المجموعة تقوم بحرب نفسية ضد الصهاينة من خلال « ملئ الشوارع والمدن والبلدان للفئات الصغيرة عليها شعار « القيامة تحييكم 2022» ونطبع المئات منها بأحجام مختلفة، في بيوتنا، باستخدام طابعات ليزر يدوية، ونلصقها على الجدران والأشجار والبنايات (...) حتى تشتت اهتمامهم، نجعلهم في اليوم الموالي في حيرة.. ونتساءل معهم في مواقع أنترنت عن المغزى من هذه الرموز (...) أقترح فكرة تتمثل في إنشاء صفحة على الفيس بوك بعنوان (قيامتي أن أعيش بسلام... قيامتكم أن تزرعوا الموت)(...) لكنكم كشفتم عن أسلوب هو أقرب إلى القوة الناعمة منه التلاعب بمشاعر المتطرفين من اليهود»[1]، ومن هنا تبدو المقاومة النفسية من خلال رواية (سيرة الأفعى) هذه الأخيرة عكست جزء مما يعيشه الشباب الفلسطيني من محاولة لمجابهة المحتل الغاشم ولو كان ذلك بأبسط الأشياء التي لا تجعله يعيش السلام الداخلي، فهاهو " نديم" ورفاقه يؤسسون تنظيم باسم أبناء القيامة ، بالإضافة إلى فتح منصات أو صفحات عبر شبكات التواصل الاجتماعي وباللغة العبرية؛ أي بلغة المستعمر وكل هذا يصب في العبث بمشاعر ونفسية الصهيوني الذي يبدو من خلال ما يمارسه على الشعب الفلسطيني أنه لا مشاعر له، ولكن

[1] الرواية، ص 318.

هذه الأساليب لا بد أن تكون ناجعة، فالإسرائيلي أو اليهودي الذي لم شمله من كل بقاع العالم يخشى أن يفرق شمله مرة ثانية ويطرد من فلسطين حيث تؤثر عليه هذه الدعايات وتزرع في نفسه الخوف.

ب- فرقة سنزعجهم: هي فرقة (راب) أسستها أعضاء مجموعة أبناء القيامة إذ تقوم هذه الفرقة بتسجيل أغاني ساخطة على إسرائيل؛ يقوم أعضاءها بتغطية وجوههم وتسجيل المقاطع ثم نشرها عبر صفة خاصة بهذه الفرقة على فايس بوك، حيث« ثم تصوير أغنية بهواتف خلوية، بعد أن وضعوا على وجوههم قناعات من ورق.. وتكلفت خلود مع سامي بتركيب الأغنية من الفيديوهات التي سجلتها هواتف للمجموعة.. قالت خلود، بعد أن جمعت كل الفيديوهات في جهاز الكمبيوتر الخاص بسامي: « أخشى أن نشتهر كفرقة راب فننسى الهدف من وجودنا» فأجابتها ريما:« عليك أن تقرئي سيرة فيكتور خارا (...) لتفهمي معنى أن تكون الكلمة أقوى من ديمونا(...) فقفز يونس من مكانه وقال: سنزعجهم هواسم الفرقة»[1]؛ ومن هنا تتضح أهمية المقاومة النفسية ضد الظالم الذي لا يعرف حدودا للقتل، فالكلمة أحيانا أقوى من السيف من خلال تأثيرها على مستمعها كما قالت شخصية "ريما "الكلمة أقوى من ديمونا، فديمونا هذه هي مقر إسرائيلي لتصنيع النووي في فلسطين، فكما تكون الكلمة دواءا للروح وجبرا للنفس، تكون المقاومة بالكملة ضد الظالم بمثابة فيروس فتاك ينتهش جسمه، وبالتالي فالحرب النفسية من قبل الفلسطينيين ضد الصهاينة كشعلة يزدادا لهيبها مع الرياح فتؤثر في الإسرائيلي الماكر، وبهذا يهدد الفلسطينيين المناضل أمن اليهودي وينشر فيه الرعب.

ج- ملائكة حانوكاه: تنتمي أيضا إلى " أبناء القيامة" أي أنها حرب نفسية للتلاعب بإسرائيل وأنظمتها الأمنية، حيث قامت " ريناد" بإرسال أخيها " نديم" لقتل أحد أعوان جهاز الموساد الأمني الإسرائيلي والقيام بوضع لافتة عليه مكتوب عليها "ملائكة حانوكاه تحييكم "، «سيعثرون على الجثة، ويتكتمون على أشياء كثيرة، لكن ملائكة حانوكاه ستحقق عميقا في نواياهم، ولن يلصقوها بعرب فلسطين... إذا انكشف أمره، اتصلوا بمن تعرفون، وذلك

[1] الرواية، ص 320.

بنشر بيان باسم ملائكة حانوكاه، على أنه تنظيم أسسه قدامى الموساد المهمشين»[1]، ومن هنا تعكس الرواية واقع الشباب الفلسطيني الفحل الذي يأبى أن يرضخ للمحتل، ويسعى لمقاومته ولو بأبسط الأشياء التي لا تعطي هذا الأخير فسحة للراحة على هذه الأرض المغصوبة.

عطفا على ما سبق فإن رواية (سيرة الأفعى) أعطتنا لمحة عن المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، حيث قام " عز الدين ميهوبي" بتعرية سياسة المحتل الصهيوني وفضح جرائمه ثم أبرز أساليب المقاومة الفلسطينية التي يراها المحتل بالحركات الإرهابية، وبالتالي فالرواية عكست نضال الفلسطينيين المتعطش والعاشق للحرية وأثبتت حضوره وفاعليته في الدفاع عن وطنه بأبسط الوسائل، حيث أن " عز الدين ميهوبي" صور في هذه الرواية الأزمات التي آل إليها الشعب الفلسطيني جراء الاحتلال الصهيوني ونضاله من أجل الحرية؛ من أجل أن تنعم الأجيال القادمة بقسط من التنزه على هذه الأرض المباركة، حيث تبين رموز المقاومة في هذه الرواية وقوف الفلسطيني في وجه المحتل، كما رسمت الفضاء السياسي والاجتماعي المتردي في فلسطين، فجسدت التحدي الفلسطيني وصموده، والموت من أجل هدف أسمى هو تحرير الوطن، رغم كل ما يتعرض له هذا الفرد من ضغوط وتضييق المكان عليه، فصبره هذا يوحي على الاستمرار والمقاومة، وبالتالي فالكاتب يشير من خلال شخصيات الرواية المقاومة والمتشبعة بحب فلسطين "كريناد وأخيها نديم ورفقائه" إلى الشباب الفلسطيني الذي لا يهاجر ولا يبيع بلاده، بل يعيشون فداءه، ويتحدون الموت من أجله، ومن هنا يطبع " عز الدين ميهوبي" في نفوس القارئين روح النضال الفلسطيني وتشبثه بأرضه والتمسك بالحرية والنصر دون ملل أو كلل، ولو بأبسط الوسائل، فالفلسطيني ينهل قوته من القرآن الكريم من قوله تعالى﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة 249] وقوله تعالى﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ**

[1] الرواية، ص 565.

أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[الإسراء/6] وبالتالي فالفلسطيني المسلم الذي يجعل شعار مقاومته آية من آيات الله لا يضعفه سخط المحتل عليه وإنما تتقوى نفسه لأنه يعلم معنى الشهادة في سبيل الله وفي سبيل الوطن.

خاتمـــــة

مما سبق عرضه يمكن استخلاص النتائج التالية التي قسمناها إلى نتائج عامة وأخرى خاصة مستقاة من الرواية المدروسة.

أ- النتائج المستنتجة من الجانب النظري:

- كانت القضية الفلسطينية حاضرة في مدونة السرد العربي فالآلام التي عاشها الشعب الفلسطيني كانت تنزف قلب العربي في كل مكان، وبالتالي أخذ المبدع العربي في ترجمة هذه الآلام في شكل روايات.
- لم يخل الأدب العبري من ترجمة هذه القضية، بل كان ملازما لها لكن بصفة عكسية؛ بمعنى أن أدبهم كان خادما لسياستهم الصهيونية حيث كانوا يرون أن قتلهم للفلسطنيين واجب مشروع، إلا أننا لا ننكر وجود بعض الكتابات العبرية التي تناولت الوجع الفلسطيني.
- ترجع الأهمية التي حظيت بها فلسطين في الإسلام وفي قلوب المسلمين إلى تواجد أهم صرح ديني ألا وهو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، بالإضافة إلى حادثة الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى القدس والاعراج به من هناك إلى السماوات العلا.

- فلسطين من بين أهم وأبرز البلدان العريقة نظرا لموقعها الجغرافي الذي امتازت به عن غيرها من الدول الأخرى، وكذا مهد للحضارات القديمة التي ساقتها للازدهار، ولكونها بلد الأنبياء والمرسلين وموطن الديانات السماوية الإلهية فهي رمز للعقيدة الإسلامية التي أرادها المولى عز وجل لتكون في الكون جميعا ويصدق بها العالمين.

- تعد القضية الفلسطينية من القضايا الرائجة في عصرنا الحالي ذات الأزمات والمشكلات والحروب على الشعب الفلسطيني، فهي قضية ظالم ومظلوم؛ قضية إخراج الفلسطنيين من أرضهم وحلول اليهود محلهم

دون حق لهم في المقاومة التصدي لهذا الاحتلال الغاشم، إنها قضية جعلت الكثير من المبدعين ينبوع أقلامهم الإبداعية من قصة أو رواية أو مسرحية...

- لم تكن القضية الفلسطينية بمنأى عن الكتابات الجزائرية القديمة، فلم تحضر في الكتابات الحديثة والمعاصرة فحسب؛ وإنما كان فضل السبق للسلف في التعبير والدفاع عنها كالإصلاحيين وجمعية العلماء المسلمين، كما تناولت الكتابات الروائية المعاصرة الجزائرية الوجع الفلسطيني وما تعانيه من اليهود منها:(سوناتا لأشباح القدس) "لواسيني الأعرج"، (نساء في الجحيم) "لعائشة بنور" وغيرها هذه الروايات كان لها الفضل الكبير في كشف خفايا هذه القضية من الاضطهاد والقهر الذي يتعرض له الشعب المستضعف من طرف المحتل الصهيوني، ومساندتهم وإيصال قضيتهم صدى العالم.

ب- النتائج المستوحاة من الجانب التطبيقي:

- فلسطين قضية قومية في رواية (سيرة الأفعى)، والانتماء الطبيعي لها كان بارزا عند المؤلف الجزائري؛ حيث سخر روايته لخدمة هذه القضية.
- صورت الرواية الجزء المقاوم داخل فلسطين رغم ضعف الإمكانيات، إلا أنهم لا يزالون صامدون يقاتلون بالنفس والنفيس من أجل الوطن الأم فلسطين.
- جاءت الرواية مبينة لمكائد اليهود التي يحيكونها ضد العرب أجمع.
- عرض الكاتب "ميهوبي" في روايته (سيرة الأفعى) الجانب التعسفي الملقى على عاتق الأطفال من جرائم بشعة في حقهم وحرمانهم من أبسط حقوقهم، وقد قدم لقرائه نماذج حقيقية من الواقع منها "محمد الذرة" و"محمد خيضر".
- عكست رواية (سيرة الأفعى) معاناة الفلسطينيين الملحقة بهم من طرف السياسة الاستعمارية اليهودية من الظلم والقهر والعدوان والقصف المستمر وممارسة جل أشكال التعذيب عليهم، فأصبح المحتل

الصهيوني يشن حروبا دامية على الشعب المستضعف وحرمانهم من أبسط حقوقهم، واتباع سياسة التجويع والتخويف.

- أعطى "عز الدين ميهوبي" قيمة للمرأة في هذه الرواية، إذ وجدناه يسعى نحو إبراز صورة المرأة الفلسطينية المثقفة وكيفية تعاملها مع المستعمر.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	1
الإهداء	2
مقدمة	أ
الفصل الأول: مكانة فلسطين والقدس في الإسلام	
أولا: فلسطين والرسالات السماوية.	9
1-موقعها الجغرافي والاستراتيجي	15
2-الرسالات السماوية	16
ثانيا: فلسطين وحادثة الإسراء والمعراج.	22
ثالثا: فلسطين والواقع التاريخي.	28
1- الكنعانين	28
2- الأقوام الغازية لفلسطين قديما	35
3- فلسطين من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية (639-1096م)	38
4- الدولة العثمانية	47
5- فلسطين والاستعمار الحديث	47
الفصل الثاني: حضور القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية	
أولا: لمحة عن الرواية الجزائرية والقضية الفلسطينية	51
1- الرواية الجزائرية:	52

2- القضية الفلسطينية	59
ثانيا: القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية تاريخ وتأريخ	65
1- تاريخ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية	66
2- تأريخ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية	71
ثالثا: تسريد القضية الفلسطينية بين تفكيك العقل اليهودي وسرد الوجع الفلسطيني	76
1- في السرد العربي	76
2- في السرد اليهودي	79
الجانب التطبيقي: محورية القضية الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) لعز الدين ميهوبي	
أولا: لمحة عن معاناة الشعب الفلسطيني مع الاحتلال من خلال رواية سيرة الأفعى	85
ثانيا: فلسطين قضية قومية في رواية سيرة الأفعى	99
ثالثا: المرأة الفلسطينية في رواية (سيرة الأفعى) "لعز الدين ميهوبي"	102
1- المرأة الفلسطينية المناضلة	104
2- المرأة الفلسطينية الأم المنجبة	110
3- المرأة الفلسطينية والمعاناة مع الاحتلال	113
4- المرأة الفلسطينية رمز للحب والعطاء في الرواية	115
رابعا: صورة الطفل الفلسطيني في رواية سيرة الأفعى لعز الدين ميهوبي	118
خامسا: صورة المحتل في رواية سيرة الأفعى لعز الدين ميهوبي	133
سادسا: رموز المقاومة في رواية (سيرة الأفعى)	145

1- المقاومة المسلحة	147
2- المقاومة النفسية	154
خاتمة	159
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس المحتويات	
الملاحق	
ملخص	

الملاحـق

الملحق رقم (01):

السيرة الذاتية لعز الدين ميهوبي:

"عز الدين ميهوبي" من مواليد 1959 بالعين الخضراء (ولاية المسيلة/ الجزائر)، وهو كاتب جزائري، شاعر روائي ومسرحي.

التدرج الدراسي والمؤهلات العلمية:

- 1979م: المدرسة الوطنية للفنون الجميلة (الجزائر) ثم معهد اللغة والأدب العربي بجامعة باتنة (دراسة متقطعة).
- 1980-1984م: المدرسة الوطنية للإدارة بالجزائر (ديبلوم تخصص الإدارة العامة).
- 2006-2007م: جامعة الجزائر (ديبلوم في الدراسات العليا المتخصصة- فرع الإستراتيجيا).

كما تقلد مناصب سامية في الجزائر منها:

- 1990-1992م: رئيس تحرير صحيفة الشعب (أول صحيفة يومية بالعربية بعد استقلال الجزائر).
- 1996- 1997م: مدير الأخبار والحصص المتخصصة بالتلفزيون الجزائري.
- 2006-2008م: مدير عام مؤسسة الإذاعة الجزائرية.
- 2008-2010م: وزير الاتصال (الإعلام) بالحكومة الجزائرية.
- 2013-2015م: رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.
- 2015-2019م: وزير الثقافة.
- 2019م: مرشح للانتخابات الرئاسية.

أما مساره السياسي فقد كان:

- 1997م: الانتساب للتجمع الوطني الديمقراطي عند التأسيس.
- 1997-2002م: نائب بالبرلمان الجزائري.
- 2019-2020م: أمين عام حزب التجمع الوطني الديمقراطي.

كما كانت له مواقع أخرى:

- رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين منتخب منذ مارس 1998م(أعيد انتخابه في ديسمبر 2001 إلى 2005م).
- عضو مجلس الأمناء لمؤسس البابطين من 2000-2007م.
- نائب الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب منذ 1998 حتى 2003م.
- رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب (ديسمبر 2003- أكتوبر 2006م).

أصدر عددا من المجاميع الشعرية والروايات وقدم للمسرح كثيرا من النصوص، ترجمت أعماله إلى عديد اللغات، وكانت مؤلفاته وإصداراته كالتالي:

- في البدء كانت أوراس (ديوان شعر) عام 1985م منشورات الشهاب باتنة.
- الرباعيات (ديوان شعر) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- الشمس والجلاتّد (نص أوبيرت) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- اللعنة والغفران (ديوان شعر) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- الدخلة والمجداف (ديوان شعر) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- خالدات (نصوص تمثيلية) 1997م، منشورات أصالة سطيف.

- سيتيفيس(نص أوبيرت) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- حيزية (نص أوبيريت) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- ملصقات (ديوان شعر) 1997م، منشورات أصالة سطيف.
- Acandle for mycontry، مترجم إن الإنجليزية عام 1998م، منشورات أصالة سطيف.
- كاليغولا يرسم غرنيكا الرايس (شعر) مترجم إلى الفرنسية والإنجليزية 2000م،منشورات أصالة سطيف.
- عولمة الحب عولمة النار (شعر) 2002م. (طبعتان) ومترجمة للفرنسية، منشورات أصالة سطيف، Mondialisation de l'amour,Mondialisation de feu، ترجمة نصيف العابد إلى اللغة الفرنسية، (عولمة الحب، عولمة النار) عام 2002م،منشورات أصالة سطيف.
- التوابيت " رواية" 2003م، منشورات أصالة سطيف.
- قرابين ميلاد الفجر (شعر) 2003م، منشورات أصالة سطيف.
- ومع ذلك فإنها تدور (مقالات) 2006م،منشورات أصالة سطيف.
- طاسيليا (شعر)2007م، منشورات النهضة العربية بيروت.
- منافي الروح (شعر)2007م، منشورات تالة، الجزائر.
- اعترافات تام سيتي (رواية من جزئين) 2007م، منشورات تالة الجزائر.
- لا إكراه في الحرية (مقالات) 2007م، منشورات البيت، الجزائر.
- أسفار الملائكة(شعر) 2008م، منشورات البيت، الجزائر.
- اعترافات أسكرام (رواية) 2009م، منشورات البيت، الجزائرConfessions d'assekrem (اعترافات أسكرام) 2010م، ترجمة مهنا محادوش إلى الغة الفرنسية، منشورات القصبة، الجزائر.
- Tora bora(فصل من اعترافات أسكرام) ترجمة عمر زياتي إلى اللغة الإنجليزية، لم يطبع.

- Quatrains (الرباعيات) (ديوان شعر باللغتين العربية والفرنسة)، ترجمة جيلالي عطاطفة 2011م، منشورات حبر، الجزائر.
- جابولاني (مقالات في الرياضة) 2010م، منشورات بغدادي، الجزائر.
- ما لم يعشه السندباد (رحلات) 2011م، منشورات الشروق، الجزائر.
- الشيخ محمد الدراجي، المصلح الثائر 2013م، منشورات المعرفة، الجزائر.
- ميسي والآخرون، مقالات في الرياضة،2013م، منشورات المعرفة، الجزائر.
- عرفتهم، شهادات من الألبوم، 2013م، منشورات المعرفة، الجزائر.
- إرهابيس، رواية 2013م، منشورات المعرفة، الجزائر.
- Irhabistan ، رواية من ترجمة علي طاهر، 2013م، منشورات القصبة، الجزائر.
- El juramento de Atocha قسم أطوشا، ترجم بالإسبانية لوراية كوبا 2019م.
- إرهابيس، طبعة ثانية، فبراير 2022م، منشورات جفرا، عمان، الأردن.
- سيرة الأفعى، رواية، سبتمبر 2022م، دار العين، القاهرة، مصر.
- رقصة أوديسا، رواية، يناير 2023م، دار الوطن اليوم، الجزائر.

أما بالنسبة للإنتاج الفني فقد كانت له عديد الإنتاجات:

- أوبيريت " مواويل الوطن" إنتاج التلفزة الجزائرية عام 1984م.
- أوبيريت " قال الشهيد" إنتاج مركز الثقافة والإعلام بالجزائر عام 1993م.
- أوبيريت " ملحمة الجزائر" عمل مشترك إنتاج مركز الثقافة والإعلام بالجزائر عام 1994م.
- أوبيريت " حيزية" إنتاج مركز الثقافة والإعلام بالجزائر عام 1995م.

- أوبيريت "ملحمة سيتيفيس" إنتاج دار الثقافة بسطيف عام 1995م.
- أوبيريت" الشمس والجلاد" حول الشهيد العربي بن مهيدي مسرح عنابة 1996م.
- مسرحية " زبانا" تكريما للشهيد أحمد زهانه المسرح الجهوي بوهران م1997.
- مسرحية "الدالية" إنتاج مسرح باتنة الجهوي 1998م.
- مسرحية " ماسينيسا" إنتاج مسرح قسنطينة الجهوي 1999م.
- أوبيريت " غنائية إفريقيا" إنتاج مؤسسة فن وثقافة 1999م.
- مسرحية " حمى الفايق" إنتاج مسرح المدينة بوهران 2003م.
- أوبيريت " صفصاف الحنة" إنتاج مؤسسة فن وثقافة 2003م.
- وله تأليف المسلسل التاريخي "عذراء الجبل" الذي يروي حياة البطلة لالة فاطمة نسومر، وكذا مسرحية عيسى تسونامي ومسرحية حمة الكوردوني وسيناريو فلم زبانا.

نال عددا من الجوائز والتكريمات نعدها في التالي:

- الجائزة الوطنية للشعر " قصيدة الوطن" الجزائر عام 1982م.
- الجائزة الأولى الأوبيرت "قال الشهيد"، الجزائر عام 1987م.
- الجائزة الأولى للشعر " 8 مايو 1945" سطيف م1986.
- الجائزة الأولى للشعر 5 يوليو 1962" سطيف 1987م.
- ميدالية ذهبية باسم الجزائر Gold medal 2006(الولايات المتحدة).
- جائزة الأدب الرفيع 2010 م التي يقدمها منتدى المثقفين والإعلاميين بسطيف.
- رجل العام الثقافي (الأيام الأدبية بالعلمة) 1998م.

- تكريم مدينة سيدي بوزيد بتونس 2005م.
- ميدالية ذهبية من المعهد الأمريكي للبيوغرافيا 2006م.
- جائزة التميز الثقافي العربي (جامعة الدول العربية) 2017م.
- شخصية العام كأفضل وزير ثقافة عربي 2017م، في استفتاء مركز الإعلام والثقافة العربي (جامعة الدول العربية)
- عضو في المرصد الجزائري لحقوق الإنسان (ممثلا للمجلس الدستوري) 2006م.
- عضو الهيئة الاستشارية لمجلة "العلم والعصر" بأبو ظبي 2011م.

كان له حظوظ كبيرة في التمثيل الوطني نذكر منها:

- مهرجان المربد الشعري التاسع ببغداد 1988م.
- مهرجان الشعر العربي بطرابلس 1988م.
- إحياء الذكرى الأربعين للثورة الجزائرية بتونس 1994م.
- مهرجان الشعر العربي بالقاهرة 1994م.
- مهرجان القرين الثقافي بالكويت 1999م.
- مؤتمرات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بدمشق 1997، بغداد 2001، الجزائر 2003م.
- مؤتمر الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) وشارك بمحاضرة حول العرب والمونديال 2005م.

كتب في العديد من المقالات من بين أهمها:

- مقال أسبوعي بعنوان " أقولها ولا أمشي" في مجلة سوبر الرياضية (أبو ظبي)
- مقال أسبوعي بعنوان " لا إكراه في الحرية" في مجلة المرأة اليوم (أبو ظبي).

- مقال أسبوعي بعنوان " ومع ذلك فإنها تدور" في صحيفة الحياة (لندن)
- مقال أسبوعي بعنوان " قول على فعل" بصحيفة الخبر (الجزائر).
- مقال أسبوعي في يومية ""الوطن" القطرية كل أربعاء.
- ترجمت بعض قصائده للغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والنرويجية والصينية.
- تناول عدد من الأطروحات والرسائل الجامعية أعماله الأدبية بمختلف الجامعات الجزائرية (تجاوزت المائة رسالة بين مذكرة تخرج ماجيستر ودكتوراه).

له عديد المساهمات على الساحة الدولية من بين أهمها:

- العمل على تنظيم وتأسيس عدد من الملتقيات والندوات منها:
- لقاء أبوليوس السنوي بمداوروش سوق أهراس.
- لقاء الشعراء الأطفال بالعاصمة الجزائر.
- ملتقى الأحمدي للدراسات اللغوية بالمسيلة.
- تنظيم ندوة المثقف والعنف بالتنسيق مع الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بالجزائر 1998م.
- تنظيم الأيام العربية الأدب والشعر مع اليونيسكو بالجزائر سبتمبر 1999م.
- تنظيم يوم تكريمي للشاعر الإيراني سعد الشيرازي 2002م.
- تأسيس أسبوعية رياضية " صدى الملاعب" وتحويلها إلى "الملاعب" 1995م.
- تأسيس جائزة "الحذاء الذهبي" لهداف الكرة الجزائرية في 1993م.
- تأسيس جائزة "الميكروفون الذهبي" بالإذاعة الجزائرية 2007م.
- تأسيس مجلة " أمواج" بالإذاعة الجزائرية 2007 م(العربية والفرنسية).

ملحق رقم(02): ملخص رواية (سيرة الأفعى)

سيرة الأفعى من الروايات التي عالجت القضية الفلسطينية وكشفت واقع الفلسطيني تحت ظل الاحتلال الصهيوني وكيفية تعامله معه، إذ تدور أحداثها في مدينة "حيفا" الفلسطينية التي ولّدت نخبة من الشباب المثقف الذي يعرف متى وأين وكيف يلعب مع الثعالب التي تمكر عليه خلسة، ويتجلى هذا من خلال " ريناد" الشابة الفلسطينية من "حي الحلّيصة بحيفا" والتي تنتمي إلى عرب 1948م، أي عرب فلسطين الذين يتعايشون مع إسرائيل، والتي تدرس بجامعة إسرائيلية بقسم الهندسة المعمارية، تملك هذه الأخيرة العديد من الأصدقاء اليهود منهم " أمنون" الذي كان ناقم على السياسة الاستعمارية الإسرائيلية وما تقوم به في حق الفلسطينيين، حيث التقت " ريناد" في إحدى زياراتها له بشخص يهودي يدعى " عاموس" الذي أعطاها اسم الأفعى لحدة لسانها، هذا الأخير ينتمي إلى "جماعة كيفونيم" والذي كان مساعد لإحدى الأساتذة في الجامعة الخاصة ويعتبر من زعماء " الموساد"، أقام "عاموس" صداقة مع "ريناد" لكنه كان يحاول اصطيادها وجعلها عميلة لهم؛ حيث بدأو ألاعيبهم عليها بإرسالها في بعثة علمية إلى إحدى جامعات تركيا وذلك من أجل تفقد العمران العثماني وتاريخه، وهنالك سخروا لها مرافقا وعميلا لهم أيضا، يحمل اسم " براق" هذا الأخير طبق ألاعيبهم عليها وذلك بإعطائها مشروبا أثار غرائزها اتجاهه، وفي هذا الحين تم التقاط صور لها وهي في تلك الحالة تحت تأثير هذا المشروب لتكون كورقة رابحة في أيديهم ضد امرأة فلسطينية حذقة، رجعت "ريناد" إلى فلسطين حاملة معها مخاوف ما جرى لها مع هذا الشاب الوسيم دون شعور منها وبضمير المرأة العربية التي تصون شرفها في كل محضر، زاولت " ريناد" دراستها بجامعتها بعدها قاموا بإرسالها في بعثة أخرى إلى قرطبة لتفقد المعمار الأندلسي وتاريخه لكن هذه المرة رفقة عاموس" الذي أغمي عليه بشقته في الفندق، حيث لحقت به "ريناد" اتصلت بالإسعاف فأخذته وبقيت "ريناد" أمام حاسوبه الذي ظل مفتوح أمامها فراودتها نفسها على التنسط عليه فوجدت ملفا باسم الأفعى قامت بفتحه فإذا بصورها مع " براق" وهي بلقطات مخلة بالحياء، وهنالك عرفت ما تخططه هذه الجماعة والتي تحاول تفكيك

العرب، وبذلك استعارت الأفعى خبث الذئاب وبدأت ألاعيبها ونفث سمومها عليهم، ودفّعتهم ثمن التلاعب بفلسطينية أضعافا مضاعفة؛ فقتلت " براق" وآخر بالسم، وآخر بجرعة زائدة من المخدرات أما "عاموس" فجعلت منه العاشق الولهان الذي ألقي به في مصلحة عقلية؛ في حين آخر قدمت العديد من الخدمات لبلدها، فجعلت من أخيها "نديم" ورفقائه الذين كانوا يؤسسون تنظيم باسم « أبناء القيامة 2022» للنضال وتنفيذ بعض الهجمات ضد الصهاينة يتخلون عن هذه الفكرة والبديل لها هو تأسيس جمعية باسم " حيفا التي نريد" ترمي أهدافها إلى تصليح مختلف الأعطاب داخل شوارعها بالتنظيف والترميم، في حين قامت هي كمهندسة معمارية بترميم البنايات المتضررة للفلسطنيين، وفي الأخير تزوجت بابن بلدها فلسطين " رامي" الذي يعمل كخبير للسموم في إحدى الجامعات الغربية وأنجبت منه طفلين " كنعان" و "مريم".

ضمت هذه الرواية العديد من الأحداث التي كشفت عن السياسة الإسرائيلية، وسياسة تطبيع العرب معهم ضد فلسطين، كما لخصت من خلال المحاورات والمقابلات التلفزيونية التي قامت بها "ريناد" معاناة سكان غزة ونسائها وأطفالها من الاغتصاب الملحق به من طرف الإسرائيليين، وأبرزت أيضا كيفية محافظة الفلسطيني لحبه لأرضه والشعور بالانتماء إليها وعدم تخليه عنها رغم الظروف التي ترغمه عن التخلي عنها.

الملحق رقم (03): غلاف الرواية

الملحق رقم (04): بعض الشخصيات المتعلقة بالقضية الفلسطينية المذكورة في الرواية:

أ- الشخصيات الفلسطينية

الشخصية	الشاهد
أحمد ياسين (مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)	« وواضع سياسة التخلص من أفراد المقاومة الفلسطينية بدءا باغتيال الشيخ أحمد ياسين، إلى ياسر عرفات »[1].
ياسر عرفات (أحد مؤسسي حركة فتح وجناحها المسلح).	
عزمي بشارة سياسي وأديب فلسطيني من عرب 48.	«ولم أسمعكم تقولون كلمة واحدة عن عزمي بشارة الزلمة، يرفع صوته كل يوم، يشنون عليه حربا وكأنه نصر الله، ويطالبون بنزع الحصانة البرلمانية عنه لينفردوا به ويضعوه في زنزانة مع مروان البرغوتي »[2].
مرواني البرغوتي (أحد الرموز القيادية الفلسطينية).	
أمين الحسيني (مفتي عام للقدس).	« وأفتى أمين الحسيني بحرقكم وتخليص العالم منكم حين همس في أذن صديقه الفوهرر بذلك»[3].
جورج حبش (من مؤسسي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين).	« وانتهت سنة 2008 على مجموعة أخبار، بمفارقة في حجم كل واحد منها ودع الفلسطنيون حكيم ثورتهم جورج حبش الذي قال " إن النضال ضد المشروع الصهيوني قد

[1] الرواية، ص9.
[2] الرواية، ص13.
[3] الرواية، ص15.

	يستمر مائة عام أو أكثر فعلى قصيري النفس أن يتنحوا جانبا»[1].

ب- الشخصيات اليهودية:

الشخصية	الشاهد من الرواية
شارون (رئيس وزراء إسرائيل والحكومة الإسرائيلية الثلاثون).	«هم يعرفون أن شارون انتهى، وأنه سيلحق بأسلافه»[2].
هتلر (زعيم ألمانيا النازية)، وهو صاحب حادثة المحرقة اليهودية (أحرق اليهود).	« ورمى بكم هتلر في أفران أوشفيتز فيما أسماه الحل النهائي»[3].
بيغين (كان عضو مؤسس لمنظمة الإرغون، ومؤسس حزب الحيروت، ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق كعضو عن الليكود.	« أولئك الذين يصرخون في البراري البعيدة ينبذهم الموت... ولم تهزهم بطولات الهاغاناه ولا تحركهم أفاعيل بن غوريون وبيغين»[4].
بن غوريون (رئيس حركة الدولة التي في الطريق) القائد والمحفز لإقامة دولة إسرائيل.	
هرتزل (شكل المنظمة الصهيونية وشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين ساعيا لتشكيل دولة	« تحقق الثلث وبقي الثلثان والإنهيار يبدأ بتفتيت الجيش وإلغاء دوره، واليوم بعد مائة عام وزيادة على حلم هرتزل، وسبعين عاما

[1] الرواية، ص234.
[2] الرواية، ص10.
[3] الرواية، ص15.
[4] الرواية، ص15.

يهودية).	على ميلاد الدولة..أذكر كلمة قالها موشي ديان.." إننا (أي إسرائيل) قلب مزروع في هذه المنطقة» ص268. « أمرنا هرتزل بالنزوح إليها... هرتزل أوجد الفكرة»[1].
جلعاد شاليط (جندي إسرائيلي سابق أسرته حركة المقاومة الإسلامية حماس).	« وقلوب الإسرائيليين في غزة ينتظرون الإفراج عن الجندي جلعاد شاليط الذي فشلت استخبارات ناتنياهو في معرفة مكانه بغزة بعد خمس سنوات كاد أن يطلق فيها لحيته ويصلي خلف كتائب القسام»[2]..
بلفور (صاحب وعد بلفور الذي ينص على اتخاد الغرب لإقامة كيان اليهود على تراب فلسطين).	« وفاة آرثر جيمس بلفور... ويصادف مرور مائة عام على الوعد المشؤوم... جئت من هذه البلدة البعيدة لتتنازل عن أرض ليست لك وتمنحها لشذاذ الآفاق الذين جاؤوا من الغيتوهات والحارات المنبوذة ليطردوا شعبا من أرضه، ويستظهرون ورقة وقعتها بيدك، مانحا اليهود الصهاينة وعدا بامتلاك أرض لها ملاكها»[3].
بنيامين نتنياهو (سياسي إسرائيلي يرأس حزب الليكود، يشغل منصب رئيس وزراء إسرائيل منذ 29 ديسمبر2022.	« منح نوط الإعتراف من حكومة نتنياهو الأولى... »[4].

[1] الرواية، ص269.
[2] الرواية، ص517.
[3] الرواية، ص723-724.
[4] الرواية، ص22.

الملحق رقم(05): الأماكن الهامة بالقضية الفلسطينية من خلال رواية (سيرة الأفعى):

المكان	الحدث	الشاهد من الرواية
غزة	- التخويف والفزع الملحق يوميا بالشعب الفلسطيني في منطقة غزة تحديدا. - القتل العمدي لأهل غزة من طرف الجيش الإسرائيلي والتي تراوح عدد قتلاهم أزيد من ثلاثة آلاف قتيل. - القصف المستمر لأحياء غزة، ومعاملة سكانها بأبشع الطرق. - فرض الحصار عليها ومنع سبل العيش عليها وتضييق الخناق عليهم.	« تطلبون الأمن لأنفسكم، لكنكم تريدون الخوف والترويع لشعب أقصى ما يحلم به خيمة آمنة ورغيف خبز تعجنه نساء ألفن الحزن»[1]. « حال غزة وأهلها... يتعلق بغارات الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة تحت عنوان "الرصاص المصبوب"... انتهت إلى أكثر من ثلاثة آلاف قتيل وعشرات الآلاف من الجرحى»[2]. « أشعر بالخزي كلما رأيت غزة تقصف، وعرب 1948 يحشرون كالحيوانات في أحيائهم القديمة»[3]. « تفرضون على غزة حصارا، لا دواء، ولا غداء ولا دخول ولا خروج، ولا حق اللعب على الشاطئ»[4].

[1] الرواية، ص211.
[2] الرواية، ص235.
[3] الرواية، ص588.
[4] الرواية، ص594.

	– التدمير الشامل لها، بالإضافة غلى الخسائر المخلفة بعدها من بشرية تمثلت في القتلى والجرحى والمادية للماني وغيرها.	« ما جرى في غزة لا يحتمل... قتلى وجرحى بالآلاف، نساء وأطفال وتدمير هائل»[1]. « عدد شهداء غزة تجاوز 2322 فلسطينيا، بينهم 578 طفلا و489 امرأة، وإصابة نحو 11 ألف بجروح متفاوتة تصل حد الإعاقة»[2].
دير ياسين	– المجازر المتتالية التي يقوم بها الصهيوني من إبادة وقتل وتيتيم الأطفال. – السياسات التفزيعية الترهيبية القمعية المسلطة على أهل فلسطين وتعذيبهم بأبشع الطرق.	« إنني يتيم أيضا...أبي استشهد في مجزرة ديرياسين، وكان عمري أنذاك عشر سنوات»[3]. « جثة الطفل محمد أبو خيضر مفحمة في أحراش دير ياسين بعد أن اختطف وعذب ثم أحرق حيا»[4].
مجزرة الطنطورة	– هي عملية إجرامية ملقاة على الشعب الفلسطيني من قبل المستعمر بالضبط في منطقة الطنطورة بالقرب من حيفا، تضمنت إطلاق النيران على أهل القرية وبيوتها ورجالها ولم يسلم منهم إلا القلة القليلة جدا.	« أنظروا هذا المفتاح الذي في يدي لقد ورثته عن جدي الذي نجا من مجزرة الطنطورة في حيفا عام 1948»[5].
القدس	– الإعتزاز بالقدس، وعدم مشاركته مع أين كان.	« أجيبيني في كلمات قليلة...القدس؟ رقم لا

[1] الرواية، ص636.
[2] الرواية، ص635.
[3] الرواية، ص368.
[4] الرواية، ص629.
[5] الرواية، ص736.

	- إبعاد فلسطين وفصلها عن معتقداتها ومحاولة الاستيلاء على القدس وجعلها خاصة باليهود والمسيح دون غيرهم.	يقبل القسمة على اثنين»[1]. « الهدف واضح، هو فصل فلسطين عن معتقداتها وترامب... لايعرف شيئا عن الأقصى وقبة الصخرة، ويجعل من القدس مدينة لليهود والمسيحيين فقط»[2].
فلسطين	- هي الأرض المباركة الطيبة المرتبطة بالأنبياء والمرسلين ومعجزاتهم الإلهية، وهي أرض ذات تربة مقدسة.	« هنا موطن الأنبياء و الصالحين في الأرض، إبراهيم كان هنا...عيسى ولد في بيت لحم، محمد أسري به من الأقصى ... وكثير من المعجزات عاشها أهل فلسطين، لأنها هي معجزة الله على أرضه»[3].
حي الحليصة في حيفا	- المكان الذي انطلقت منه الأحداث الروائية، وهو حيث تقطن ريناد وعائلتها، وتمركز الجرائم الشنيعة من طرف اليهود هناك.	« عندما فتحت عيني وجدت رشاشا فوق رأسي، وحين دخلت المدرسة رأيت دبابة قرب بيتنا، لم أر إلا أصحاب البزّات الزيتية والمرقطة بأسلحتهم وكلابهم يحاصرون حي الحلّيصة في حيفا»[4].

[1] الرواية، ص602.
[2] الرواية، ص734.
[3] الرواية، ص681.
[4] الرواية، ص07.

		« سألها الضابط : «أصولك فلسطينية...من أي مدينة؟ ...إننا من ضواحي حيفا»[1] .
إسرائيل	– السياسة العدوانية التي يلحقونها بالفلسطينين واتهامهم باتهامات باطلة. – استنزفت فلسطين وجعلت منها مجرد ورقة لتحقيق أهدافها.	« سهل عليكم في إسرائيل وصف الناس بالإرهابيين »[2]. « قطعة بحجم علبة السردين، خرج منها شارون، لأنها شكلت مصدر قلق له، واستنزافا لأعصابه، وجعل منها أولمرت وناتنياهو ورقة انتخابية»[3].
تل أبيب	– عاصمة إسرائيل، ويعمل رأيها العام على تلفيق حماس تهمة الصواريخ الملقاة.	« تحمل حماس مسؤولية سقوط المئات من المدنيين لأنها كما يروجون في تل أبيب تجعل منها دروعا بشرية، وأنها تنصب منصات الصواريخ داخل الأحياء السكنية»[4].

الملحق رقم(06): التواريخ الهامة بالقضية الفلسطينية في رواية سيرة الأفعى:

التاريخ	الحدث	الشاهد من الرواية
17 يناير 1991	الحرب بين أمريكا والعراق	«أجهزت أمريكا وحلفاؤها على العراق بالصواريخ والقنابل، خرجنا للشوارع معلنين وقوفنا مع صدام (...) كل اليهود دخلوا المخابئ ووضعوا أقنعة الغاز أما نحن الفلسطينين فلم

[1] الرواية، ص530.
[2] الرواية، ص509.
[3] الرواية، ص594.
[4] الرواية، ص634.

		نغادر بيوتنا لأننا شعرنا أن تلك الصواريخ لن تصيبنا.. لم تكن ضدنا بل ضد الصهاينة»[1].
1948	عام النكبة	« أما اليهودي الآخر، فولد بالجزائر عام النكبة التي فقد فيها العرب فلسطين، وحقق فيها اليهود حلم هرتزل بتحقيق دولة »[2].
حرب 1973	حرب قامت بها الجيوش المصرية والسورية ضد إسرائيل.	« وما دخل أبي في الأمر؟.. هذا الرجل ليس نكرة، لقد كان شاهدا على حروب كثيرة، (...) وكان حاضرا في حرب 1973»[3].
حرب1967	حرب بين إسرائيل والعراق ومصر وسوريا والأردن.	« ظل ينفرج على التلفزيون ويتنهد بصورة غير طبيعية... طلبت منه أن يتوقف عن مشاهدة صور حرب 1967»[4].
2 نوفمبر 1917	وعد بلفور	«جئت من هذه البلدة البعيدة لتتنازل عن أرض ليست لك، وتمنحها لشداد الآفاق الذين جاؤوا من الغيتوهات والحارات (...) سأذكر رفاتك بما كتبت في الثاني من نوفمبر 1917»[5].
انتفاضة 1987	انتفاضة الحجارة المقاومة شعب فلسطين ضد إسرائيل بالحجارة.	« كانت قصاصة للصفحة الأولى من صحيفة إسرائيلية عن إنتفاضت 1987 إذ التقطت عدسة مصورها عسان وهو

[1] الرواية، ص150.
[2] الرواية، ص160.
[3] الرواية، ص214.
[4] الرواية، ص546.
[5] الرواية، ص727.

		يقدف رتلا من الجنود بشكل مبهر، يعكس حرارة الشعب في انتفاضته »[1].

[1] الرواية، ص141.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. عز الدين ميهوبي،سيرة الأفعى،دار العين للنشر،ط1،القاهرة، 2023م.

ثانيا:المعاجم و القواميس:

2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، دط،د ب، 1979

3. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب،دار صادر،ط4،بيروت، 2005

4. بطرس البستاني، محيطا لمحيط- قاموس عصري مطول للغة العربية وفيه زيادات كثيرة للمواد الحديثة الدخيلة والمعربة، تح: محمد عثمان، ج 07، المحتوى: الفاء- باب الكاف، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1، 2009

5. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية،تح: عبد الحميد الهنداوي، مج2، ط1، بيروت،2003

6. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.

ثالثا: المراجع:

1- المراجع العربية:

7. إبراهيم البحراوي، أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر، دار الهلال، ع 275، مصر، 1972.

8. إبراهيم فتحي،معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين،دط،تونس، 1986

9. ابن جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، القاهرة، 2001

10. ابن حجر العسقلاني البيوطي، الإسراء والمعراج، دار الحديث، تح: محمد عبد الحكيم القاصي، القاهرة، 2002

11. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، دار الغرب الإسلامي، ج2،ط4،لبنان،1992

12. أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ-2000م

13. أحمد الحيلة، مريم عيتاني، معاناة الطفل الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي، تحرير محسن صالح، ياسر علي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،ط1، 2008م-1429هـ،بيروت،لبنان..

14. أحمد الدبلش،موجز تاريخ فلسطين، من أقدم العصور حتى مشارف القرن الحادي والعشرين، دار النشر، ط1، القاهرة، 1431هـ-2010م

15. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث،عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1429هـ، 2008يوسف جمعة سلامة، إسلامية فلسطين،دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 2009

16. أحمد منور،الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دب،2007

17. أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، دار المعارف، دط،دب، 1955

18. بوزيان بغلول، الرواية الجزائرية الجديدة متى؟ لماذا وكيف؟،د د،ط1،الجزائر، 2020

19. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ج2، وبيروت، 1982

20. حسني محمد العطار، القضية الفلسطينية رؤية إسلامية، مؤسسة ناقد للطباعة والنشر، ط2، فلسطين، 2020

21. حسين الباشي، القدس من الإسراء إلى وعد الآخر بسبع آيات تختزل التاريخ، فلسطين ومركزية الصراع الكوني، دار قتيبة، ط1، لبنان، 2004

22. خالدنمر أبو العمرين، حماس حركة المقاومة الإسلامية جذورها ،شأنها ،فكرها السياسي، مؤسسة مركز الحضارة العربية ،ط1،مصر، 2000.

23. رشاد الشامي، متاهات الأدب والفكر الإسرائيلي، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006يوسف يوسف، التزوير في الأدب اليهودي، دار القلم، ط1، دمشق، 2000.

24. رشاد الشامي،تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي الدار الثقافية للنشر والتوزيع،ط1،مصر، 2003

25. رفيق شاكر التنشه ، وآخرون تاريخ فلسطين وجغرافيتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1991

26. سالم حسين عمر البرناوي، القضية الفلسطينية، دراسة سياسية وثائقية، منشورات جامعة قاز يونس، ط1، بنغازي ، 1999

27. سعيد إسماعيل علي،الفكر التربوي العربي الحديث،عالم المعرفة، دط،الكويت، 1987

28. سليم بن عيد الهلالي، المسجد الأقصى بين الأحاديث والأحداث، دائرة المكتبة الوطنية، ط1، د ب، 2022

29. شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخا .. وعبرة .. ومصير، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان ،1991

30. ظفر الإسلام خان،تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي ،دارالنفائس ،ط 1، بيروت،1997

31. عبد الحليم محمود، الإسراء والمعراج، دار المعارف، ط11، القاهرة، د س

32. عبد الحميد الكاتب، القدس، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1994

33. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،دد،دط،دب،دس

34. عزيزة مريدن، القصة والرواية، دارالفكر،دط،دمشق، 1980

35. عصام موسى هدي، صحيح قصة الإسراء والمعراج، الدار العثمانية، ط1، عمان، 2004

36. علي الصادق، ماذا تعرف عن حزب الله، الهيئة العامة لدار الكتاب، والوثائق القومية،ط1،لبنان، 2006

37. عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة الشرق،ط2،حلب، 1963

38. عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية،دط،دس، مصر

39. غالب هلسا، نقد الأدب الصهيوني، دار التنوير العلمي،ط1،بيروت، 1995

40. غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، دار منشورات الرمال، ط1، بيروت، 2013.

41. غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، د ط ، مصر، 1997

42. فتحي ذياب سبيتان، أثر الاحتلال الصهيوني على الطفل الفلسطيني والقضية الفلسطينية، الجناردية للنشر والتوزيع،ط1،الأردن، 2016

43. فوزي محمد حميد، فلسطين التاريخية، الأرض، الإنسان، الحضارة، دار الكرامة، ط1، دمشق 2003

44. القدس والقضية الفلسطينية ودور المجتمع المدني العربي- ندوات حول القضية الفلسطينية، منشورات الطليعة،دط،دب، 2018م

45. مجدي وهبة،كامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2،بيروت، 1984

46. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، دط، لبنان، 2012.

47. محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية(الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية)، مركز الزيتونة،دط، بيروت،لبنان، د س

48. محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، رؤية إسلامية،مركز الزيتونة، دط، بيروت،2013

49. محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر،دس

50. محمد حافظ الشريدة: مكانة الأقصى والقدس وفلسطين الدينية، جامعة النجاح الوطنية/ نابلس/ فلسطين/، غزة فلسطين، دط، 2014م-1435هـ

51. محمد عيد حمدان، فلسطين والقضية الفلسطينية، منشورات جامعة القدس، د ط، الأردن، 2015.

52. محمد منذور،معارك أدبية،دار نهضة مصر،دط، القاهرة، دس

53. محمود طلب خليل النمورة، الغرب والإسلام وفلسطين، حقوق تاريخية وصراع حضارات أم استعمار وصراع مصالح؟، دعوة لوضع حد لانتهاكات الغرب لحقوق الشعوب بحجة مكافحة الإرهاب، دار الشروق، دط.د ب، 1427هـ-2006م

54. مصطفى فاسي،دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر،دط،دب،دس

55. معاناة الفلسطينيين على معبري الكرامة ورفح، سلسلة تقارير خاصة (18)، تشرين أول، د.ط، دب، 2002م

56. نادر أحمد عبد الخالق،الرواية الجديدة بحوث ودراسات تطبيقية، دار العلم والإيمان،ط1،كفرا لشيخ،مصر، 2010

57. نعيم الياقي، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،دط،دمشق، 1982

58. يوسف عارف الحاجم حمد، المسيرة الجهادية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مؤسسة مهجة القدس، ط1، فلسطين، 2011.

-المراجع المترجمة:

59. بيير شارتيه،مدخل إلى نظريات الرواية،تر: عبد الكبير الشرقاوي،دار توبقال للنشر،ط1،المغرب، 2001

مجموعة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية،تر: الطاهر حجار،دار طلاس،ط1،دمشق، 1985

60. جاك أومون، الصورة تر:ريثا الخوري، المنظمة العربية للترجمة،ط1،لبنان، 2013

61. جورج لوكاتش، الرواية كملحمة برجوازية، تر: جورج طرابيشي،دارا لطليعة،ط1 بيروت،1979

62. جورج لوكاتش،نظرية الرواية تر:الحسين سحبان، منشورات التل،ط1،المغرب، 1980

63. رجاءجارودي،فلسطينأرضالرسالاتالإلهية،تر:عبدالصبورشاهين،دط،دس،القاهرة

64. ميخائل باختين، الخطاب الروائي،تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،القاهرة، 1987

65. ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلات، منشورات وزارة الثقافة، دط،دمشق 1988

66. ووجيه غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، تر:قصي أتاسي، ميشيل واكيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دط، دمشق، 1991

رابعا:المجلات:

67. الحاج المقديري، مفهوم المقدس في الأديان السماوية والوضعية، المجلة العربية للنشر العلمي، ع27، 2021

68. حمودي إبرير، الفلسطينيون والثورة الجزائرية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد3، العدد3، جامعة باتنة1، الجزائر

69. حميد بن أحمد نعيجات، الإمكان العقلي لمعجزة الإسراء والمعراج القرآنية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، دع،دب

70. رشيد حمد العنزي، عبد السلام حسني العنزي، المقاومة المسلحة في ظل قواعد القانون الدولي، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية،العدد 58،أكتوبر 2015

71. شنتي أحمد، الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 19،جامعة الجلفة، الجزائر، 2015

72. عيسى القدومي، المسجد الأقصى أربعون معلومة تجهلها، مجلة الوعي الإسلامي ع 107، 2015، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الكويت

73. فاتح شيباني، اتفاقية أوسلو، الدوافع والمواقف، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد6، العدد1،جامعة الجزائر، 2020م

74. كمال عجالي، فلسطين في النثر الجزائري الحديث،من 1909-1950، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، ع 07 ،بسكرة

75. لبيبة صالح، رواية الأصول وأصول الرواية، رقم العدد 646، 1جويلية 2017

76. ماهر الشريف: تاريخ فلسطين القديم في الكتابة العربية، مجلة الدراسات الفلسطينية، دون هيئة الصدور، ع99، دب، 2014

77. هاشم كوثر، محمد السعيد عقيب، إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال جريدتي الشهاب والبصائر (1931-1954)، مجلة العلوم الإنسانية، المركز الجامعي، تندوف، العدد3،الجزائر

خامسا: البحوث:

78. الأحوال الصحية في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية، وفي الجولان السوري المحتل، منظمة الصحة العالمية الثالثة والستون،البند 13 من جدول الأعمال المؤقت،ج63/ وثيقة معلومات 5،14 أيار/ مايو 2010

79. أصول مشكلة فلسطين وتطورها،ج5(1989-2000)، هيئة الأمم المتحدة،نيويورك، 2014

80. التطبيع العربي مع الكيان الإسرائيلي إلى أين؟مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

81. سرايا القدس، بشائر الانتصار وكسر سياسة الاغتيالات، الإعلام الحربي لسرايا القدس، مركز اللغات والترجمة، 2012.

82. سيباستيان ماير، حزب الله إلى أين أن تذهب؟تر: ماريا المنجد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2016.

83. عبد اللطيف دحية، المقاومة المسلحة والأسس القانونية لمشروعيتها في النزاعات المسلحة الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف المسيلة .

84. هشام العربي:منهج الفتوى في القضايا الفقهية المعاصرة- بحث محكم، بحوث مؤتمر، كلية الشريعة وأصول الدين، د.س، جامعة نجران

سادسا:الرسائل والأطروحات:

85. حمودي إبرير، مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973، لرسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015

سابعا:المواقع الإلكترونية:

86. diwanalarab. Com

87. https://www.abjad.com/ www.ida2at.com.cdn.ampproject.ovg/ www-al-watan-cdn,.ampprojet.org.

88. https://www.aljazeera.net

89. https://www.aljazeera.net

90. https://www.aljazeera.net,culture.culture

91. https://www.al-jazirah.com

92. https://www.diwandb.com

93. https://www.mhraby.wordpress.com

94. news > https://www.aljazeera.net

95. Scribd.com.

96. Ultrapal.ultrasawt.com

97. www.al.watah.com.cdn.ampprohect.rog

ملخـــص

ملخص:

حظيت القضية الفلسطينية ولازالت تحظى بعناية فائقة منذ البدايات وعبر العصور، فقد كانت محط اهتمام الكثير من الدارسين والباحثين كل حسب اهتمامه ودوافعه التي تراوحت من الدوافع المعرفية إلى الدوافع العقدية ومن دوافع الهدم إلى دوافع الاحتفاء.

ولا جرم أنها قضية ضاربة في عمق التاريخ، ابتدأت مع أرض كنعان والأقوام الغازية لها، و تستمر إلى يومنا هذا؛ أين يتكرر المشهد بكل تفاصيله للشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، فهي ليست قضية وطنية فحسب، وإنما تتخذ من القومية شعارا لها، فقد شملت الأمة العربية جمعاء، والأمة الجزائرية على وجه الخصوص، بحكم أن الجزائر عانت من نير الاستعمار الفرنسي، وهو ما تعيشه فلسطين اليوم مع الشتات الصهيوني، وهو العامل الذي كان سببا في إحساس الجزائريين الزائد بالوجع الفلسطيني، بالإضافة إلى مكانة القدس الشريفة في قلوب المسلمين.

وقد ساهمت الرواية الجزائرية في التعبير عن معاناة الفلسطينيين والكشف عن جزء من الواقع الذي يعيشونه مع الاحتلال، ومنه فالكاتب الجزائري اعتبر القضية الفلسطينية شغله الشاغل، وموضوعه الذي أرق تفكيره منذ المهد إلى اللحد، حيث سارت كتاباته معها جنبا لجنب منذ ظهورها وعبر مراحلها وتطوراتها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، الأمة العربية، الصهيونية

Summary:

The Palestinian cause has known, and still, great attention from the beginning and throughout the ages. It has been the focus of attention of many scholars and researchers, each according to his interest and motives, which ranged from cognitive motives to doctrinal motives, and from motives of demolition to motives of celebration.

There is no doubt that it goes deep into history. It began with the land of Canaan and the peoples invading it and continues to tour days. Where is the scene repeated in all its details for the Palestinian people against the Zionist occupation. It is not only a national issue, but it takes nationalism as its slogan. It included the entire Arab nation, and the Algerian nation in particular, given that Algeria lived with French colonialism what Palestine experiences today with Israel. The latter was the reason for their increased sense of Palestinian pain, in addition to the honorable status of Jerusalem in the hearts of Muslims.

The Algerian novel has contributed to expressing the suffering of the Palestinians and revealing part of the reality they live under the occupation. Hence, the Algerian writer considered the Palestinian issue his main concern, and his topic that informed his thinking from the cradle to the grave, as his writings went side by side with it since its appearance and through its various stages and developments.

Keywords: the Palestinian issue, the Arab nation, Zionism